جامعة دمــشـق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قــسـم التاريخ

السلطة والمعارضة في بلاد الرافدين وسورية في الآلف الأول قبل الميلاد (١٠٠٠-٥٣٩ق.م)

رسالة مقدمة لنيل
درجة الماجستير في التاريخ القديم

اعداد
عبــاس مرهج فـرج

اشراف
الأستاذ الدكتور
عيـد مــرعي

٢٠١٥-٢٠١٦

المقـــدمة:

إن البحث في أنظمة الحكم والمعارضة في بلاد الرافدين وسورية من الألف الثالث وحتى الألف الأول قبل الميلاد يقدم لنا تصوراً مهماً عن طبيعة أنظمة الحكم، وأشكال المعارضة ومراحل تطورهما، فمن الطبيعي أن يؤدي القرار الفردي واستبدادية السلطة إلى قيام ثورات وتمردات ضد السلطة، ومن هنا تزامن ظهور المعارضة مع ظهور السلطة. وقد ادعى الملوك أن السلطة مستمدة من الآلهة، وأنهم يمثلون الآلهة على الأرض، وأن طاعتهم من طاعة الآلهة هادفين من وراء كل هذا إلى الحيلولة دون قيام أية معارضة تهدد أنظمة حكمهم، بدعوى أن أي تحرك ضدهم إنما هو تحرك ضد الآلهة التي يمثل الملوك إرادتها ومشيئتها على الأرض.

لقد مارس الملوك العديد من الطقوس الدينية التي ساعدت في تثبيت حكمهم وتقوية سلطتهم، ومن أهم هذه الطقوس تتويج الملك، حيث ادعى الملوك أن هذه الطقوس تُقام تنفيذاً لمشيئة الآلهة، وذلك عن طريق الإيعاز للكهنة بذلك عن طريق الرؤيا والأحلام وقراءة الفأل، ومن الطقوس التي عرفها الملوك في تلك الفترة طقوس الزواج المقدس، ومن ثم حصر الحكم ضمن الأسرة الحاكمة نفسها. وقد ذهب بعض الملوك إلى أبعد من ذلك عندما قاموا بتأليه أنفسهم، فجمعوا بين وظيفتي الإله والملك، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل حالت هذه الطقوس والإجراءات التي اتخذها الملوك دون قيام أية حركة تمردية ضدهم؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه خلال هذا البحث، فقد طرحت قضية اغتصاب السلطة من قبل بعض الملوك الذين ادعوا أنهم وصلوا إلى الحكم بناءً على رغبة الآلهة مثل –شاروكين الأكادي وزاكور الآرامي–التساؤل عن الأسباب التي أدت إلى الإطاحة بحكم هؤلاء الملوك ووصول غيرهم إلى الحكم، فلا بد من وجود دوافع سياسة واقتصادية استغلها قادة عسكريون مقربون من الملوك من أجل الوصول إلى الحكم، والأهم من هذا، الدوافع الدينية والتي تمثلت بإرجاع سبب سقوط نظام الحكم إلى عدم رضا الآلهة، وخاصة أنها هي التي منحت السلطة للملوك حسب ادعائهم، وهذا منحها الحق بانتزاعها منهم، ومن هنا تصبح مسألة خلع الملك عن الحكم أمراً مشروعاً.

لذا يقدم هذا البحث دراسة عن نظام الحكم (السلطة) وعن المعارضة في بلاد الرافدين

وسورية في الفترة من ٣٠٠٠ إلى ٥٣٩ق.م، فيتناول دراسة دور الملك الذي يتولى أمور السلطة، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على الحاشية المقربة منه، والمجالس التي تشكلت إلى جانبه، والدور الذي أدته، بالإضافة إلى العلاقة التي تربطه مع الآلهة من جهة ومع أبناء شعبه من جهة أخرى، وتأتي أهمية هذه البحث من دراسته للمعارضة وطبيعتها وأشكالها في بلاد الرافدين وسورية بنوع من التفصيل، كذلك دراسة أهم الثورات التي هددت نظام الحكم، وبينت مواقف الملوك منها، والنتائج التي تمخضت عنها.

ولابد من الإشارة إلى أننا اعتمدنا في البحث على المنهج العلمي الذي يقوم على جمع المادة العلمية من خلال الاطلاع على المصادر الأساسية والمراجع التي تضمنت الأبحاث والمقالات التي كانت غالبيتها باللغة الإنكليزية، وقد ساعدني إلمامي الجيد باللغة الإنكليزية ومعرفتي البسيطة باللغة الفرنسية على قراءة العديد من المصادر والمراجع ولاسيما المقالات، بالإضافة إلى العودة إلى العديد من المراجع العربية والمعربة التي عبدت الطريق أمامي لكتابة البحث، حيث استخلصت المعلومات منها وقمت بتحليلها متبعاً المنهج التحليلي ومناقشة الأفكار بقدر ما تسمح به المعطيات التاريخية.

بالرغم من طول الفترة التي قمنا بدراستها، وقضاء وقت طويل في البحث فيها عما يغني البحث، فقد تمكنا من الاطلاع على كامل هذه الفترة بما تحتويه من أحداث ومعلومات، ولا سيما ما يتعلق منها بموضوع بحثنا، فلم تكن دراستنا لهذا الموضوع بالأمر الهين نتيجة ضعف مكتبتنا العربية وفقرها بالدراسات المفصلة عن هذا الموضوع، وقد تمكنا من خلال البحث في تفاصيل المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها من الإحاطة بأهم ما كتب عن الموضوع، وحصلنا على معلومات قيمة تثري بحثنا، لعلها تسد نقصاً واضحاً في مكتبتنا العربية، ونحن إذ نقدم هذه الدراسة المتواضعة نأمل أن تكون لبنة أساسية في دراسات أكثر تفصيلاً في كل جانب من الجوانب التي سنتطرق إليها.

وقد شمل البحث تمهيداً جغرافياً وآخر تاريخياً وثلاثة فصول، وتضمن التمهيد دراسة جغرافية وتاريخية مختصرة لحضارة بلاد الرافدين وسورية بما فيها ظروفهما المناخية، وأهم الممالك والإمبراطوريات التي قامت على أراضيهم، في حين تضمن الفصل الأول

دراسة لمصطلحي السلطة والمعارضة والبحث في ماهيتهما، حيث تحدثنا فيه عن نشوء دويلات المدن وشكل السلطة فيها، ونشوء النظام الملكي، كذلك تحدثنا عن الطرق والوسائل التي اتبعت في تعيين الملك وتحديد واجباته، وأهم الألقاب التي أطلقت عليه، بالإضافة إلى ذلك تضمن الفصل الأول الحديث عن تأليه الملوك، والهدف من اتباع هذه الخطوة، وتعيين ولاة العهد، وتتويج الملوك، والحديث عن ادعاء الملوك أن الآلهة هي من توجتهم على عروشهم وجعلتهم ممثلين لها على الأرض، كذلك تضمن الفصل الأول البحث في أمر المجالس التي شاركت إلى جانب الملك في الحكم، ولاسيما مجلسي الشيوخ والرجال الأحرار (المواطنين)، حيث تحدثنا عن المهام الموكلة إليهم وواجباتهم، وفئات المجتمع التي مثلوها، ومدى تأثيرهم على قرارات الملك وتوجهاته، وفي نهاية الفصل الأول تحدثنا عن المعارضة وأشكالها التي تكللت بالثورات ضد بعض الملوك ولاسيما في العصر الآشوري الحديث، والطرق والوسائل التي اتبعها الملوك في القضاء على هذه الثورات وسحقها.

أما في الفصل الثاني فقد تضمن الحديث عن أنظمة الحكم والمعارضة في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد في بلاد الرافدين وسورية بدءاً بالعصر السومري ومروراً بالعصر الأكادي وعصر الإحياء السومري وصولاً إلى العصرين البابلي القديم والوسيط، وانتهاءً بالعصرين الآشوريين القديم والوسيط في بلاد الرافدين، وبدءاً بمملكة إبلا وماري وانتهاءً بمملكتي يمحاض وألالاخ في سورية، حيث تضمن هذا الفصل الحديث عن طرق تعيين الملوك، وأهم الملوك المصلحين، والملوك الذين ألهوا أنفسهم، والدور الذي لعبه الملوك، والانتقال من مرحلة دويلات المدن إلى مرحلة تشكيل الحكومة المركزية، كذلك تحدثنا عن المجالس التي تشكلت في هذه الممالك والدول، والدور الذي أنيط بها، بالإضافة إلى ذلك قدمنا دراسة معمقة عن المعارضة في هذه الممالك، وتأثيرها على أنظمة الحكم، والوسائل التي اتبعتها في سبيل الوصول إلى أهدافها، كذلك تطرقنا لذكر أهم الملوك المغتصبين، والملوك الذين قتلوا نتيجة مؤامرات حيكت ضدهم ، والثورات والتمردات وأسبابها ونتائجها.

أما الفصل الثالث فقد قسم إلى قسمين، خصص القسم الأول لدراسة نظام الحكم والمعارضة في العصرين الآشوري الحديث والبابلي الحديث في بلاد الرافدين، فتحدثنا

فيه عن الملك وواجباته وصلاحياته، وخاصة أن نظام الحكم في بلاد الرافدين اتصف في هذا العصر بالمركزية الشديدة، كذلك تحدثنا عن منصب ولاية العهد حيث بلغ مرحلة جديدة من التطور تمثلت بأخذ العهود والمواثيق التي وضعها الملوك بغية الحيلولة دون حصول خلاف بين الأبناء عند وفاة الأب من جهة، والدور الذي لعبته الملكات في إعطاء ولاية العهد إلى أحد الأبناء دون الآخر من جهة أخرى. كذلك تطرقنا في هذا الفصل بشكل مفصل إلى الدور الذي لعبه كبار القادة من العسكريين وحكام المقاطعات الذين تمتعوا بصلاحيات مكنتهم من إدارة السياسة الآشورية من خلال اتخاذ العديد من القرارات دون الرجوع إلى الملك، ويتضمن هذا القسم أيضاً الحديث عن الصراع بين الكهنة والملوك في العصر البابلي الحديث، والمعارضة التي تمثلت بالثورات والتمردات التي كثيراً ما قادها أبناء الملوك مدفوعين إلى ذلك بدوافع داخلية وخارجية، والنتائج التي تمخضت عنها. أما القسم الثاني في هذا الفصل فقد خصص لدراسة نظام الحكم والمعارضة في سورية في الألف الأول قبل الميلاد عند الآراميين والفينيقيين، فتحدثنا عن الملك وواجباته وصلاحياته، والطبقات المقربة منه عند الآراميين والفينيقيين، كذلك تحدثنا عن المعارضة وطبيعتها عند الآراميين والفينيقيين، والإجراءات التي اتخذها الملوك لكبح جماح المعارضة والتي تمثلت بعقد معاهدات هدفها حماية نظام الحكم من الطامعين كما فعل الآراميون، أو التهديد بغضب الآلهة وحلول لعناتها على كل من يحاول التمرد أو تهديد نظام الحكم كما عند الفينيقيين.

ثم انتهينا إلى خاتمة مكثفة تضمنت تلخيصاً لنتائج الدراسة، وخريطة لمنطقة الشرق القديم، تلتها الملاحق من المصادر والمراجع.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عيد مرعي لما بذله من جهد، وما قدمه من إرشادات وتوجيهات، وما أبداه من آراء سديدة، وملاحظات قيمة طيلة إشرافه على إعداد هذه الرسالة، فكان له الأثر الأكبر في إغناء مادة البحث وتقويمها وتوجيهها الواجهة الصحيحة. كما أتقدم بشكري وعرفاني إلى أساتذة قسم التاريخ القديم لدعمهم وتشجيعهم المتواصل، وإلى العاملين في مكتبة الأسد ومكتبة المتحف الوطني في دمشق ومكتبة كلية الآداب والعلوم

الإنسانية الثانية في السويداء، لما قدموه من تسهيلات ومساعدة في الاطلاع على مقتنيات المكتبات التي شكلت المصدر الأساسي لبحثي.

وأخيراً أرجو أن تكون هذه الدراسة قد تناولت كل ما له صلة بموضوع السلطة والمعارضة في بلاد الرافدين وسورية في العصور القديمة.

ومن الله التوفيق

تمهيد جغرافي تاريخي

إن دراسة تاريخ أي بلد من البلدان وحضارته تفرض على الباحث معرفة الموقع الجغرافي لهذا البلد ومعرفة المراحل التاريخية التي مرَّ بها، وخصوصاً إذا كان هذا البلد يملك إرثاً حضارياً ثرياً، ومما لا شك فيه أن هناك أواصر وثيقة ومتداخلة بين الأحداث التاريخية وسطح الأرض ومظاهرها الطبيعية التي تُعد مسرحاً لتلك الأحداث، لذا من الصعب أن تكتمل المعرفة التاريخية بدون المعرفة الجغرافية، لذلك فإن تناول صفات وخصائص وطبيعة أراضي بلاد الرافدين وسورية يساعدنا في فهم تاريخها السياسي والحضاري فضلاً عن معرفة الأهمية الجغرافية لموقع هذه البلدان (أنظر الشكل ١) التي قامت فيها هذه الحضارات، ومن الجدير بالذكر أن بلاد الرافدين وسورية شكلا حضارة وثقافة واحدة متكاملة امتدت إلى خارج حدودهما، وكانت نقطة انطلاقهما ضمن حدود النهرين العظيمين (الفرات ودجلة) وما يحيط بينهما. وقد مهد نهري الفرات ودجلة لقيام أهم الحضارات في الشرق القديم فكلاهما ينبع من هضبة أرمينيا ويخترقان جبال طوروس نحو الجنوب فيدخل نهر الفرات سورية عند مدينة جرابلس مقترباً من البحر المتوسط بينما يدخل نهر دجلة الأراضي العراقية ليقترب من نهر الفرات قرب مدينة بغداد، ثم يلتحما شمال مدينة البصرة على بعد مئة كيلو متر لتشكل مياههما شط العرب. أما إلى الغرب من نهر الفرات تمتد السهوب السورية وسلسلة من الجبال المحاذية للبحر الأبيض المتوسط كجبال الأمانوس وسلسلة لبنان الشرقية وجبال الجليل مشكلة خطاً عالياً يحد من التأثيرات المناخية المتوسطية، في هذه المناطق نجد الجبال متداخلة مع الوديان والسواقي حيث يتنوع المناخ، فوجود الحاجز الجبلي الذي يحد البحر المتوسط يسبب سقوط أمطار على الواجهة البحرية كما يسبب جفافاً في الواجهة الداخلية، أما الأراضي المرتفعة وسلسلة جبال طوروس

فإنها تتعرض لهطولات مطرية غزيرة[١]. تحتل بلاد الرافدين وسورية مركز الصدارة في عالم الشرق القديم لكونها أكثر المناطق جمالاً، ولكثرة المراكز الحضارية فيها التي شكلت مهد الحضارة الإنسانية، وقد كان لهذا التنوع الجغرافي المتمثل بتساقط الأمطار وتوافر الآبار والأنهار وتنوع المناخ[٢] أثر كبير في نشوء الحضارات في منطقة بلاد الرافدين وسورية التي تركت بصماتها في التاريخ الإنساني بدءاً من حضارة السومريين في وادي الفرات وكذلك الأكاديين والبابليين والآشوريين والكلدايين، ثم حضارات سورية المتمثلة في حضارة إبلا وماري، وكذلك الحضارة الآرامية وحضارة الفينيقيين. إن حضارة بلاد الرافدين هي أكثر الحضارات تأثيراً في الشرق القديم، لقد قامت هذه الحضارة في المنطقة الواقعة إلى الشمال الشرقي من الوطن العربي الممتدة من جبال طوروس شمالاً إلى الخليج العربي جنوباً، وتقع بين نهري الفرات ودجلة، لذلك أطلق عليه المؤلفون الكلاسيكيون بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا)[٣]، وهي تسمية إغريقية الأصل وردت عند بولبيوس في القرن الثاني قبل الميلاد وسترابون في القرن الأول قبل الميلاد للدالة على المنطقة المحصورة بين نهري الفرات ودجلة وما جاورها من المناطق الحضارية القريبة من النهريين، وهو ما دعاه الجغرافيون العرب(الجزيرة) والتي تمتد في العراق وشمال شرقي سورية[٤]. نشب في هذه البقعة من العالم أقسى أشكال الصراع بين مظاهر الطبيعة المتقابلة والمتكاملة في الوقت نفسه من صحراء وجبال وجفاف وخصب وبحر وبر وبداوة وحضارة، بالإضافة إلى وجود أنهار غزيرة وسهول

---

(١) مارغرون، جان كلود، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، ترجمة سالم العيسى، الطبعة الأولى، منشورات دار علاء الدين، دمشق ١٩٩٩، ص٢٥-٢٦.

(٢) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٣-٢٠١٤، ص ١٩.

(3) G. Leick, Historical Dictionary of Mesopotamia, Second Edition, The Screcrow press, Plymouth, U.K, 2010, p:8.

(٤) أحمد، أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٠، ص٩٥.

فسيحة وأراضي خصبة ومناخ متنوع مكن الإنسان من تنمية خبراته واكتساب مهارات جديدة في استثمار الأرض. وقد ساعد موقع بلاد الرافدين وامتدادها على طول نهر الفرات ودجلة إلى قيام حضارات مهمة أهمها الحضارة السومرية التي قامت في الجنوب الرافدي بالرغم من ارتفاع الحرارة وانتشار الجفاف إلا أن وجود النهريين العظيمين وقيام الزراعة المروية ساهم إلى حد كبير في قيام دويلات المدن السومرية، لقد نشأت الحضارة السومرية في جنوبي بلاد الرافدين (٣٥٠٠-٣٠٠٠ق.م)، وقد ظهرت منذ دور جمدت نصر (٣١٥٠- ٢٩٠٠ق.م)، ووصل تأثيرها إلى خارج حدود بلاد الرافدين، فامتدت خلال الألف الثالث قبل الميلاد على طول نهر الفرات، ووصلت إلى ماري وممالك إبلا وألالاخ في شمالي سورية. لقد تمكن السومريون من إقامة حضارة عظيمة قامت على أساس دولة المدينة وتشكلت دويلات المدن السومرية التي شكلت فيها كل مدينة دويلة قائمة بذاتها، فأطلق المؤرخون على الدور السومري الأول عصر السلالات السومرية الباكرة (٢٩٠٠-٢٣٣٤ق.م) لأن المدن السومرية كانت تحكم من قبل سلالة مالكة ورد ذكرها في قائمة الملوك السومرية، حيث وصلت الحضارة السومرية إلى أوج عظمتها في عهد هذه السلالات، ونشأت العديد من دويلات المدن أهمها: لاجاش وكيش وأور وأوروك وغيرها. لكن السومريين ما لبثوا أن ضعفوا وتمكن الأكاديون من إقامة إمبراطورية عظيمة يعود الفضل في تأسيسها إلى الملك شاروكين (٢٣٣٤-٢٢٧٩ق.م) الذي تمكن من السيطرة على مقاليد الحكم في مدينة كيش، واتبع سياسة توسعية اصطدم خلالها مع عدد من ملوك المدن السومرية إلى أن تمكن من توحيد هذه المدن في دولة واحدة متخذاً من الآلهة السومرية غطاء لإضفاء الشرعية على عمله[1]. لقد أقام الأكاديون إمبراطوريتهم في أواسط بلاد الرافدين إلى الشمال من بلاد سومر في منطقة يقترب فيها نهر دجلة من الفرات، في هذه المنطقة تمكن شاروكين من إقامة إمبراطوريته، واتخذ من مدينة أكاد التي ماتزال غير مكتشفة حتى

(1) Crawford, Harriet. E.W, Sumer and the Sumerians, Cambridge University Press, 2004, P32, 33.

الأن عاصمة له، حيث قام باتباع سياسة توسعية باتجاه المناطق المجاورة ولاسيما سورية الغنية بالموارد الطبيعية وذات الموقع الاستراتيجي المتميز[١]. وصلت الدولة الأكادية إلى أوج عظمتها في عهد حفيده الملك نارام سين، لكن الفوضى والاضطرابات ما لبثت أن عمت البلاد بعد وفاته، ودخلت البلاد في صراع على العرش، انتهت بسقوط أكاد بيد الغوتيين (٢١٥٠ق.م). في هذه الأثناء تمكنت سلالات سومرية في الجنوب من إعادة وإحياء الحكم السومري، وتشكيل عدة سلالات حاكمة في مدينة لاجاش وأور، أطلق المؤرخون عليها عصر سلالة أور الثالثة (عصر الإحياء السومري). ما لبثت ان سقطت مملكة أور الثالثة، واختفى السومريون عن مسرح الأحداث لتبدأ مرحلة جديدة مع وصول القبائل الأمورية إلى بلاد الرافدين وسورية على شكل موجات، حيث تمكن هؤلاء السكان الجدد من السيطرة على مقاليد السلطة والحكم كما ظهرت ممالك جديدة[٢]، لكن قبل التطرق لهم في بلاد الرافدين وسورية، لا بد لنا من التعرف على واحدة من أهم الممالك التي قامت في شمالي سورية في الألف الثالثة قبل الميلاد، وهي مملكة إبلا التي قامت في موقع تل مرديخ بالقرب من بلدة سراقب في محافظة ادلب، ومنطقة إقليم هضبة حلب والشامية الشمالية حيث تتصف المنطقة التي قامت بها هذه المملكة بتربتها الخصبة وأمطارها الكافية لممارسة الزراعة والاستيطان البشري، فهناك تكثر زراعة الحبوب والأشجار المثمرة[٣]، فشكل اكتشاف إبلا نقطة تحول كبيرة في تاريخ سورية، حيث دلت على قيام المراكز المدنية، وأثبتت أن سورية كانت مركزاً لمملكة قوية امتد نفوذها ليس في شمالي سورية فحسب، أنما المناطق الأخرى المجاورة، شهدت إبلا عصرين من الازدهار والقوة كان الأول ما بين

---

(1) Matthews.D.The early Dyanstic-Akkadian Transition part I: when did the Akkadian period Begin, Iraq, Vol 59, 1997, BISI, PP. 1-2.

(٢) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ٣٠٠٠-٣٣٣ق.م، مشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١، ص٧٧.

(٣) عبد السلام، عادل، الأقاليم الجغرافية السورية، منشورات جامعة دمشق، ١٩٨٩-١٩٩٠، ص٨٨-٨٩.

٢٥٠٠-٢٢٥٠ق.م وانتهى بتدمير المدينة على أيدي الأكاديين، والثاني امتد من٢٠٠٠-١٦٠٠ق.م، وهو عصر المد الأموري الذي انتهى بتدمير هذه المدينة على يد الحثيين(١). لقد شمل المد الأموري بلاد الرافدين وسورية، ونشأت العديد من الممالك الأمورية، كمملكة ماري التي قامت في منطقة حوض الفرات الأوسط حيث يوجد شريط خصب على طول منطقة صحراوية، وإلى الوراء من هذا الشريط يوجد حزام من السهوب يمتد إلى إقليم تدمر في صميم صحراء بادية الشام غرباً، وقد عمل أهلها بالزراعة، وهي ذات موقع استراتيجي هام(٢). وتعتبر مكتشفات القصر الملكي والأرشيف والمحفوظات من أهم المكتشفات في ماري لأنها عبارة عن وثائق اقتصادية وإدارية ورسائل وتقارير ونصوص مختلفة كتبت بالخط المسماري واللغة الأكادية، بعد ذلك تمكنت أسرة أمورية من الوصول للحكم ويعتبر يجيد ليم Yaggid-lim (١٨١٥-١٧٨٢ق.م) أول ملك معروف دخل في صراع مع الإكبكابو Ilakabkabu*، وطرده من هناك لكن ابنه شمشي أدد Šamši-adad ما لبث أن استولى على الحكم في أشور واحتل ماري، ونصب ابنه يسماخ أدد Yasmach- adad حاكماً عليها(٣) حيث هرب زمري ليم بن يخدون ليم إلى مملكة يمحاض الأمورية التي قامت في الشمال السوري، وشكلت بموقعها الاستراتيجي نقطة ربط مهمة بين هضبة الأناضول في الشمال وجنوبي سورية في الجنوب وبلاد الرافدين في الشرق والبحر المتوسط في

---

(١) مرعي، عيد، المرجع السابق، ص٤٧.

(2) Kupper.J.R, Northern Mesopotamia and Syria, Vol II, Part I, In CAH, P 24-25.

*الأكبابو: **Ilakabkabu** حاكم أموري (الاله كوكب) كان يحكم في منطقة تيرقا Terqa (تل عشارة) حالياً الواقعة إلى الشمال من ماري، وهو والد شمشي أدد الأول الذي استولى ع الحكم في آشور فيما بعد وشكل مملكة قوية في بلاد الرافدين وماري، للمزيد انظر:
مرعي، عيد، المرجع نفسه، ص٨٨.

(3) Edwards I.E.S & Others, the Cambridge Ancient History, Vol I, Part I, Third Edition, Cambridge University Press, 1970, P 233.

الغرب. لقد لعبت مملكة ماري دوراً مهماً في عهد حاكمها زمري ليم Zimri-lim (١٧٨٢-١٧٥٩ق.م) الذي تمكن من العودة إليها والسيطرة عليها، حيث بلغت ماري أوج عظمتها في عهده. وقد عاصر زمري ليم العديد من الملوك* العظماء آنذاك[١]، لكن مملكته لم تعش طويلاً فسرعان ما هوجمت من قبل حمورابي Hammrapi ملك بابل هذه المملكة الأمورية التي قامت على ضفاف نهر الفرات إلى الشمال الغربي من مدينة بغداد، والتي بلغت أوج عظمتها وقوتها في عهد حاكمها حمورابي Hammrapi (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) الذي اكتسب شهرة كبيرة لكونه مشرعاً قام بجمع القوانين، وأصدرها في مجموعة واحدة عرفت باسم قوانين حمورابي[٢]، وقد أقام علاقات قوية مع حكام الممالك المجاورة ولاسيما ملك ماري زمري ليم بالرغم من قيام حمورابي البابلي فيما بعد بالهجوم على مملكة زمري ليم وتدميرها، يبدو أن أهمية موقعها وغناها كانت من أهم العوامل التي دعت حمورابي البابلي للانقضاض عليها وتدميرها[٣]. وقد ازدهر في هذه الفترة عدد من الممالك الأمورية في سورية كمملكة ألالاخ عند المجرى السفلي لنهر العاصي بالقرب من مدينة أنطاكية، ومملكة قطنة في منطقة تل المشرفة في حمص، ومملكة كركميش في منطقة الفرات الأعلى في موقع جرابلس الحالية، ومملكة أوجاريت في موقع رأس شمرا على ساحل البحر المتوسط بالقرب من اللاذقية، وقد

---

*تبين نصوص ومحفوظات مملكة ماري الملوك والحكام الذين عاصروا الملك زمري ليم أهمهم حمورابي ملك بابل الذي دخل معه في تحالف ضد عيلام وإشنونا، وياريم ليم الأول ملك يمحاض الذي ارتبط معه بعلاقة المصاهرة حيث تزوج الأخير من ابنة الملك زمري ليم شيبتو، ثم أصبح صديقاً لابنه حمورابي الذي خلف أبيه على عرش يمحاض، كذلك عاصر الملك زمري ليم لملك أموت بيل ملك قطنة للمزيد أنظر:

مرعي، عيد، المرجع السابق، ص٩٦.

(١) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠-٣٣٣ق.م، ترجمة سيف الدين دياب، تدقيق عيد مرعي، الطبعة الأولى، دمشق، دار المثنى، ١٩٩٨، ص ٦٠.

(٢) مرعي، عيد، عبدالله، فيصل، المرجع السابق ٢٧١.

(٣) مرعي، عيد، المرجع نفسه، ص ٩٨.

لعبت هذه الممالك دوراً هاماً في الحياة السياسية في تلك الفترة. لكن بابل ما لبثت أن سقطت بيد الحثيين ١٥٩٥ق.م منتهية بذلك الفترة المسماة بالعهد البابلي القديم بعد ذلك حُكمت بابل من قبل فئة أجنبية عرفوا بالكاشيين وهم عبارة عن مجموعات هندو أوربية جاءوا من مناطق جبال زغروس الجبلية الشرقية مدفوعين بعدة أسباب أهمها الحاجة للعمل وغنى بلاد الرافدين وتوافر فرص العمل فيها، وقد بدأ هؤلاء بالدخول إلى بابل عن طريق الهجرة السلمية، وقد امتهنوا العديد من الأعمال لاسيما في المجال الزراعي بشكل عام وجني المحاصيل بشكل خاص(١)، ويُعدُّ عصرهم من العصور الغامضة في التاريخ الرافدي حيث بلغ عدد الحكام الكاشيين ستة وثلاثين حاكماً حكموا نحو ٥٧٦ سنة(٢). لا يعرف كيف سيطر هؤلاء على الحكم، لكن معظمهم حمل لقب حاكم بابل، وأقاموا علاقات قوية مع مصر كشفت عنها رسائل تل العمارنة، لكن الكاشيين ما لبثوا أن دخلوا في صراع مع جيرانهم الأشوريين الذين تمكنوا بدورهم من الانتصار وتحقيق مكاسب إقليمية (٣). أما الكاشيون فقد اصطدموا مع العلاميين وتمكن الملك العيلامي شوتروك ناخونته من الانتصار عليهم ودحرهم ونهب بابل والمدن الدينية الأخرى في أعمال تدنيس وتخريب، حيث أخذوا تمثال الإله مردوك إلى عيلام، وهكذا كان عام ١١٥٩ق.م نهاية السلالة الكاشية(٤). في الفترة التي تمكن فيها شمشي أدد من الاستيلاء على الحكم في أشور واحتلال ماري وتنصيب ابنه يسماخ أدد ملكاً عليها، بدأت الدولة الأشورية تحتل مكانة على الساحة الدولية، وقد وصلت المملكة

---

(١) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق.م، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩١، ص٩٣.

(٢) الأحمد، سامي سعيد، فترة العصر الكاشي، مجلة سومر، مجلد ٣٩، ١٩٨٣، ص ١٣٤-١٥٥.

(3) Luckenbill. D.D, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol I, Chicago 1926, P 27.

(4)Faisal El Waily, Political History of the Kassite Dynasty, University of Chicago, 1953, 221.

الأشورية إلى أوج عظمتها في عهد شمشي أدد الذي لقب نفسه ملك الجميع والعالم، وأقام علاقات قوية مع عدد من الممالك المجاورة لاسيما ممالك شمال سورية (كركميش–أورشوم–خاشوم). لكن المملكة الآشورية ما لبثت أن ضعفت وخصوصاً بعد امتداد السيطرة الميتانية إليها، وقد حاول الآشوريون الحصول على الاستقلال، وبدأت الدولة الآشورية تستعيد قوتها، لاسيما في عهد الملك أدد نيراري الأول الذي خاض العديد من الحروب في سبيل توسيع مملكته(١). استمرت قوة الآشوريين في الصعود في عهد توكولتي نينورتا الأول الذي خاض العديد من الحملات وضم المناطق المجاورة، واتخذ العديد من الألقاب التي تشير إلى الحدود التي وصلت إليها المملكة الآشورية آنذاك منها الملك القوي – ملك سومر وأكاد وغيرها من الألقاب، واستمر نجم الدولة الآشورية في الصعود في عهد تيكلات بيليصر الأول (١١١٧–١٠٧٧ق.م)، حيث توجه بأنظاره إلى سورية، ومهد الطريق لوصول الآشوريين إلى ساحل المتوسط غير أن هذا الطريق كان مهدداً من قبل القبائل الآرامية التي استوطنت أو كانت تتجول في المنطقة الممتدة غرب الفرات الأوسط بين عانة في بلاد سوخو وحتى رابيقو في الجنوب ومدينة كركميش في الشمال الواصلة حتى تدمر ومنحدرات جبال لبنان(٢). لقد شهدت بلاد الرافدين وسورية بين عامي ١٢٠٠–٩٠٠ق.م تحولات جديدة مثلت استقرار مجموعات جديدة أُطلق عليها الآراميون، حيث ترافق هذا مع تقلص قوة الإمبراطورية الآشورية الوسطى من جهة، وقدوم هجرات جديدة أطلق عليها شعوب البحر من جهة أخرى(٣). تمكنت القبائل الآرامية من الاستقرار على ضفاف نهر الفرات وبعض مناطق الداخل السوري مشكلة ممالك صغيرة، وكانت كل مملكة دويلة قائمة بذاتها، ومن أهم

---

(1) Grayson.A.K, Assyrian Rulers of the Third and Second Millennia BC to 1115 BC, Vol I, University of Toronto, 1987, P: 128.

(٢) كلينغل، هورست، المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(3) Lipinski. E, The Aramaeans (Their Ancient history, Culture, Religion,), Peeter Publishers, Belgium, 2000, P 25.

هذه الممالك مملكة بيت بخياني وبيت عديني ومملكة دمشق ومملكة حماة وغيرها من الممالك، وقد قويت هذه الممالك في الوقت الذي كانت آشور تعاني من الضعف الشديد، لكنَّ الآشوريين ما لبثوا أن استعادوا قوتهم في ظل حكم آشور رابي الطويل Aššur– rabi(١٠١٠–٩٧٠ق.م)، فسيطر على العديد من القلاع الآرامية الواقعة على نهر الفرات، ودخلوا في صراع مع الآراميين بلغ أوجه في معركة قرقر ٨٥٣ ق.م، تلك المعركة التي قادها شلمنصر الثالث Shalmaneser III (٨٥٩–٨٢٤ق.م) التي سبقها بالقضاء على مملكة بيت عديني بشكل تام، وقد واجه شلمنصر الثالث في هذه المعركة تحالف الممالك الآرامية، لكن النتيجة لم تكن حاسمة لكلا الطرفين(١). في هذه الفترة شهد الساحل السوري في القرن العاشر ق.م نشوء عدد من الممالك الفينيقية التي اعتمدت على التجارة البحرية حيث كان من أهم هذه الممالك مملكة جبيل وصيدا وصور وقد قامت علاقات تجارية بين هذه الممالك(٢) لكن هذه الممالك خضعت للسيادة الآشورية، واضطرت لدفع الجزية، ومع ذلك بقيت تلعب دوراً سياسياً واقتصادياً كمملكة صور التي غدت مركزاً للتوسع الاقتصادي في حوض المتوسط الشرقي والأوسط أو ما يسمى الاستيطان الفينيقي(٣)، لكن سرعان ما حول الآشوريون العديد من الممالك الآرامية والفينيقية إلى مقاطعات آشورية يحكمها موظفون آشوريون، غير أن هذه الإمبراطورية ما لبثت أن ضعفت بعد وفاة آشور باني أبلي Aššur–bani–apli (٦٦٨–٦٢٦ق.م)، وتعرضت نينوى لمعارضة داخلية قوية بزعامة كبار رجالات الدولة بالإضافة إلى الأخطار الخارجية والتي تزعمها الميديون، كذلك عملت المدن الفينيقية على قطع روابطها مع الآشوريين، أما الخطر الأكبر فقد جاء من الجنوب حيث البابليون الذين استغلوا ضعف الإمبراطورية الآشورية، فأقام أحد زعمائها نابو–بولاصر(٦٢٦–٦٢٣ق.م) حكماً خاصاً في بابل التي أطلق عليها الدولة البابلية

---

(1) Lipinski. E, Op.Cit, p259–260.

(٢) كلينغل، هورست، المرجع السابق، ص٢١٤–٢١٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

الحديثة(الكلدية) التي عُدت وريثة الإمبراطورية الآشورية الحديثة، وقد بلغت أوج قوتها في عهد نبوخذ نصر الثاني Nabuchadnazzer II (٦٠٤-٥٦٢ق.م) الذي قاد عدداً من الحملات العسكرية على سورية، واصطدم مع المصريين في عدد من المعارك[١] وتمكن من الانتصار عليهم. خلفه على عرش بابل عدد من الحكام أشهرهم نابو-نائيد Nabunid (٥٥٦-٥٣٩ق.م)الذي لم يكن سليل أسرة حاكمة، لذا اتبع سياسة داخلية تقوم على الاهتمام بعبادة الإله سين، الأمر الذي أثار غضب كهنة مرودك الإله الرئيس في بابل، أما سياسته الخارجية فقد قامت على التوسع في المناطق المجاورة لاسيما سورية، لكن بابل ما لبثت أن تعرضت لهجوم من قبل قورش الثاني ملك الفرس الأخمينيين انتهى بسقوطها٥٣٩ق.م[٢]، حيث كان سقوط بابل بيد الفرس الأخمينيين نقطة تحول هامة ليس في تاريخ بلاد الرافدين فحسب، وإنمّا في تاريخ المشرق العربي القديم، إذ شكل بداية قرون طويلة من الخضوع للقوى الأجنبية المحتلة.

(١) كلينغل، هورست، المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٢) مرعي، عيد، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٦٣-٦٤، السنة التاسعة عشرة، دمشق، ١٩٩٨، ص ٤٠.

الفصل الأول

مفهوم السلطة والمعارضة في بلاد الرافدين وسورية في العصور القديمة (٣٠٠٠-٥٣٩ق.م)

أولاً: السلطة (الملك ونظام الحكم):

١ نشوء دويلات المدن (**cities states**)

٢ ظهور فكرة الدولة (بداية ظهور النظام الملكي)

٣ تعيين الملوك

٤ ألقاب الملوك

٥ تأليه الملوك

٦ تتويج الملوك وولاية العهد

٧ صلاحيات الملوك وواجباتهم

٨ عدالة الملوك

ثانياً: الآلهة مصدر شرعية الحكام

١- الزواج المقدس

٢- العدالة الإلهية

٣- ملوكية الآلهة

ثالثاً: المجالس ودورها في السلطة

١- مجالس الشيوخ وتجمع الرجال الأحرار (المواطنين)

٢- مجالس الآلهة

رابعاً: المعارضة مفهومها وطبيعتها

أولاً: السُّلطةُ (الملك ونظام الحكم)

السُّلطةُ لغةً: جاء في لسان العرب[١]:" سَلَطَ: السَّلاطةُ: القَهْرُ، وَقَدْ سَلَّطَه اللهُ فتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ، وَالِاسْمُ سُلْطة، بِالضَّمِّ. والسَّلْطُ والسَّلِيطُ: الطويلُ اللسانِ، والأُنثى سَلِيطةٌ وسَلَطانةٌ وِسلِطانةٌ، وَقَدْ سَلُطَ سَلاطةً وسُلوطةً، وَلِسَانٌ سَلْطٌ وسَلِيطٌ كَذَلِكَ. وَرَجُلٌ سَلِيطٌ أَي فَصِيحٌ حَدِيدُ اللِّسَانِ بَيِّنُ السَّلاطةِ والسُّلوطةِ. يُقَالُ: هُوَ أَسْلَطُهم لِساناً".

ومن يتصفح المعاجم[٢] العربية يجد أن هذه الكلمة تستخدم للدلالة على: الحجة والبرهان، والولاية، والقوة، وقدرة الملك، والشدة، والحدة، والسطوة، والسيطرة، والتحكم، والقهر، والقوائم الطوال، والسهم، والانتفاع، والحقوق، والفصاحة.

أمّا اصطلاحاً: السلطة والسلطان كل سلطان في القرآن فهو حجة. وأصل السلطنة القوة، ومنه السليط لقوة اشتعاله. والسلاطة لحدة اللسان[٣].

والسلطة هي المرجع الأعلى، والهيئة التي تضع القوانين، وتقود الدولة، وتنظم حياة الأفراد، ويمثلها شخص يعرف باسم الملك (Šarru)، يساعد الملك في الحكم مجالسُ تقدم لهُ المشورة وتعرف بمجالس الشيوخ (puhrum)، وهذه السلطة تكون على قدر من القوة الكافية القادرة على إجبار الناس على الطاعة والرضوخ واحترام سيادة القانون[٤]. ومن أهم واجبات هذه السلطة تسيير أمور الناس، وغالباً ما تتركز بيد فئة قليلة ضمن مناطق صغيرة عرفت بدويلات المدن في العصور الرافدية الباكرة، وكل من يعارض أفكارها ومبادئها يطلق عليه اسم المعارض أو المتمرد أو الخارج عن

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ. مادة [س ل ط].٧/٣٢٠.

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت، مادة [س ل ط] ١٩/٣٧١، ومقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، مادة [س ل ط] ٣/٩٥.

(٣) معجم الكُلِّيَّات، أبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨، ص٤٩١.

(4): Jacobsen. T, The primitive Democracy in Ancient Mesopotamia, The university of Chicago press, JNES, VOL II, No3, 1943, p: 159-160.

القانون، ومن هنا ترافق نشوء المعارضة مع نشوء السلطة[١]. وقد قامت السلطة في العصور القديمة على تسلط الحكم الفردي الذي مثله الملك، وكان هذا الملك يمتلك السلطات كلها، وهو الوحيد القادر على إصدار الأوامر والقرارات والمسؤول عن إقامة العدالة ونشر التسامح بموجب عقد مع الإله، وهو الذي يتحكم بأشكال قوى الاقتصاد كلها داخل الدولة[٢]، ويبدو أنَّ شكل السلطة السياسية كان مرتكزاً على حكم الفرد الذي مثله الملك، والملك بدوره مثل النظام الملكي، لكن هذا لم يمنع من وجود أنظمة سياسية سمحت بإقامة المجالس الشعبية التي أوكل إليها بعض المهام من قبل الملك نفسه، لكن غالبية مهامها اقتصرت على العمل فقط داخل المدينة أو المملكة دون خارجها، واتخذت طابعاً استشارياً، فالملك استبد بكل النشاطات السياسية، وادعى أنه يمثل الإله على الأرض، وأن السلطة شأن سماوي سبغت بالقداسة ويجب طاعتها، حتى إنَّ بعض الملوك ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما ألهوا أنفسهم فكانت الألوهية بالنسبة إليهم بمثابة القوة والقدرة على حفظ النظام والوسيلة الناجعة في إحكام القيد على رقاب المستضعفين[٣]. ومما تجدر الإشارة إليه أن السلطة تجسدت من خلال الدور الفردي الذي مارسه الملك والدور الذي لعبته السلطة في الحياة الاقتصادية من خلال إشرافها على مرافق البلاد الاقتصادية كلها من زراعة وصناعة وتجارة، وقد تكرست هذه السلطة من خلال القوانين والتشريعات التي أصدرها الملوك والحكام وكانت بمثابة السياج الذي حماها وأسبغ الشرعية عليها، فلم يكن من جانب الفرد إلا الطاعة التي أصبحت حقاً من حقوق الدولة على الفرد. ولقد تمكن العديد من حكام بلاد الرافدين من تشكيل سلطة مركزية امتدت على مساحة واسعة من سورية وبلاد الرافدين، وتجلى ذلك في العصر

---

(1): Fleming. E. D, Democracy s' Ancient Ancestor: Mari and Early collective Governance, Cambridge University, Frist published in print format, 2004, p225.

(2) Jacobsen. T, Op.Cit. p:160

(٣)Urban. G .T, Religion and Power divine kingship in the Ancient World and Beyond, The Oriental institute of university of Chicago, Printed by Edwards Brothers, Michigan, 2007, p 20.

الأكادي، ولا سيما في عهد مؤسس الدولة شاروكين Sharrukin(٢٣٣٤-٢٢٧٩ق.م) الذي بسط سيطرته على معظم أجزاء بلاد الرافدين وسورية[١]، ومن خلال ذلك نرى أن الملك مثل جزءاً كبيراً من السلطة والدولة، كما احتفظ لنفسه بالكثير من المهام والصلاحيات، الأمر الذي جعله يشكل ركناً أساسياً من أركان السلطة وأحد أهم رموزها، فكان لابد من دراسة النظام الملكي، والدور الذي لعبه في نشوء الدولة (دويلات المدن)، ومهام الملوك وألقابهم وصفاتهم وطريقة تعيينهم بمزيد من التفصيل.

١- نشوء دويلات المدن (City states):

شكلت المستوطنات التي سكن فيها سكان بلاد الرافدين وسورية دويلات عرفت باسم دويلات المدن (Uru باللفظ السومري/ بالأكادي (alum)[٢]. وتميزت عن المراكز الصغيرة (القرى) التي تتبع لها، فدويلة المدينة تركزت فيها النشاطات العسكرية والسياسية والاقتصادية، بينما عاشت المراكز الأخرى (القرى) حياة بدائية اعتمدت على ممارسة الزراعة بالدرجة الأولى، وكثيراً ما احتوت دويلة المدينة على معبد لآلهتها بينما افتقد العديد من المراكز (القرى) هذه الظاهرة، ثم تطورت هذه المراكز (القرى) وكبرت إلى أن أصبحت تجمعاً كبيراً يطلق عليه دويلة المدينة، ويبدو أن هناك عوامل عديدة ساهمت في تطورها حتى غدت دويلة، ومنها عدد السكان وكثافة الاستيطان وانتشار مهن أخرى غير الزراعة كالصناعة والتجارة[٣]. لقد تشكلت دويلة المدينة من وحدة سياسية ضمت المدينة مع المراكز والأقاليم المجاورة لها التي كانت تحرث من قبل سكان المدينة نفسها، في البداية لم يكن هناك أكثر من ثلاث مدن وبعض القرى التي تم إدارتها من قبل حاكم دويلة المدينة نفسها، ثم تطورت دويلة المدينة فيما بعد لتشكل وحدة سياسية قوية ذات سيادة تحت قيادة حاكمها. وكان في مركز كل دويلة

---

(1) Nigro.L., The two Steles of Sargon: Iconology and Visual Propaganda at the Beginning of Royal Akkadian Relief, Vol 60, Iraq, 1998, P: 90.

(2) CAD, A, vol:1, part I, p:379.

(3) Mieroop. M. V, The ancient Mesopotamia City, Clarendon press, Oxford, 1997, p: 11-12.

معبد المدينة الذي يعبد فيه إله المدينة الرئيس، وتعود معظم الملكيات في المدينة إلى المعبد لذا كانت تدار من قبل كهنة هذا المعبد، وكان لكل دويلة مدينة ملكيات توجد بجوار هذه الدويلة وهذه الملكيات عبارة عن أراضٍ وضيع صغيرة تعود ملكيتها إلى إله المدينة[١]، ومما لا شك فيه أن نشوء دويلات المدن أدى إلى ظهور ظاهرة جديدة هي العداء والتنافس والحروب بين دويلات المدن نفسها بهدف فرض سيادتها على دويلات المدن الأخرى، إضافة إلى أن بعض هذه الدويلات سعت للقضاء على خصومها بشكل نهائي وفرض سيطرتها عليها، وكثيراً ما شُكّلت تحالفات بين دويلات المدن عندما كانت تتعرض لخطر ما، أو بهدف توحيد قواها ضد عدو مشترك أو خوض حرب بهدف السيطرة ومد النفوذ[٢]،لم تلبث دويلات المدن أن اتحدت فيما بينها لتشكل فيما بعد كيان مركز مترابط متماسك أطلق عليه الإمبراطورية، وهنا لابدَّ من البحث عن العوامل التي أدت إلى الوحدة، فلا شك أن أهم هذه العوامل وصول قادة أقوياء إلى الحكم تمكنوا من خلال القوة العسكرية من خلق ظروف الوحدة، وخير مثال على ذلك الملك شاروكين الأكادي الذي كان في البداية حاكماً على مدينة كيش ثم تمكن بفضل قوته من السيطرة وضم المدن الأخرى لمناطق حكمه مشكلاً الإمبراطورية الأكادية ومتخذاً من أكاد عاصمة لها، من الواضح أن الملك شاروكين أراد من وراء ذلك القضاء على دويلات المدن السومرية وتشكيل إمبراطورية ذات إدارة مركزية موحدة أطلق عليها الإمبراطورية الأكادية نسبةً للعاصمة أكاد. وإذا انتقلنا إلى سورية، فقد لعبت طبيعة الأرض دوراً مهماً في نشوء ممالك المدن، فبسبب الموقع الاستراتيجي لسورية بين مراكز الدول الكبرى التي قامت في وادي النيل ووادي الفرات ودجلة وآسيا الصغرى، لم يتمكن الفينيقيون والآراميون من تأسيس دولة قوية موحدة، وبدلاً من ذلك كانوا ينتظمون في جماعات صغيرة على رأس كل منها ملك وصل إلى الحكم غالباً بفضل انتسابه إلى طبقة الأغنياء، وهكذا كانت كل جماعة تتجمع في مدينة محصنة

---

(1) Frankfort .H & Others, Before Philosophy: The adventure of Ancient Man, Baltimore: Penguin, 1949, p: 200-201

(٢) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص ٢٢.

بأسوار وأبراج للدفاع عن نفسها، مما سمح لسكان الريف المجاورين أن يلتجئوا إليها في وقت الخطر، وأن يقصدوها فتكون لهم سوقاً ومركزاً اجتماعياً، بالإضافة إلى ذلك كانت هذه المدن تشكل مركز الدفاع الرئيس ضد غزوات الجيران الأقوياء أو غارات البدو الرحل[١]، إذن شهدت دويلات المدن الكثير من النزاعات والحروب فيما بينها، الأمر الذي انعكس على نظام الملكية في هذه المدن فساعد على عدم استقرارها، وكثيراً ما أسفر النزاع بين دويلات المدن عن انتقال الملكية من مدينة إلى أخرى، وهذا ما تشير إليه قائمة الملوك السومرية، فالملكية انتقلت من كيش إلى أورك بعد هزيمة كيش أمام أورك، وأصبح ميس كياجاشير Mes– Kiagasher ملكاً وأصبح ملكاً لأورك وهو باني أورك وفقاً لهذه القائمة[٢] ، وما لبثت أن انتقلت الملكية بقوة السلاح فيما بعد من مدينة أورك إلى مدينة أور كما يوضح النص الآتي:

" **هزمت أورك في المعركة وانتقلت الملكية لمدينة أور.... وفي أور أصبح ميس – أن – بادا Mes – Anne – Pada)) ملكاً**"[٣].

نستنتج مما سبق أن دويلة المدينة لعبت دوراً مهماً في بناء نظام الحكم، فعلى أرضها نشأ هذا النظام، وشكلت ركناً مهماً من أركانه، وبالرغم من انتقال الملكية من مدينة إلى أخرى، بقيت دويلة المدينة وإن اختلفت تسميتها هي الحاضنة لهذا النظام الذي ترعرع وعاش في كنفها.

٢- ظهور فكرة الدولة (بداية ظهور النظام الملكي):

شهدت منطقة الشرق القديم أقدم الأنظمة السياسية في تاريخ الإنسانية، وقد صورت لنا قصة بدء الخليقة البابلية (Enüma Eilš) الكون على هيئة دولة يحكم فيها الآلهة، وقد عرفت الدولة في البداية بدولة المدينة التي كانت تدار من قبل المعبد الذي يرأسه

---

(١) عصفور، أبو المحاسن محمد، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، ص٩٩-١٠٠.

(2) Jacobsen. F., The Sumerian King list, Assyriological studies, No 11, 1939, p: 83.

(3) Ibid, P93-94.

إله المدينة، ويشرف على أملاكها، وكان سكان المدينة يعملون لصالح الآلهة، بينما الكهنة كان يتولون إدارة المجتمع الخاص بالمعبد وذلك نيابة عن الآلهة[١]. لقد كان الكهنة أول الحكام البشر، ويبدو أن الحكم انتقل منهم فيما بعد إلى أشخاص من قادة المجتمع نتيجة الصراع بين الاثنين (الكهنة والقادة)، فهؤلاء القادة المتنفذون اكتسبوا زعامة المجتمع لما امتازوا به من حنكة وقوة وانتصارات، وتمكنوا فيما بعد من اكتساب صفة القداسة ليصبحوا هم الكهنة الأعلين لإله المدينة. مهما يكن فإن فكرة ظهور الدولة وأخبار الملوك والأفراد قد بدأت بالظهور منذ عصر فجر السلالات الباكرة، وهو العصر الذي نشأت فيه أول الحضارات في بلاد الرافدين، فظهرت دولة المدينة التي تشكلت فيها أول أشكال الحكومة، وكان يحكم فيها حكام أطلقوا على أنفسهم ألقاباً كثيرة مثل انسي Enzi الذي يعني أنهُ وكيل الإله على الأرض، وتشير أيضاً إلى أن سلطة الحاكم مستمدة من إله المدينة[٢]، وكثيراً ما اتخذ بعض هؤلاء الحكام لقب لوغال (Lugal) الذي يعني الملك أو الرجل العظيم[٣]، وهذا يقودنا إلى نتيجة مهمة مفادها أن الفرد لعب دوراً كبيراً في تشكيل الدولة، وهذا يؤكد أن الفرد لا يستطيع العيش إلا منسجماً مع مجتمعه، ويواصل السعي من أجل تحقيق الحياة الفضلى وبناء المجتمع، فالفرد هو الحاكم وهو رأس الدولة والسلطة، وهو الذي كُلِّفَ بقيادة الدولة بموجب عقد مع الإله الذي كلفه بتسيير شؤون البشر، لقد كانت الملكية هبة إلهية ذات أصول رافدية، فالملك هو المسؤول الأول والمباشر عن كل الأنشطة السياسية في دولته تساعده مجالس استشارية محلية في صنع القرار وتدابير الحكم. فمن المعروف أن دويلات المدن كانت تتنازع وتتنافس فيما بينها، وخير مثال على ذلك الصراع الذي حصل بين مدينتي كيش (مهد الملوكية) ومدينة أورك (مدينة البطل جلجامش) فهنا يظهر الدور الذي لعبته أورك في اتخاذ قرار للتصدي والوقوف في وجه حاكم مدينة

---

(1) L.W.King, Enuma Elish: The seven tablet of Creation, vol:12, AMS press, New york, 1976, p270.

(٢) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٥٥، ص٣٧٦-٣٧٧.

(3) Frankfort. H, Kingship and the God, University of Chicago, 1978, p: 218.

كيش، حيث اجتمع مجلس الشيوخ في أورك للبت في اتخاذ قرار التصدي لملك كيش، أو المهادنة والقبول بشروطه، وهذا يمثل أقدم تجربة ديمقراطية في التاريخ القديم، وأكبر دليل على مبدأ التشاركية بين الحاكم والشعب في صنع القرار الذي دل على مدى الرقي الحضاري الذي اتصفت به شعوب بلاد الرافدين في عصورها القديمة[١]، وهذه ظاهرة جديدة في التاريخ القديم، عندما يقوم الملك بأخذ رأي ممثلي الشعب في صنع قراره، ولكننا لا نعرف ما الأسباب التي دفعت جلجامش إلى إشراكهم في القرار الذي اتخذه، ويبدو أن مجابهة ملك كيش وخوفه من خسارة المعركة كانت من أهم الأسباب التي دفعته إلى إشراكهم في تحمل النتيجة التي قد تكون لمصلحة خصمه، بالمقابل كان على الفرد وأبناء الشعب واجب إطاعة السلطة الحاكمة التي تقود المجتمع، فالفرد لابد أن يطيع رب الأسرة، ثم رأس المجتمع والآلهة، فالشعب بلا رئيس كالقطيع بلا راعٍ، ولقد كان السبب في وجوب طاعة أفراد المجتمع للسلطة والآلهة هو أن الغرض من خلق الإنسان عبادة الآلهة، لذا يجب على الفرد طاعة خالقه وصانعه، طالباً من وراء ذلك الجزاء والثواب في الدنيا التي يعيش فيها[٢]، ومن هنا نشأت الطاعة للملوك الذين كانوا يدعون أنهم ممثلو الآلهة على الأرض ويحكمون باسمها، هادفين من وراء ذلك إرضاء الآلهة التي اعتقدوا أن إرضاءها سوف يجلب الخير والسعادة لهم. ففي نهاية العصر السومري القديم، ظهرت فكرة الدولة الموحدة عندما ضم لوجال زاغيزي غالبية جنوب بلاد الرافدين إلى دولته. وإذا انتقلنا إلى العصر الأكادي نرى كيف تمكن الملك شاروكين من توسيع رقعة بلاده وإقامة حكومة مركزية، حيث سار على نهج الملك لوجال زاغيزي (ملك سومر) في توحيد البلاد وتوسيع رقعتها حتى وصلت في عهد أحفاده إلى البحر المتوسط. وفي عهد سلالة أور الثالثة تشكلت مملكة كان الملك يقف فيها على رأس الحكم، واتسع جهاز الدولة ليضم موظفين ساعدوا الملك في إدارة شؤون المملكة، ومنهم موظف كبير يحمل لقب سوكال–ماخ وهو المسؤول عن تنفيذ أوامر الملك، وقد حكمت المقاطعات من قبل حاكم يعينه الملك يحمل لقب أنزي، وغالباً

---

(١) Jacobsen . T, Op.Cit. P:162.

(2) Mendelsohn. I., The Family in the Ancient Near East, Vol. 11, No 2, The Biblical Archaeologist, Columbia University, 1948, P 24.

ما يكون من الأسرة المالكة أو المقربين منها[١]. وإذا انتقلنا إلى سورية فإننا نجد أن الدويلات القائمة التي شكلت حكومات مستقلة لم تتمكن من إقامة إمبراطورية مركزية على غرار ما جرى في بلاد الرافدين، بل على العكس قام العديد من الممالك المتنافسة فيما بينها كمملكة إبلا وماري وكركميش وقطنة، ففي بدايات القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بدأ السوريون القدماء بتكوين دويلاتهم في مناطق سورية، ودخلت العديد من الممالك في صراع فيما بينها، ولاسيما مملكتي ماري وإيمار بهدف الحصول على مكاسب اقتصادية[٢]. أما في العصر الآرامي، فقد ظهر عدد من الدويلات التي أقامت كل منها حكومة مستقلة عن الأخرى، ولم يتمكن الآراميون من إقامة سلطة مركزية موحدة، وقد اتبعت كل دويلة سياسة مستقلة هدفت إلى حماية نظام الحكم السائد فيها[٣]، ولا نعلم لماذا لم تتمكن الدويلات الآرامية من إقامة إمبراطورية موحدة على غرار الإمبراطورية الأكادية، لكن يبدو أن هناك أسباباً عديدة حالت دون قيام هذه الوحدة، فالممالك الآرامية قامت في مناطق متفرقة على مساحة واسعة في شمالي سورية ووسطها، وكانت معظم هذه الدويلات تتنافس فيما بينها على السيادة وترتبط بتحالفات مع قوى خارجية، كالإمبراطورية الآشورية الحديثة التي عاصرتها في تلك الفترة.

وهكذا قدمنا عدداً من الأمثلة عن أنظمة الحكم التي سادت في بلاد الرافدين وسورية، ولا بد أن نشير إلى أن الدين قد لعب دوراً مهماً في فرض الهيمنة على نفوس الشعوب المضطهدة، وشكل أحد دعائم الحكم الملكي في توطيد السلطة. في حين توطدت السلطة المدنية بعد خروج القصر منتصراً على المعبد في الألف الثالث قبل الميلاد، وقامت الدولة التي نظمت أشكال الحياة والتفاعلات الاجتماعية كلها، وأصبح هناك قوانين وتشريعات يخضع لها سكان هذه الممالك، وتمكنت الدولة من قيادة المجتمع

---

(١) فيصل، عبدالله، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الرافدين، ص٢٤٥.

(٢) عبدالله، فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم: بلاد الشام سورية ولبنان وفلسطين والأردن، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٣–٢٠٠٤، ص٢٩٢.

(٣) حمود، محمود، الممالك الآرامية السورية، الطبعة الأولى، روافد للثقافة والفنون، دمشق،٢٠٠٨، ص ٤٩.

ونظمت حياة أفراده، وهذا ما دل على مستوى الرقي الحضاري الذي تمتعت به شعوب بلاد الرافدين وسورية في عصورها القديمة والشوط الذي قطعته في بناء الحضارة الإنسانية.

ولقد عكست الأمثال الرافدية الوضع التقليدي للملك في بلاد الرافدين وسورية، فهو الراعي والمرشد والمدافع عن شعبه، ولا وجود لهُ بدون شعبه، ولا وجود لهم بدونه، بدليل ما كتبه الموظفون لزمري ليم Zimri–Lim (١٧٨٢–١٧٥٩ق.م) ملك ماري حيث بينَّ الانسجام بين الملك وأبناء شعبه " إنَّ المنطقة أو المدينة والقصر ستكون بخير بوجود راعيها"(١). فوجود الملك ركن أساسي من أركان قيام الدولة، والملوك هم المؤتمنون والمنفذون لإرادة الآلهة، فكان لابدَّ من وجود الملك الذي ينظم الحياة في المجتمع، إلا أن الروايات تختلف حول نشوء النظام الملكي الذي يبدو أنه ظهر في العصر السومري، حيث تؤكد أسطورة إيتانا والنسر هبوط الملكية إلى الأرض بعد الطوفان لحمايتها من الخطر، فالملكية كانت مقدسة، وهي هبة إلهية للبشر ليعيشوا بنظام وأمن، ويعود الفضل إلى الإله إنليل في إقامة النظام الملكي والسهر على حسن سيره، وقد أدعى الملوك أن الآلهة هي من منحتهم الملك، وتشير الأناشيد التي نظموها في الاحتفالات الدينية التي أقاموها إلى الدور الذي لعبه الإله إنليل في تعيين الملك وقيام النظام الملكي:

"**إنليل ذو الأوامر بعيدة المدى**

ذو الكلمة المقدسة

الإله صاحب القرار الذي لا يبدل

هو الذي يحقق مقررات السلطة والسيادة الملكية

هو الذي جعل ولادة الملكية

ووضع التاج المقدس على رأس الملك"(٢)

لقد كانت مدينة أريدو مركز الملوكية حيث هبطت فيها، ويبين النص الآتي كيف

---

(١) ARMT. XIII. 108.6, 112.6.

(٢) الشواف، قاسم، الحضارة والسلطة، الطبعة الأولى، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩، ص٣٥.

هبطت الملوكية من السماء في مدينة أريدو السومرية " **هبطت الملوكية من السماء، فكانت مدينة أريدو مركز الملوكية، وحكم في أريدو ألولم ملكاً ٢٨٠٠٠عاماً، وحكم آلكار ٣٦٠٠٠عاماً، والمجموع ملكان حكما ٦٤٠٠٠عاماً..."**[١]

لقد بقيت الملكية مرتبطة بشكل مباشر بمعبد البلاد الرئيس وبالإله الأكبر، الإله القومي للسومريين ومركزه الرئيس في مدينة نيبور، وهو الإله إنليل صاحب الحق بمنح الملكية لمن يشاء من الأمراء، وينصب الملك على العرش، وينطق باسمه، ويعتبر الملك ميزيليم (٢٦٠٠ق.م) ملك مدينة كيش أقدم ملك سومري معروف حتى الآن[٢]. ونلحظ أن النظام الملكي تجسد بشكل قوي مع قيام الإمبراطورية الأكادية، حيث أصبح الملوك الأكاديون آلهة للشعب الأكادي وللشعوب والقبائل الأخرى المتحالفة معهم، فالملك نارام سين الأكادي جعل الشارة الإلهية* لا تفارق اسمه، وتعني الألوهية المطلقة أي إله أكاد. وهكذا تمكن الملوك الأكاديون من حسم الصراع السلطوي مع المعبد لصالح الملكية التي أخذت تحتل المرتبة الأولى في قيادة البلاد، وأصبح المعبد خاضعاً لمراقبة الملك الأكادي[٣]. ثم تطورت الملكية في العصر البابلي وأصبحت أكثر تنظيماً، فكان للملك نائبه ومقره في القصر، وجمع بيده السلطات كلها في البلاد، وتمتع الملك بصلاحيات كثيرة من القيادة العسكرية ورئاسة السلطة القضائية مع بداية الألف الأول قبل الميلاد[٤]. واستمر تطور الملكية في العصر الآشوري حيث بدأت مع بدايات الألف

---

(١) هيفاء، أحمد عبد الحاج أحمد، ألقاب حكام وملوك العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٧، ص٧٠.

(٢) سليمان، توفيق، دراسات في حضارات غرب آسية القديمة من أقدم العصور إلى عام١١٩٠ق.م، الطبعة الأولى، دار دمشق للطباعة، دمشق، ١٩٨٥، ص ١٠٠-١٠١.

* الشارة الإلهية التي كانت تسبق اسم الإله أو الملك المؤله باللغة السومرية ( )، وباللغة الأشورية الحديثة ( )dinger– – an للمزيد انظر:

Labat. R., Manuel D' epigraphie Akkadiennm, LOPG, Paris, 1976, p: 48-49.

أو عيد، مرعي، اللسان الأكادي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١٢، ص ١٠٣.

(٣) سليمان، توفيق، المرجع نفسه، ص١٣٦.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٤٧.

الأول قبل الميلاد تقوم على الديكتاتورية ومركزية الحكم، لأن التقاليد السائدة فرضت حكومة من نمط استبدادي أو حكومة يشرف عليها رجال الدين[١].وإذا انتقلنا إلى الفينيقيين فقد كان النظام الملكي وراثياً، حيث يحكم الملك الذي ينتمي إلى الطبقات الغنية في المجتمع يساعده في الحكم مجلس شيوخ[٢]، يبدو أن هذا المجلس كان يقدم المشورة والنصح للملك، وكان أعضاؤه من أبناء العائلات الغنية التي تعمل في التجارة. وهكذا ساعدت الملكية في تثبيت السلطة وترسيخها، وقامت بتنظيم المجتمع، ولكنها اتسمت بالاستبداد والانفراد بالسلطة، بحيث لم يستطع أحد أن يقف في وجهها، وخصوصاً أن الملك ممثلٌ للإله على الأرض، حتى إنَّ الملك في الكثير من الأحيان مؤله، ويقوم بوظائف الإله، الأمر الذي جعل الملوك يتصرفون كما يريدون دون حسيب أو رقيب.

٣- تعيين الملك:

إنَّ مصطلح لوغال Lugal الذي يعني الرجل الكبير استخدم كلقب للملوك في العصر السومري، ويقابله في اللغة الأكادية Šarru[٣]، وهذه الأخيرة تقابل الكلمة الأمورية Šar التي تعني الأمير أو القائد ولا تعني ملكاً على الأطلاق، أمَّا الكلمة التي تعني ملكاً أو حاكماً فهي Malaku[٤] ، كما في لغات سورية القديمة كالفينيقية /الملك/ maliku، والأوجارتية /الملك/ Malku [٥].

كما ذكرنا سابقاً فقد ادعى الملوك أن تعينهم يتم من قبل الآلهة فهي التي تختارهم، وهذا ما دلت عليه بعض النصوص السومرية عندما اجتمع أهل كيش واختاروا للملكية أبخور كيش من أهالي كيش، كما أن هؤلاء الملوك افتخروا باختيار الآلهة لهم من بين

---

(1) Finet. A, Le trone et la Rue en Mesopotamie: in. La voix de L'opposition en Mesopotamie, l' Institut des Hautes Etudes de Belgique, 1973, p 2.

(٢) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ص١٩٣.

(٣) CAD. Š, Vol:17. Part: II, P:75ff.

(٤) CAD, M\I, vol: 10, p: 158.

(٦) CAD, M\I, vol: 10, p: 166.

رجال مدينتهم فأوروإنمجينا قد اختارته الآلهة من بين ستة وعشرين ومئتي رجل رجلاً من رجال مدينته[١]. ومن هنا نرى أن الملوك لم يستمدوا شرعيتهم من إرادة الشعب بل كانوا يستمدونها من إرادة الآلهة، فقد كانت شرعية السلطة ومصدرها مستمدة من الآلهة، فالكثير من الملوك ادعوا أن استلامهم السلطة كان بتفويض من الآلهة، وخير مثال على ذلك الملك شاروكين الأكادي الذي ادعى أن الآلهة عشتار هي التي اختارته لتولي السلطة في كيش، فشاروكين كان ساقياً عند الملك أور زبابا ملك كيش السومري، ورأى حلماً كانت فيه عشتار تمنحه رعايتها، وتجعل أور زبابا يغرق في نهر من دم، وعندما أخبر شاروكين الملك أور زبابا بالحلم، حاول أور زبابا التخلص منه، لكن عشتار منعته، ووقفت إلى جانبه وساعدته على الوصول إلى السلطة بعد القضاء على أور زبابا [٢]. بينما زكور ملك حماة ولعش يفتخر بأن الإله بعل شامين هو الذي اختاره وأضفى الشرعية على حكمه، إضافة إلى ذلك ادعى أنه ساعده في الوقوف في وجه الحلف الذي تشكل ضده للسيطرة على مدينة حزرك، وأخبره عن طريق العرافين ألاّ يخاف من هذا الحلف لأنه سوف يقف إلى جانبه[٣]. كذلك تدل نقوش شمأل الآرامية على أن الملك برراكب قد تم اختياره من قبل الإله ركب إيل الذي ثبته في الحكم وأضفى الشرعية عليه[٤]. ولم يختلف الأمر كثيراً عند الفينيقيين، فملك جبيل يدعي أن بعلة جبيل هي التي اختارته ملكاً حيث قال: " **أنا يحاو ملك جبيل، الذي جعلتني الربة بعلة جبيل ملكاً على جبيل**"[٥]. يبدو أن هؤلاء الملوك كانوا يدعون أن الآلهة هي من اختارتهم لإضفاء الشرعية على حكمهم، محاولين في ذلك إضفاء

---

(١) الأحمد، سامي سعيد، الإدارة ونظام الحكم، حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥، ص١١.

(٢) مرعي، عيد، الأسطورة في حياة ملوك الشرق القديم، مجلة مهد الحضارات، العدادان ١٩-٢٠، ٢٠١٤، ص ١٢.

(٣) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية، منشورات جامعة حلب، ١٩٩٧، ص٢١٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٨٣.

(٥) حامدة، أحمد، الملك والأسرة المالكة في فينيقية، مجلة دراسات تاريخية العددان ٤٩-٥٠، ١٩٩٤: ص١٣٦.

الشرعية على حكمهم بالتخفي وراء الحق الإلهي ورغبة الآلهة في اختيار من يمثلها على الأرض.

وقد كان الاعتقاد السائد عند السومريين، ولاسيما في العصور المبكرة أن الإله إنليل هو الذي يمنح الملوكية ويرعى شؤونها، فهو مصدر السلطة وهو الذي يمنح شارات الحكم، وهو الذي يعلن عن اسم الملك ويعطيه الصولجان[١]. فمن الممكن أن يكون الملك الذي يدعي أنه مختارٌ من قبل الآلهة مغتصباً للعرش، ويحاول أن يضفي صفة الشرعية على حكمه بأن يدعي أن آلهة ما قد أحبته واختارته لكي يصبح ملكاً، وساعدته على اعتلاء العرش بالقوة، وهذا ما نجده عند شاروكين الأكادي الذي ادعى أن الإلهة عشتار أحبته ومنحته الملكية، فشاروكين لم يكن سليل أسرة مالكة، إنما كان مغتصباً للعرش، وسيطر على العرش بالقوة. أمَّا في العصر الآشوري فقد كان نظام الحكم وراثياً في أغلب الأحيان، وكان الابن الأكبر يرث أباه، وكانت الآلهة تلعب دوراً في هذا التعيين سواءً عن طريق أخذ موافقتها أم من خلال مبادرة الآلهة نفسها في اختياره، وعلى الرغم من اختيار ولي العهد من قبل أبيه الملك إلا أنه يلحظ افتخار الملوك بوقوع الاختيار الإلهي عليهم، وهذا ما نلحظه في نصوص الملك الآشوري شلمانو-أوصر(شلمنصر الثالث)، إذ جاء في أحد نصوصه "**عندما السيد العظيم آشور بقلبهِ اختارني ومنذ وقت طويل بنظرته الثاقبة**"[٢].

لقد كان تعيين الملك –حسب ادعائه– يتم بالدرجة الأولى من قبل الآلهة، ولم يكن لشعوب الممالك أي دور في اختياره، حتى إن مجالس الشيوخ التي توافق على تعيينه كانت موافقتها شكلية، إذن فالملك ممثل الإله على الأرض لذا لا يسمح لأحد أن يعترض على تعيينه، ومن يعترض على ذلك يُعاقَب من قبل الآلهة والملك الذي يمثلها، وغالباً ما كان نظام الحكم وراثياً، أي إن الابن يخلف والده على السلطة إلا في حالات قليلة عندما يقوم أحد رجال البلاط أو الدولة بالإطاحة بحكم الملك والسيطرة على الحكم، عندها يُعَدُّ هذا الملك مغتصباً للسلطة ولكن بمبادرة الآلهة وبمباركتها.

---

(١) فاضل، عبد الواحد علي، طلائع الفكر السياسي في العراق القديم، مجلة آفاق عربية العددان ٣-٤، ٢٠٠٢، ص٣٨.

(2) Frankfort.H, Kingship and the Gods, Chicago, 1978, P:238.

٤- ألقاب الملوك:

مما لا شك فيه أن دراسة ألقاب الملوك في بلاد الرافدين وسورية تعطينا تصوراً مهماً عن نظام الحكم ومراحل تطوره، كما توضح هذه الألقاب مكانة حاملها ومركزه ودوره في قيادة السلطة وواجباته، وتعكس أيضاً الوضع السياسي القائم وانتقال السلطة وتداولها، وخصوصاً أن هذه الألقاب كانت تحمل في مضمونها نوعاً من إضفاء القدسية والشرعية على حكم هؤلاء الملوك، والحصول على رضى الآلهة، كما أن هذه الألقاب كان يزيد عددها مع سيطرة الملوك على مناطق جديدة واتساع مناطق النفوذ، فالملك نارام سين أطلق على نفسه لقب ملك الجهات الأربع وملك كل الملوك[١]. وكانت هناك الكثير من الألقاب التي تصف شخصية الملك، وتهدف إلى تقليص الهوة بينه وبين رعيته وتقريبه منهم، وكان من هذه الألقاب لقب الملك الراعي التي وردت في اللغة السومرية بصيغة **سيبا، سيب SIBA-SIB** ويقابلها في اللغة الأكادية **ré'û**[٢]، وهي الكلمة المرادفة لكلمة راع باللغة العربية، وقد ورد هذا المصطلح ضمن الألقاب الملكية السومرية، وخاصة في عهد سلالة كيش، إذ تذكر قائمة الملوك السومرية عن الملك الثالث عشر في سلالة كيش ايتانا نصاً مفاده: " **ايتانا، الراعي، الرجل (الذي) صعد إلى السماء، الرجل (الذي) ثبت (وحد) كل البلدان، أصبح ملكاً**"[٣].

كذلك استعمل الملك جلجامش هذا اللقب، فقد ورد في ملحمة جلجامش في اللوح الأول ما يأتي: "**جلجامش هو راعي أورك السور والحمى، هو راعينا، قوي وجميل وحكيم**[٤]".

وكانت هذه الألقاب تحمل في مضمونها طابعاً دينياً بسبب ادعاء الملوك أنَّ الآلهة هي التي منحتهم السلطة والقوة ليزيدوا من نفوذهم، ويضفوا الشرعية على حكمهم،

---

(١) جين، بوترو، الإمبراطورية السامية الأولى في الشرق الأدنى (الحضارات الباكرة)، ترجمة: عامر سليمان، لندن، ١٩٦٧، ص١١٤-١٢٢.

(2) CAD, R, vol:14, p:303.

(3) Jacobsen, T., The Sumerian King, Chicago, p 142.

(٤) باقر، طه، ملحمة جلجامش: أوديسة العراق الخالدة، د.ت، د.ط، ص٣٩.

فالملك السومري لوجال زاغيزي ادعى أن الإله إنليل منحه الحكم على كل البلاد، وأطلق يده على الأراضي الممتدة من الشرق إلى الغرب، أي من وادي دجلة والفرات شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً[١]، حتى إن بعض الملوك ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما استخدموا ألقاباً تدل على أنهم ممثلو للإله على الأرض، ففي العصر الآشوري كان الملك ممثل الإله آشور AŠ-sur ونائبه على الأرض، وهذا ما يعكسه لقب إشكو iššakku[٢]، حيث لقب الملوك الآشوريون أنفسهم بهذا اللقب للدلالة على سلطتهم المستمدة من الإله آشور، إذ أضفت هذه العلاقة مع الإله آشور نوعاً من الشرعية على حكم الملك وأكسبته الاحترام[٣]. أمّا ملوك إبلا، فقد حملوا اللقب السومري en وهو يعادل اللقب malik في اللغة الإبلوية، وهو يدل على الملك[٤]. وفي ماري لُقِّبَ الملك زمري ليم بملك ماري وبلاد خانا، وهذا يدل على أن الملك زمري ليم لم يكن يَعدُّ نفسه ملكاً على ماري فقط، بل ملكاً على البدو المتجولين والقبائل المنتشرة، مثل خانا والسوتو وغيرهما من القبائل البدوية المتجولة[٥]. لم تقتصر الألقاب على الملوك دون الملكات، فالملكة شمورامات (سميراميس) زوجة الملك شمشي أدد الخامس(٨٢٣-٨١١ق.م) أحد ملوك العصر الآشوري الحديث، لُقِّبَتْ بلقب سيدة القصر[٦]، فقد تولت إدارة الحكم بعد وفاة زوجها لتكون وصية على ابنها القاصر أدد

---

(1) Frankfort.H., Op.Cit, p: 227.

(٢) مصطلح أكادي يعني حاكم مدني (أمير) ورد في سلسلة القوائم المعجمية بصيغة iš-šakku يبدو أنها تعني حاكم محلي لمدينة ما. انظر: CAD,I\J,vol:7, P269.

(3)Mieroop.M.C.D, A history of the ancient near East 3000-323 B.C,Oxford, 2004, p9.

(4)Gioanni.P, The Royal Archives of Tell Mardikh- Ebla, Biblical Archaeologicalist, vol39, 1976, p47.

(5) Kupper.J.R, les nomads en Mesopotamie au temps des rioes des Mari, Paris, 1957, p 30.

(٦) ثلماستيان، عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، بغداد،١٩٨٧، ص٢٥٢-٢٥٣.

انظر أيضاً: عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، المدخل إلي تاريخ الحضارة، ص٩٨.

نيراري الثالث الذي خلف أباه، وتمكنت أن تدير الحكم في بلاد آشور مدّة خمس سنوات، وحققت العديد من المنجزات العسكرية والعمرانية التي أكسبتها شهرة عظيمة " **نصب سَمورامات، سيدة قصر شمشي-أدد، ملك الجميع، ملك بلاد آشور، أم أدد نيراري، ملك الجميع، ملك بلاد آشور، ... شلمنصر ملك الجهات الأربع**"(١).

أما عند الفينيقيين فقد أطلقوا على حكامهم لقب ملك Mlik أو مليك Melek الفينيقية وتعني ملكاً، وتدخل في تركيب ملقارت Melqart بالفينيقية: ملك قرت أي ملك المدينة، وملقارت هو إله صور المشهور الذي انتشرت عبادته أيضاً في المستوطنات الفينيقية التي أسستها مدينة صور، ومن الألقاب الفينيقية أدون Adon وتعني سيد، أو أدوني وتعني سيدي(٢).

لقد دلت الألقاب التي اتصف بها ملوك بلاد الرافدين وسورية على ورعهم وتقواهم وعلاقتهم بالآلهة من جهة، وبينت سعة نفوذهم وقوتهم وسيطرتهم على ممالكهم، وربما على بلدان أخرى وأقاليم خارج حدودهم من جهة أخرى، وهذا يدل فعلاً على القوة والبأس الذي امتاز به هؤلاء الملوك، وقد عكست هذه الألقاب الدور السياسي الذي لعبه الملوك، وبينت مدى الارتقاء الذي وصلت إليه المؤسسة الملكية التي كانت بمنزلة العمود الفقري للسلطة.

٥- تأليه الملوك:

على الرغم من سعي ملوك بلاد الرافدين وسورية للحصول على رضى الآلهة، واعتبار أنفسهم ممثلي الآلهة على الأرض، وممارستهم الحكم نيابة عنهم، وتصوير أنفسهم على أنهم صورة الإله على الأرض، إلا أن بعض الملوك ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقاموا بتأليه أنفسهم، ويبدو أن هناك أسباباً عديدة دفعتهم إلى ذلك، ويُعَّدُ الملك الأكادي نارام سين من أبرز الملوك الذين ألهوا أنفسهم، وقد قاده إلى ذلك جملة من الأسباب منها اتساع رقعة الدولة الأكادية، وعدم سهولة السيطرة على الأجزاء المترامية الأطراف، ورغبة الملوك الأكاديين في وضع نظرية جديدة تتناسب مع اتساع سلطة الملوك،

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص٤٠٧.

(٢) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ص ٢٠٦-٢٠٧.

ونجاحهم في تأسيس أول مملكة تضم جميع أراضي بلاد بابل وآشور الأمر الذي أدى إلى ارتفاع شأن المؤسسة الملكية، فلم تعد الألقاب السابقة كافية لتصف منزلة الملك، لذا قاموا باستحداث ألقاب أخرى تتلاءم ومكانته الجديدة ومقامه الرفيع[١]. وقد سبقت أسماء الملوك في العصر الأكادي بلقب دينغر Dinger وهي إشارة تدل على الملوك المؤلهين، ويرى بعض الباحثين أن سبب التأليه يعود إلى تغيَّر في أعمال الملك والدور الذي يقوم به، إذ أصبح صورة الإله في نظر رعاياه، ومسؤولاً عن تنظيم شؤون الناس، وسيد خيرهم وشرهم ومصيرهم[٢].وكذلك عملية الزواج المقدس التي مارسها ملوك بلاد الرافدين وسورية، فقد ارتبطت بمبدأ التأليه والدور الذي لعبه الملوك في ممارسة هذه الطقوس، فقد مارس الملوك دور الإله تموز في هذا الطقس وشجعه على تأليه نفسه، في حين مثلت إحدى كاهنات المعبد دور الإلهة إنانا، وكان الأولاد الذين يولدون من هذا الزواج أشخاصاً مؤلهين، وعندما تسنح لهم الفرصة بتسلم مقاليد الحكم لا يوفرون جهداً، وخصوصاً أن صفة الألوهية كانت قد لازمتهم باعتبار أنهم من أبوين تقمصا شخصية الآلهة ساعة تكوينهم، أما إذا انتقلنا إلى اختفاء ظاهرة تأليه الملوك في العصر البابلي فسببه خوف السلطة السياسية من المشاكل التي يثيرها الأشخاص المؤلهين الذين يعتبرون أنفسهم أحق من غيرهم في تسلم السلطة على اعتبار أنهم من نسل الآلهة[٣]. وليس هناك أي دليل على تأليه الملوك أنفسهم في عصر فجر السلالات الباكرة(٢٩٠٠-٢٣٥٠ق.م) إنما اقتصر ذلك على تأليههم بعد مماتهم مثل لوكال باندا وجلجامش، حيث إن هذين الملكين حكما كما يفترض في الفترة المبكرة، ولكن مفهوم التأليه باستعمال العلامة الدالة دينغر dinger قبل اسم الملك ورد لأول مرة في العصر الأكادي في عهد الملك نارام سين حفيد الملك شاروكين[٤]. وفي عصر سلالة أور

---

(١) الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، بغداد،١٩٩١، ص٢٠٠.

(٢) بوترو، جين، المرجع السابق، ص١١٧.

(٣) رشيد، فوزي، المعتقدات الدينية في حضارة العراق القديم، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٥، ص١٨٣.

(٤) هيفاء، أحمد عبد الحاج أحمد، المرجع السابق، ص١١٨.

الثالثة قام الملك شولغي Šhulgi (٢٠٩٣-٢٠٤٦ق.م) بتأليه نفسه بعد عشرين عاماً من توليه العرش[١]، حتى إنه بعد مماته، قدمت إلى تمثاله القرابين والنذور، وأطلق اسمه على أحد أشهر السنة في التقويم السومري (شولغي المقدس)، وتم بناء معبد لأجله، ووصفته التراتيل الدينية بأنه الملك الذي يحيي الناس[٢]. أمّا عند سلالة بابل الأولى نجد الملك حمورابي لم يستعمل لقب دينغر، ولم يؤله نفسه واكتفى بلقب رسول الآلهة وممثلها على الأرض، ويبدو أن هناك أسباباً عديدة دفعت حمورابي لعدم تأليه نفسه، فحمورابي تمكن من بسط سيطرته على أنحاء بلاد الرافدين كلها، وجمع بيده السلطات والصلاحيات كلها لاسيما في المجال الاقتصادي حيث سيطر على المؤسسة الاقتصادية بعد أن أصبحت جزءاً من أملاك القصر وأصبح المعبد يخضع للقصر، وأصبح حمورابي يمتلك من القوة ما لا يجعله بحاجة للتخفي وراء الألوهية[٣]. وإذا انتقلنا إلى العصر الآشوري فالملوك لم يؤلهوا أنفسهم وربما يعود السبب في ذلك إلى مكانة الإله آشور عندهم، وعدم الرغبة في أن يكونوا نداً له أو لأسبابٍ أخرى غير معروفة لنا. أمّا في العصر البابلي الحديث، فلم ترد إشارات واضحة إلى تأليه الملوك، إلا أن أسماء الآلهة شكلت جزءاً من أسمائهم مثل نبو/نابو كما أشارت إلى ذلك نصوصهم الملكية[٤]. فيما يخص ملوك أوجاريت والفينيقيين والآراميين فإنهم لم يؤلهوا أنفسهم، وإنما عَدُّوا أنفسهم ممثلي الآلهة على الأرض، وقد منحت الآلهة السلطة للملوك لينوبوا عنها في إرساء مبادئ العدالة وحماية الضعيف من القوي وليكونوا أنصاراً للأرامل واليتامى، فالملك هو صلة الوصل بين الآلهة والناس، يبني المعابد،

---

(1) Urban.G.T, Op.Cit, p21.

(٢) الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار، المرجع السابق، ص١٢١.

(٣) كلينغل، هورست، حمورابي البابلي وعصره، تعريب: محمد وحيد خياطة، الطبعة الأولى، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، مطبعة العجلوني، دمشق، ١٩٩١، ص١٣٥.

(٤) محمد، حياة إبراهيم، نبوخذ نصر الثاني ٦٠٤-٥٦٢ق.م، وزارة الثقافة العراقية، المؤسسة العامة للآثار والمتاحف، بغداد، ١٩٨٣، ص٥٣-٥٤.

ويعيين الكهنة، ويتقدم العبادات والشعائر الدينية التي تقدم باسمه[١]، ولا يوجد أي ذكر لملوك تم تأليههم عند هذه الشعوب.

لقد مثلت ظاهرة التأليه نظرة التقديس للملك كونه ممثل الإله على الأرض ويحكم باسمها، هادفاً الملك بذلك إلى رفع شأنه والمحافظة على سلطته ضد الطامعين بها، وهذا ما قلل من حدوث اضطرابات وثورات ضد سلطته، وخصوصاً أن قدسية الملك كانت جزءاً من قدسية الإله الذي يعبدونه والذي يمثله الملك على الأرض.

٦- تتويج الملوك وولاية العهد:

عرفت بلاد الرافدين وسورية العادات والتقاليد الخاصة بتعيين ولي العهد، حيث كانت تتم عن طريق تفويض الآلهة الملوك والحكام باختيار من سوف يخلفهم على العرش، وادعى الملوك أنهم كانوا مسوقين في ذلك برغبة الآلهة وموافقتها على التعيين، فقد أتاح نظام الحكم الوراثي للملك اختيار ابنه ليرث الحكم من بعده، وكان للآلهة دور في هذا الاختيار سواء عن طريق موافقتها أم من خلال مبادرة الآلهة نفسها في اختياره، وكانت توحي بقرارها حسب اعتقادهم إلى الكهنة عن طريق الأحلام وقراءة الفأل وغيرها من الوسائل الكهنوتية المعروفة لديهم، ويعد اختيار ولي العهد ضرورة تحتمها طبيعة نظام الحكم فضلاً عن الفكر الديني الذي كان سائداً، ولضمان الاستقرار في البلاد فضلاً عن رغبتهم في بقاء العرش ضمن السلالة الملكية الحاكمة[٢]. وعلى الرغم من اختيار ولى العهد من قبل أبيه، إلا أنه يلحظ افتخار الملوك بوقوع الاختيار الإلهي عليهم، واستبعاد ذكر الآباء في تنصيبهم في أغلب الأحيان مكتفين بتقديم الشكر للآلهة التي منحتهم العرش، ونجد ذلك في أحد نصوص الملك الآشوري شلمانو-اوصر (شلمنصر الثالث):

"e-nu-ma aš-šur ENGAL- ú ina ku- un- SA- šú ina
IGI. II. MEŠ- Šú ku. MEŠ ud- da- ni- ma ana SIPA

---

(١) حمود، محمود، الديانة السورية القديمة خلال عصر البرونز الحديث والحديد ١٦٠٠-٣٣٣ ق.م، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ٢٠١٤، ص ١٠٦.

(2) Frankfort.H, op.cit, p238.

Ut kur aš- šurib- ba- a[n-ni][1]"

"عندما السيد العظيم آشور اختارني

بقلبه الثابت، بنظراته الثاقبة

واختارني لأكون ملكاً على آشور".

ويبدأ تتويج الملك الجديد بعد الانتهاء من دفن الملك المتوفى واكتمال الطقوس الدينية الخاصة بذلك، ثم تُقام مراسم تتويج ولي عهده، ولدينا صورة من قصر ماري في عهد زمري ليم عن طريقة تتويج الملك، حيث يلبس الملك الشارات التي تُقدمها له الإلهة عشتار في احتفال خاص يحضره عدد من الآلهة[٢]، وتحمل بيدها اليسرى سيفاً وباليمنى عصا وحلقة. أما عند الآشوريين فقد اختلفت المراسم نوعاً ما، حيث كان الملك يتوجه إلى معبد الإله آشور في مدينة آشور، إذ تودع فيه الشارات الملكية، ويجلس الملك على عرش يحمله الرجال في حفل كبير، بعد ذلك يدخل الملك إلى المعبد فيقبل الأرض وينشر البخور، ثم يرقى منصة عالية حيث يوجد تمثال الإله، ويقدم الملك المتوج الهدايا من الذهب والفضة، بعد ذلك يتم إحضار تاج الإله آشور، حيث يقوم الكاهن الأكبر بحمل التاج والصولجان إلى الملك، بعد ذلك يصلي كبار رجال الدولة من أجل الملك، وأخيراً يعود الملك إلى قصره ليجتمع مع كبار رجالات الدولة الذين يقدمون لهُ فروض الطاعة والولاء[٣]. ولم يختلف الأمر كثيراً في الدولة البابلية الحديثة، إذ يذكر الملك نابونيد أشهر ملوك الدولة الكلدية الحديثة أن الإله سين هو الذي منحه السلطة والسيادة في البلاد، وهو الذي دعاه لاستلام السلطة في بابل

---

(1) Grayson, K. A., The Royal Inscription of Mesopotamia (Assyrian period): Assyrian Rulers of the early first Millennium BC (858-745 BC), University of Toronto press, Canda,1996, p8.

(2)Charpin, D., Mari et le Proche-Orient A' L' Epoque Amorrite Essai d' histoire Politique, Antony (France), 2003, P: 9-10.

(٣) الأحمد سامي سعيد، الإدارة ونظام الحكم، ص٢٠.

حيث صلت لأجله الآلهة[1]. أمّا الآراميون فلم يختلفوا كثيراً عن الآشوريين في عملية التتويج، إذ كانت الآلهة تقوم بترقيتهم وتنصيبهم على العرش، وهي التي تضع الصولجان بيد الملك، أي ببساطة تجعله ملكاً، حيث يقوم الملك بتقديم الذبائح والنذور لهذه الآلهة تعبيراً عن شكره وامتنانه لها، فالملك زكور ملك حماة ولعش يفتخر بأن الإله بعل شامين هو الذي توجه على رأس السلطة، وساعده في تثبيت أركان حكمه[2]. لقد حاول ملوك بلاد الرافدين وسورية من وراء عملية التتويج وتعيين ولي العهد القضاء على أية محاولة تهدف إلى تغيير نظام الحكم وحصره في الأسرة الحاكمة نفسها، وما ادعاؤهم بأن الآلهة هي التي توجتهم على كرسي الحكم إلا بسبب سعيهم إلى إضفاء صفة الشرعية على تسلمهم الحكم، ولم يصلوا إلى المرحلة التي يختارون فيها من يرأسهم، وخاصة أن الآلهة هي التي تقوم بالتتويج، وهذا لا يختلف كثيراً عن الأنظمة الملكية في عصرنا الحالي، ويكمن الاختلاف بأن الملوك هم من يختارون أولياء العهد من بعدهم، ويتوجون أنفسهم ملوكاً على ممالكهم بخلاف ملوك العصور القديمة الذين يدعون أن الآلهة هي التي تختارهم وتتوجهم.

٧- واجبات الملك:

لقد عُدَّ الملك النائب والممثل الأول عن الآلهة، إذ كان عليه القيام بالعديد من الواجبات الدينية والدنيوية، حيث تنوعت واجباته ومسؤولياته بتنوع المسائل التي يعالجها، ولكثرة هذه الواجبات كان الملك يعين أحياناً من ينوب عنه في متابعة تلك المهام والتأكد من مدى تنفيذها، وتأتي في مقدمة واجبات الملك ترجمة رغبات الآلهة التي توحيها إليه بطرائق شتى سواء عن طريق الرؤى والأحلام[3]، أم عن طريق ما يتكهن به الكهنة من حدوث ظواهر طبيعية معينة، أم عن طريق وسائلهم الكهنوتية الخاصة، فكان من

---

(1) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الرافدين، ص٤٦٧.

(٢) إسماعيل، فاروق، المرجع السابق، ص٢١١.

(2) الجبوري، علي ياسين، نظام الحكم، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الأول، الموصل،١٩٩١، ص٢٣٤-٢٣٥.

أهم واجبات الملك القيام بالشعائر والطقوس الدينية المختلفة، والإشراف على بناء المعابد وترميمها وتوسيعها تنفيذاً لإرادة الآلهة[١]، فضلاً عن مشاركة الملك في إجراء المراسم والطقوس الدينية الاعتيادية، فقد تولى الملك دوراً قيادياً وفعالاً في احتفالات رأس السنة، وطقوس الزواج المقدس بوصفه يمثل فيها دور الإله تموز وزواجه من إنانا[٢]. وكذلك كان على الملك أن يستشير الآلهة في الأمور المهمة كالقيام بالحملات العسكرية، وتنصيب حكام المدن وكبار موظفي الدولة، ثم يرفع التقارير إلى آلهة المدينة عن طريق الكهنة حيث يشير فيها إلى أعماله ومنجزاته العسكرية والعمرانية، وكانت هذه التقارير تدون على ألواح طينية، وتوضع في أسس الأبنية ولاسيما المعابد والقصور[٣]. أمَّا الواجبات الدنيوية للملك لكونه الرئيس الأعلى في المملكة، فهو مسؤول عن إقامة العدالة، ونشر التسامح بموجب عقد مع إله المدينة، وهو القائد الأعلى لجميع القوات العسكرية في البلاد، وهو الذي يقود المعارك، ويتحكم بقوى الاقتصاد كلها، ويعين السفراء والمبعوثين، ويعقد المعاهدات والاتفاقيات[٤]. لقد مثل الملك رأس الدولة وكانت السلطات كلها مركزة بيده، وهو صاحب السلطان المطلق، وهو من يقوم بتعيين القضاة على اختلاف درجاتهم، وكان الملك ينظر في الشكاوى التي تقدم إليه. ووقع على عاتق الملك أيضاً مسؤوليات اجتماعية واقتصادية تهدف إلى تحقيق الازدهار الاقتصادي والعدالة بين المواطنين، وتبين نصوص شمأل الآرامية الدور الذي لعبه ملكها كيلامووا (٨٨٠-٨١٥ق.م) في تحقيق العدالة الاجتماعية والازدهار الاقتصادي والعمراني، حيث سعى إلى تحقيق المساواة بين الفئات التي تكون منها مجتمع مملكة

---

(١) الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار، الإدارة والسياسة: العراق في موكب الحضارة، الجزء الأول بغداد، ١٩٨٨، ص٣٤١.

(٢) كريمر، صموئيل، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مكتبة المثنى بغداد، مؤسسة فرانكلين للطباعة، بغداد، ١٩٥٦، ص٣٦٤-٣٦٥.

(٣) الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، ص٢٠٤.

(4) Jacobsen. T, Op.Cit. P: 160.

شمأل في تلك الفترة وهما طبقتـــا(البعرريم–الموشكابيم*)، "**من لم يرَ من قبل شاة جعلته مالك قطيع ومن لم يرَ من قبل بقرة جعلته مالك بقر**[١]". لقد أراد كيلامووا من هذا القول المساواة بين أبناء شعبه وتحقيق العدالة في سبيل الحفاظ على حكمه ومنع النزاعات والصراعات بين الطبقتين التي تؤدي إلى اضطرابات تسهم في إضعاف سلطته.

وفي أوجاريت كان الملك مركز القوة والسلطة، وكان يمثل الإله على الأرض، ويقف على رأس الهرم الإداري، وهو مالك الأرض، ويمنح الأملاك لرعاياه، والقائد الأعلى للجيش ورئيس القضاء الأعلى، وكان الملك يرأس الطقوس الدينية بصفته السيد الأعلى للاحتفالات الدينية[٢].

فمن خلال هذا السرد البسيط لصلاحيات الملوك في بلاد الرافدين وسورية نلحظ أن نطام الحكم كان يقوم على حكم الفرد، حيث يجمع الملك بيده أغلب الصلاحيات إن لم يكن جميعها، هذه الصلاحيات الأكثر فاعلية وتأثيراً في الدولة، بالرغم من وجود المجالس التي ساعدت الملك في إدارة الدولة إلا أن دورها اقتصر على تقديم المشورة وظل الملك هو الآمر والناهي وبيده السلطة العليا.

٨- عدالة الملوك:

دأب ملوك بلاد الرافدين وسورية في العصور القديمة على جعل العدالة ركناً أساسياً في خطابهم، لكونها أساساً يعتمد عليه الحكم، وموطداً للعلاقة بين الشعب والملك،

---

*الطبقتان الرئيستان في المجتمع الآرامي الأولى (البعرريم) تشير إلى طبقة الحكام من الآراميين البدو أو طبقة المشايخ الحكام، أو الطبقة العالية (علية القوم)، وقادة الشعب والغزاة الآراميين، أما الكلمة الثانية (الموشكابيم) وتشير إلى عامة القوم من الفلاحين والحرفيين، أو السكان المقيمين للمزيد أنظر:

حمود، محمود، الممالك الآرامية السورية،٢٥٦–٢٥٧.

(١) إسماعيل، فاروق، المرجع السابق، ص٢٢–٢٣.

(2) Wilfred,H., Soldt,H., The City–Administration of Ugarit, Leiden University, 2010, p249–250.

وكانت السلطة السياسية ترى أن من واجبها تحقيق العدالة بقدر يجعلها حقاً لكل إنسان، فهي حق من حقوقه وليست منة من أحد، وخصوصاً أن السلطة كانت تمثل التجسيد الحقيقي لإرادة الآلهة، لذلك لا يمكن للسلطة السياسية أن تتحقق بمعزل عن العدالة، لأن العدالة من أهم مضامين إرادة الآلهة[١]. وقد افتخر الملوك منذ العصور الباكرة بأنهم نشروا العدالة في البلاد، وقد عبروا عن العدالة في اللغة السومرية بالمصطلح **ني-سي-سا NI- SI-SA** (ويقابله باللغة الأكادية **ميشارو mišaru**[٢]. حيث كان الملوك يمثلون رأس العدالة في الدولة، وادعوا في معظم كتاباتهم أنهم ملوك العدالة، وقد عكس هذا اللقب مفهوم تحقيق العدالة بين الشعب، وقدم دوراً مهماً في توضيح مسؤولية الملك المباشرة عن تحقيق العدالة بالنيابة عن الآلهة على أساس أنه ممثلٌ لهم، وأنه يعمل على تثبيت دعائم النظام والقانون في أرجاء البلاد بوصفه صاحب السلطة القضائية العليا والنهائية التي تبت في بعض الدعاوى الموجهة إليه[٣]. وقد حرص الملوك على تطبيق العدالة فعدالة الحكم كانت أساساً للاستقرار السياسي أو الرفاهية، فلقبوا أنفسهم بألقاب تحمل هذه الصفة، فالملك شاروكين الأكادي لقب نفسه بملك العدالة الذي ينطق بالحق[٤].

وفي الألف الثاني قبل الميلاد شهد مفهوم العدالة ازدهاراً كبيراً، حيث أدرج كجزء أساسي في التشريع، وظهر جلياً في شريعة حمورابي(١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) Hammurapi معززاً بنظرة شمولية للعدل، حتى إن حمورابي أطلق على السنة الثانية والعشرين من حكمه السنة التي أقام فيها حمورابي العدالة في

---

(١) الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، الجزء الثاني، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١، ص٥٣٦.

(2) CAD, M, vol: 10, part: II, p: 166ff.

(3) Nejat,K.R.N., Daily life in Ancient Mesopotamia, Hendrickson, 1998, p55.

(٤) الأعرجي، حسين سيد نور، مفهوم العدالة في الخطاب السياسي في العراق القديم ٣٠٠٠-٥٣٩ق.م، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدادان ٣-٤، المجلد السابع، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٨، ص٢٠٠.

البلاد[١]. أمَّا في الألف الأول قبل الميلاد، فقد ظلَّ تطبيق العدالة من أهم واجبات الملك بوصفه المفوض والمختار من قبل الآلهة ليحكم البلاد ويحميها وينشر العدل، وقد ورد في كتابات الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ق.م) أنه نشر العدل والقوة في جميع أنحاء الأرض[٢]. ولم يختلف الأمر كثيراً عند الفينيقيين، فقد كان من أهم واجبات الملك رفع الظلم ونشر العدالة والمساواة بين أبناء شعبه، وقد حاول الملوك أن ينشروا العدالة وافتخروا بأنهم نشروا العدالة ونصبوا ميزان الحق ورفعوا من سوية الفلاحين[٣].

هكذا سعى الملوك إلى تحقيق العدالة والمساواة بين أبناء الشعب، وكان الملك ممثل الإله على الأرض، هذا يعني أنه لابد أن ينشر العدالة التي كانت من أهم صفات الآلهة، فالملك شكل الضمانة للنظام الذي أراده الإله وحافظ على استقراره، واستمر من خلال تطبيق العدالة ونشر المساواة بين الناس، وبسبب حرص السلطة على تطبيق العدالة آمنت بأنها تمثل جزءاً من متطلبات وجودها الفعلي التي تعبر عن إرادة الآلهة التي يمثلها الملك، فكان توليهم السلطة واستمرارهم فيها يقترن بهدف تحقيق تلك الإرادة التي دلت على النضج السياسي الذي تمتع به الملوك، وتحقيق المساواة وتطبيق القانون بين الناس، مما أدى إلى إضفاء الشرعية السياسية والدينية على السلطة الحاكمة لكون الفكر الذي اشتملت عليه العدالة ذا أساس ديني ولا يمكن إضفاء الشرعية إلا من خلال الدين ومباركة الآلهة.

ثانياً: الآلهة مصدر شرعية الحكم

تصور الملوك في العصور القديمة السلطة تفويضاً إلهياً يُعطى ويُنزع من قبل الإله، فصورت الأساطير الآلهة أنها تمنح الملوك السلطة، وهي التي تلحق بهم الهزيمة، وقد تعددت الآلهة وتنوعت في بلاد الرافدين وسورية، وكان لكل ظاهرة طبيعية إلهها الخاص، ولكل منطقة من الكون إله أو مجموعة من الآلهة، وقد كان لهذه الآلهة مجالس شورى مقدسة تقرّر فيها شؤون الكون، فقد كانت هذه الآلهة تعيش كما يعيش

---

(١) حنون، نائل، شريعة حمورابي، الجزء الأول، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣، ص٦٣.

(٢) الأعرجي، حسين سيد نور، المرجع السابق، ص٢٠٤.

(٣) حامدة، أحمد، المرجع السابق، ص١٤٠.

الإنسان غير أنها تميزت عن البشر بأنها خالدة، إضافة إلى أنها تسكن في السماء، وقد حدثت نظرية الخليقة عند البابليين عن أن الإنسان خُلِق ليعبد الآلهة. حيث كانت الآلهة تجلس على كرسي الحكم وتمارس السلطة، هادفة من وراء ذلك لم شمل الناس، وتنظيم المجتمع مقابل قيام الناس بتقديم خدماتها للآلهة، فالإله إنكي*قال إنَّ الإنسان خلق للتخفيف من آلام الآلهة والاستجابة لها وطاعتها وفعل كل ما تطلبه منه(١)، والملك شاروكين الأكادي افتخر بأن الإله داجان أعطاه حكم البلاد كلها بما فيها ماري ويرموتي حتى غابات الصنوبر وجبال الفضة(٢)، وتدلنا الأمثال السائدة في بلاد الرافدين على المكانة العظيمة التي تمتعت بها الآلهة، والدور الذي لعبوه في تنظيم الكون وتثبيت أركانه، ومن أهم هذه الأمثال أن الإله هو الذي يعينك صغيراً كنت أم كبيراً، ولم يقتصر دور الآلهة على هذا الأمر فقد كانت تطلع على القرارات المتخذة وتشارك في صنعها وإعدادها (٣). وكان لكل مدينة إله خاص بها، وكانت هذه الآلهة توحي للناس بما يجب أن يقوموا به، وتتدبر لهم شؤونهم، وقد شكلت الآلهة حكومة خاصة بها عرفت باسم حكومة الكون اختصِّ فيها الآلهة بعدد من الأدوار، وشكلوا مجلساً عرف بمجلس الآلهة، وقد تزعم هذا المجلس كبير الآلهة أنو*بينما كان الإله إنليـــل

---

*إنكي(Enki) من أهم الآلهة عند السومريين، إله المياه العذبة والخصوبة والخلق والحكمة، وهو الإله المعافي من الأمراض، معبده الرئيسي في مدينة إيريدو، وهو ابن الإله آن، وأمه الإلهة نامو، يلعب إنكي دوراً مهماً في الأساطير السومرية. أنظر:

G. Leick, Op.Cit, p35.

(١) Fient.A. Op.Cit, p: 3-4.

(٢) عبدالله، فيصل، مرعي عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص ٢٠٤.

(3) Fient.A., OP.Cit. P:6.

*أنو (Anu) كبير الآلهة ورئيس مجمع الآلهة في بلاد الرافدين، إله السماء وهو الذي يمنح الآلهة السلطة، حاكم الكون وهو الذي يمنح الملوكية للملوك والعدالة للبشر، ويتحكم بالقانون الذي بموجبه يدير الكون. أنظر:

Leick.G., Op.Cit, p39.

صاحب القوة التي تنفذ قرارات هذا المجلس، وقد اختار مجلس الآلهة الإله إنليل* ملكاً على الأرض لينظم حياة البشر فيها مقابل قيام البشر بطاعة الآلهة وخدمتها وتقديم فروض الصلاة والأضاحي لها وتنفيذ رغباتها(١). لقد كان لكل مدينة ودويلة إله خاص بها، وفي هذه الدويلة أو المدينة معبد لهذا الإله، وكان الملك يستمد شرعيته من هذا الإله ويقدم فروض الطاعة والولاء لهُ، وينذر الأضاحي والقرابين، ويقود الشعائر والطقوس الدينية في المعبد بهدف الحصول على رضى الإله الذي كان يمثله على الأرض. ونستطيع ملاحظة أهمية الآلهة والدور الذي تلعبه في قيام السلطة وتثبيت أركانها من خلال العديد من القضايا والطقوس والأدوار التي قامت بها، ولعلَّ أهمها:

١- **الزواج المقدس:**

يشكل طقس الزواج المقدس شكلاً من أشكال منح الآلهة السلطة للملوك ليقوموا بتمثيلهم على الأرض، وطقس الزواج المقدس عبارة عن مجموعة من الطقوس المتداخلة والمركبة بعضها مع بعض، وقد ظهر بدءاً من العهد السومري، واستمر في العصر الأكادي وصولاً للعهد الأموري. حيث كان هذا الطقس منذ بدايته طقساً إلهياً يتضمن زواج الإله تموز** من الإلهة إنانا ، لكن هذا الطقس تغير فيما بعد ليصبح ملوكياً، إذ أصبح الملك ممثلاً للإله على الأرض، فالملك ممثل للإله تموز وإحدى كاهنات المعبد

---

*إنليل (Enlil) واحد من أهم الآلهة الرافدية منذ الألف الثالث ق.م، وهو إله سومري عرف عند الأكاديين باسم Ellil، اسمه يعني إله الهواء والرياح، كان مجال عمله في الأرض، لعب دوراً أساسياً في بلاد سومر من خلال ترؤسه مجلس الآلهة، للمزيد أنظر:

Leick, G.,Ibid., p40.

(1) Frankfort.H., Op.Cit. p207.

**تموز (Tammuz) من أهم الآلهة السومرية، عُرف عند السومريين بالإله داموزي Damuzi (الابن البار) وعند الأكاديين تموز وقد حمل الاسم نفسه عند الآراميين والعرب، وأطلق اسمه على أحد الأشهر القمرية للمزيد انظر:

Bertman.S., Handbook of life in ancient Mesoptamia, University of Windsor, USA, 2003, p117.

ممثلة للإلهة إنانا*. ففي العهد السومري –حسب المعتقدات السومرية–كان من واجب الحاكم في كل عام أن يتزوج من كاهنة ما تنذر نفسها للإلهة إنانا إلهة الحب والزواج والولادة، وذلك ضماناً لخصوبة التربة وخصب الأرحام، ويحتفل بهذا العيد في بداية كل سنة، حيث يسمى عند السومريين بيوم الطقوس، وكان يستمر أحد عشر يوماً(٢)حيث تقام الأعياد والولائم المقرونة بالغناء والموسيقى والرقص، ولدينا نص من عصر الأحياء السومري يتألف من قصيدة قالتها إحدى الكاهنات بمناسبة زواجها من الملك شوسين ** ، وهذا النص يدلنا على طقوس هذا الزواج وعبارات الغزل والغرام الصادرة عن هذه الكاهنة للملك شوسين ممثل الإله إنليل على الأرض:

"**أيها العريس الحبيب إلى قلبي**

جمالك حلو كالشهد

يا سيدي الحامي

يا شوسين الذي يفرح قلب إنليل

يا شوسين يا محبوبي، المحبوب عند إنليل"(٣)

أمّا عند الأموريين فلم تختلف طقوس الزواج المقدس كثيراً عما كانت عليه عند السومريين، واستمر الملك ممثلاً للإله تموز، وحافظت المرأة على مكانتها من خلال قيام إحدى الكاهنات بتمثيل الإلهة إنانا (عشتار)، وقد وصل إلينا أشهر نصين أموريين

---

* إنانا: تعني سيدة السماء، وعرفت عند الأكاديين عشتار Ištar وهي إلهة الحب والجمال والخصب والحرب، إلهة سومرية ظهرت في النصوص السومرية خاصة والنصوص القديمة عامة وهي التي دعمت الملك شاروكين في وصوله للحكم، وقد اشتهرت عند اليونان باسم فينوس. أنظر:

GLeick, Op.Cit, p 62.

(١) عبد الواحد، علي فاضل، عشتار ومأساة تموز، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٩، ص١٠٩.

** هو الملك الرابع من سلالة أور الثالثة، دام حكمه تسع سنوات، شغلها في مشاريع البناء والتشييد والحملات العسكرية، ونال نصيباً من التأليه والتقديس. ينظر: طه باقر، المقدمة المرجع السابق، ص٣٩٠-٣٩١.

(٢) عبد الواحد، علي فاضل، المرجع نفسه، ص١١١-١١٢.

من عهد الملك إدن داجان Iddin–Dagan (١٩٧٤–١٩٥٤ق.م) ثالث ملوك مملكة إيسن، حيث تبدأ المرحلة الأولى من الزواج المقدس بتهيئة القصر، وتتحدث الشعائر عن الخطوات الباقية وصولاً إلى مرحلة المضاجعة:

"**أمر الملك بإقامة منصة لسيدة القصر**

حيث اضطجع معها العاهل الإلهي

من أجل ضمان حياة كامل البلاد"[١]

وهكذا مثل الزواج المقدس شكلاً من أشكال إضفاء الشرعية على حكم الملوك، ودلَّ على ممارسة الآلهة للسلطة التي تسبغ الشرعية على حكم الملوك، ويستندون إليها بإدارة البلاد وتنظيم الحياة فيها، ويمكن القول إنَّ الآلهة هم أنفسهم الملوك الذين يمثلون أعلى السلطات، فسلطتهم لها السيادة الكاملة على الأرض لكن اختلفت وظائف السلطة من دولة إلى أخرى.

٢– ملوكية الآلهة:

نلحظ أنه كان هناك الكثير من المعتقدات لدى الناس في بلاد الرافدين وسورية، وهذا ما يظهر امتلاكهم لثقافة كبيرة متراكمة على مر التاريخ، لكن الثقافات والأزمنة تغيرت بدءاً من عهد السومريين وصولاً إلى الفترات البابلية والآشورية والآرامية، حيث جاءت آلهة جديدة تظهر أهمية التفاصيل واختلافاتها التي وجدت، في حين كان الدين في الألف الثالث قبل الميلاد يدور حول تعابير تصور الآلهة كحكام، أمّا الدين في الألف الثاني فقد كان أكثر واقعية إذ صور الآلهة كالآباء، إذ تم تصوير الإله على أنه حاكم قديم قدم الحضارة نفسها، ويبدو أن هناك جملة من العوامل جعلت الإله ينظر إليه كحاكم، فعلى سبيل المثال إله الخصوبة يستطيع أن يكون الإله الشخصي الذي يصلي لأجل المعونة الاقتصادية، ويستطيع أن يكون ملكاً أو أمير الخصوبة، لذا فإن أحد أهم العوامل هو العامل الاقتصادي، لذلك فإن مصطلح الملوكية يشير إلى قوة الآلهة

([١]) الشواف، قاسم، دايوان الأساطير (سومر –أكاد–أشور)، تحقيق وتقديم: أدونيس، دار الساقي، لندن، ١٩٩٦، ص١٩٧.

وسلطتها التي كانت عاملاً ضرورياً في تفكيرهم[١]. ومن أهم الآلهة الذين نُظِرَ إليهم كملوك هو الإله إنكي، وقد صورت النقوش القديمة الآلهة كملوك للإشارة إلى أن الآلهة هي التي كانت تمنح الملوك السلطة وتضفي الشرعية على حكمهم:

"الإله إنكي	**en-[ki]**
ملك أبزو*	**Lugal-abz[u]**
الملك الفعلي	**Lugal da-gi-[x]**
ملكه	**Lugal-a-[ni]**
جوديا	**gu-de-[a]**
أمير	**ens[i]**
أرض لاغاش	**Lagaš ki ke**
معبده على ضفاف دجلة	**egu-idi[gna]-ka-ni**
هو بناه"	**mu-na-du**[٢]

إذا قمنا بتحليل النص فسنلحظ أن الإله إنكي هو ملك الأرض وملك البلاد، فاسمه يتألف من مقطعين en وهو لقب من ألقاب الآلهة والملوك، و ki يدل في اللغة الأكادية على البلاد والأرض، وهذا يعني أنه هو من يعين الملوك ويضفي الشرعية على حكمهم، كذلك كان الإله إنليل رئيس مجمع الآلهة، وهو الذي يملك العرش والتاج والصولجان، وقد ورث الملوكية عن أبيه الإله آنو رئيس مجمع الآلهة ومانح الملوكية

---

(1) Pritchard. J.B., Ancient near Eastern Text, Princeton University press, 1955, P 496.

*أبزو Absu محيط المياه العذبة تحت سطح الأرض، وهو ماء مقدس عند السومريين، للمزيد انظر:

Espak.P., Masters' Thesis ancient near eastern gods Enki and Ea, Tartu University,p13-14.

(2) Espak.,p. The god Enki in Sumerian Royal Ideology and Mythology, Tartu University, 2010, p165.

لباقي الملوك، إضافة إلى أنه كان ملك كل الآلهة[١]. ونجدُ إنّ وصف الآلهة كملوك ورد كثيراً في الترانيم والطقوس والصلوات، فالعديد من الصلوات أعطت عشتار Ištar العديد من الألقاب مثل سيدة السموات وآلهة الإلهات التي تقلد التاج للملوك وتمنح السلطة والحكم، حيث ظهرت هذه الصلوات جلية في عهد الملك الكلدي نبوخذ نصّر:

"**سيدة السموات، آلهة الآلهات**

ملكة جميع المدن، قائدة جميع البشر

أنت نور السماء، أنت نور العالم

أنت أعلى شأناً من جميع الآلهة"[٢]

وكذلك إله القمر سين (بالأكادية) ونانا (بالسومرية) Nana or Sin ادعى أنه يمنح من أشعته الملُك والسلطة وهو بطل كل الآلهة[٣].

نستطيع أن نفهم من ذلك إذا أدركنا تنوع الآلهة واختلاف مهامها على مر الزمان والمكان أن الملوكية كما وصفت غالباً وثيقة الصلة ومرتبطة ببعضها على الرغم من اختلاف مناطق الحكم، فالملوكية بقيت ثابتة وما يتغير هو الأسماء والزمن، مثلاً آنو وإنليل وإنكي ازدهروا في العصر السومري، ومع تقدم الزمن ظهر مردوك وآشور وعشتار وسين وأدد، وهذا يدل على أن الملوكية والألوهية لم تنقطع إنما استمرت بأسماء جديدة.

أما في أوجاريت فقد ظهر الإله إيل*رئيساً وملكاً للآلهة، فهو الذي يمنح الملوك السلطة،

---

(1) Kramer.S.N., Sumerian Mythology, Philadelphia University of Pennsy, Vania press, 1972, P45.

(٢) الشواف، قاسم، الحضارة والسلطة، ص٢٩٣.

(3)Smith. G.V., The concept of God: The Gods as king in the ancient nearest and the Bible, Trinity Journal, 1982. P 22-23.

*الإله الرئيس في أوجاريت وعند الفينيقيين، كان يرمز له بالثور وابنه الإله هدد وهو أب الآلهة وجدها الأول وخالق البشر، وهو الثور الذي يحمل نطفة الأخصاب، ويتصف الإله أيل بالتسامح والحكمة والخير. للمزيد أنظر:

حمود، محمود، الديانة السورية القديمة، ص٥٠.

وهو الحاكم الأول للبلاد، وقد وصف بأنه صاحب السلطة العليا والنفوذ، وأب الآلهة، والإله الأبوي الذي يمارس السلطة من خلال مجلس مقترح من محكوميه يعطيه تفويضاً كاملاً[١].

وقد تعاملت الآلهة مع الشعوب على أنها حكام وملوك، ومع الزمن ترفعوا ليعينوا من يمثلهم على الأرض، لكنهم حافظوا على نفوذهم ومكانتهم، فأصبحوا يضفون الشرعية على ملوك تمكنوا نتيجة قوتهم من الوصول إلى السلطة، وادعو أن الآلهة قد منحتهم هذه السلطة لينشروا العدل والنظام في البلاد.

٣- العدالة الإلهية:

كان للعدالة أهمية كبيرة في نظر سكان بلاد الرافدين، وذلك بسبب الاعتقاد أنّ العدالة ترجع إلى مصادر إلهية، فالآلهة في نظرهم تعد ينبوعاً للعدالة ومصدراً للقوانين، وقد عدت القوانين من الهبات التي منحتها الآلهة للناس بغية إشاعة العدل فيما بينهم. وإذا عدنا إلى مقدمة قانون أورنمو نستطيع أن نلحظ كيف تتجلى إرادة الآلهة في نشر العدالة بعد أن فوَّض الإلهان آنو وإنليل ملوكية أور إلى الإله ننار **Ninnar** في ذلك الوقت لأجل أورنمو ابن الإلهة ننسون **Ninsun** التي ولدته استناداً لإرادة الإله ننار، فإن ننار أعطاه الحكم والعدل، واستطاع أورنمو أن يوطد العدالة في البلاد، وأن يزيل الظلم والبغي والعداوة[٢]، من خلال هذا نلحظ أن ما قام به الملوك من إشاعة للعدل بين الناس إنما كان بأمر الآلهة وتوجيهاتهم، فعدالة الملوك كانت ذات أصل إلهي، فهذا أورنمو يمثل إرادة الإله ننار، وكذلك فعل حمورابي عندما مثل إرادة مردوك إله بابل الرئيس وسيدها وحاميها وراعي مصالح أبنائها:

"**لما عهد آنو العظيم سيد الآلهة وإنليل رب السماء والأرض الذي بيده مصير البلاد إلى مردوك بكر أبيه أن يحكم جميع البشر، وجعل اسم بابل شهيراً في جميع الدنيا، وأسس فيه مملكة راسخة البنيان رسوخ السماء والأرض، انتدبني آنذاك آنو وإنليل، أنا حمورابي الأمير الكريم عابد الآلهة لأنشر العدالة في البلاد، وأقضي على الشر**

---

(1) Pope.M., El in the Ugaritic Texts, Leiden: Brill, 1955, p 32.

(٢) رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٦-٢٧.

والغش، وأمنع القوي من اضطهاد الضعيف"[1].

فأهم الأسباب التي جعلت الآلهة تطلب من حكامها توفير العدالة في المجتمع، إنما يعود إلى رغبة الآلهة في الحفاظ على الحقائق الكونية الأزلية، ولاسيما العدالة التي تعد من الهبات الإلهية التي مُنِحَتْ للناس، وخصوصاً أن الناس نظرت إلى الآلهة بوصفها مصدراً للقانون، وأن أحكام القانون تعود إلى مصادر إلهية، وبذلك تمكنوا أن يكفلوا إطاعة القانون واحترام قواعده، وإجبار الناس على اتباع أحكامه[2]، ويعد الإله شماش*من أهم الآلهة التي خصصت نفسها لرعاية الصدق والعدالة والتي كانت تعمل على نشرها بالتساوي بين الناس.

وهكذا شكلت العدالة الإلهية مرتكزاً قوياً ساعد على تثبيت أركان الحكم وتقوية السلطة، وأصبح العدل من أهم صفات الآلهة بعد أن أدركوا أهميتها بالنسبة للناس، والدور المهم الذي تلعبه في الحفاظ على الاستقرار والطمأنينة التي كانت تنشدها الآلهة والملوك والناس على حدٍ سواء، فالآلهة ادعت أنها عادلة وأنها تعمل على نشر العدالة، ودعت الملوك إلى تكريسها من خلال مساعدة الفقراء والوقوف إلى جانبهم، فالحاكم العادل يسعى إلى المساواة بين أبناء شعبه، لكن الكثير من الحكام اتخذوا العدالة كشعار ولم يطبقوها، ومارسوا سياسات تهدف فقط إلى المحافظة على سلطتهم، بالرغم من أن العدالة كانت ومازالت الركن الأساسي الذي يقوم عليه نظام الحكم، فالعدالة أساس الملُك.

([1]) الهاشمي، رضا سعيد، القانون والأحوال الشخصية، حضارة العراق، ج ٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص ٦٥.

([2]) فاضل، نهير علي، العقاب والثواب عند الآلهة في العراق القديم من الألف الثالث حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٢، ص١٩٤.

*إنّ ارتباط شماش بالعدالة والقانون كان له ما يسوّغه، فالشمس عند طلوعها توزع بعدالة أشعتها على الأرض، وكذلك عند شروقها تغمر الأرض بأشعتها الباعثة للبهجة والطاردة للظلام الذي يستر اللصوص الذين يعملون تحت جنحة الأرواح الشريرة لتلحق الأذى بالناس. للمزيد أنظر:

حنون نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين، بغداد، ١٩٧٨، ص١٩٧.

ثالثاً: المجالس ودورها في السلطة:

بوخروم (Puhrum): كلمة أكادية تعني الجمعية أو المجلس، ويقابلها في اللغة السومرية أوكين ukkin، التي تشير إلى عدد من المجالس والجمعيات مثل مجلس الآلهة، ومجلس الشيوخ، ومجلس الرجال الأحرار، وغيرها من المجالس التي تمثل الناس، حيث كانت هذه المجالس تجتمع وتتداول القضايا فيما بينها بهدف صنع القرار الذي يخدم مصلحة الرعية[١]، وكذلك تشير كلمة **شيبتوم (Šibtum)** إلى الرجال ذوي الشعر الأشيب والمسنين الذين يجتمعون بهدف حل مشاكل الرعية وهمومها[٢]. إذن المجالس هي عبارة عن هيئات تناقش العديد من القضايا والحجج الرسمية التي تطرح في المجلس مناقشة مشتركة واضحة، فضلاً عن مناقشة القضايا التي يطرحها عدد من الهيئات، حيث يتم مداولتها ومناقشتها واتخاذ قرار بشأنها. وفي المدن السورية القديمة وممالكها استخدمت كلمة **تاختاموم/ تاتامو** (Tatamu \ Tahtamum) للدلالة على المجالس والاجتماعات التي عقدت في الممالك السورية ولا سيما ماري وتوتول وإيمار[٣]، وقد استخدمت كلمة **ريخصوم** (rihsum)[٤] وهي كلمة سامية تدل على مجلس المدينة وتجمع شيوخ القبائل ولا سيما قبائل بني يمين وبني شمال التابعة لمملكة ماري، وقد دلت هذه الكلمة على المشاورات والمحادثات وما يترتب عليها بين شيوخ هذه القبائل ووجهائها، وتدل الرسائل المرسلة من بني شمال إلى الملك زمري ليم أن هذا المجلس يتداول المحادثات والمفاوضات من أجل التوصل إلى حلول بين الأطراف المتنازعة وخاصة القبائل[٥].

إذنْ المجلس ريخصوم هو عبارة عن محادثات واسعة النطاق حول العديد من القضايا،

---

(1) CAD, P., vol 12, P: 485ff.

(2) CAD, Š., vol 17, part 2, P: 386ff.

(3) Fleming.D.E., Op.Cit. p: 208

(4) CAD, R., vol 14, P: 335ff.

(5) Fleming.D.E., Ibid, p204.

وشكل من أشكال الاجتماعات بين القادة الساميين، وأعضاؤه خليط من شيوخ القبائل البدوية التي تقوم بحل الخلافات والمشاكل، وهو عبارة عن تقليد أموري للقبائل الرحل، حيث تميزت المجتمعات القديمة في بلاد الرافدين وسورية في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد بامتلاكها تقاليد تقوم على اتخاذ القرارات الجماعية بما يخدم النظم السياسية لممالكها. وقد ركزت الدراسات القديمة على دراسة ظاهرتين، الظاهرة الأولى تخص مجلس الشيوخ وتجمع الرجال الأحرار، وهما من المؤسسات الحكومية التي ساهمت في اتخاذ الكثير من القرارات بما يخدم مصلحة الدولة، أمّا الظاهرة الثانية فتخص مجالس الآلهة التي كانت تتشاور وتتناقش وتتخذ قراراتها فيما يتعلق بمصير البشرية، وسنعرض الآن كل ظاهرة على حدة.

١- مجالس الشيوخ ومجلس الشباب:

تشكلت المجالس في بلاد الرافدين وسورية في عصورها القديمة، وتألفت من الشيوخ، والشباب، حيث التأمت هذه المجالس وتم صنع القرار في رحابها، وقد ضمت هذه المجالس العديد من الأعضاء، وربما زاد عددهم عن خمسةٍ وعشرين عضواً، كانت هذه المجالس تتخذ قراراتها بالإجماع [١]، وقد أنيطَ بها العديد من المهام، ولا سيما البت في الدعاوى القضائية والشكاوى التي رفعت إليها من المقاطعات والولايات التابعة للممالك القديمة، مثلاً في المقاطعات والمدن التابعة للدولة الآشورية قام ممثلو الدولة بإرسال تقارير وقضايا من أجل دراستها في المجالس التي قامت في مدينة آشور عاصمة الآشوريين واتخاذ قرارات من أجل البت فيها[٢]، ومما لا شك فيه أن من أهم العوامل التي دفعت هذه المجالس للانعقاد إنما هي ظروف الحرب والتباحث والتشاور لعقد السلم الذي لم يكن ليتم إلا بموافقتها، ففي العصر السومري وفي عهد الملك جلجامش ملك أوروك لم يقم هذا الملك باتخاذ قرار لعقد السلم أو الحرب إلا بعد موافقة مجلس الشيوخ الذي خوله أن يحمي الدولة، حيث أرسل أجا ملك كيش الرسل إلى أورك طالباً استسلام الأخيرة لكن جلجامش كان عازماً على التصدي لهذه التهديدات ومقاومتها، وحاول اتخاذ قرار من مجلس الشيوخ للتصدي للملك أجا ، وبعد أن تداول

(1) Fleming.D.E., Op.Cit. P:175.

(2) Jacobsen. T, Op.Cit. p:165-166.

المجلس الأمر، أعطى الجواب بالرفض، لكن جلجامش لم ييأس وقام بعرض القضية على مجلس الشباب الذي أعطى الجواب بالإيجاب، الأمر الذي أدخل السرور إلى قلب جلجامش، حيث طالبه المجلس بعدم الرضوخ لملك كيش وأن يقوم بضربه بالسلاح(١). لذا تعكس هذه القضية قدرة مجلس الشباب الذين كانوا يمثلون السواد الأعظم من أبناء المجتمع القدرة على صنع القرار، والوقوف في وجه أعضاء مجلس الشيوخ الذي كان يتألف من زعماء العائلات الكبيرة والنبلاء ومعظم هؤلاء من مستشاري الملك والمقربين إليه، وهذا بدوره يعكس الصراع بين الكبار والصغار، وبين الناس والحرية التي يتمتعون بها في اتخاذ القرار الذي يصب في حماية مصلحة الدولة وسيادتها.

وإذا انتقلنا إلى العصر الأكادي، ومع بداية ظهور قوة السلطة المركزية، بدأت مجالس دويلات المدن تفقد منزلتها، وأصبحت مهمة أعضائها تقتصر على النظر في قضايا الإدارة المحلية والقضايا العقارية والسلطة القضائية المتعلقة بشؤون الملكية والعائلة(٢). وفي العصر البابلي القديم تألف المجلس من أعضاء من المدن البابلية كلها، وأغلب هؤلاء الأعضاء من الطبقات العليا التي كانت تلعب دوراً مهما في رسم سياسة المدن، فعلى سبيل المثال كان مجلس الشيوخ في ديلبات* Dilbat مخولاً باتخاذ قرارات نيابة عن السكان، وكان هذا المجلس يعمل ككيان مستقل وكفريق واحد، إذ إنّ المجلس يهتم بالقضايا التي ترفع إليه من قبل الملك أو سلطة عليا أخرى، حيث يقوم بالتحقيق بالقضايا المقدمة إليه والبت فيها متخذاً من قانون حمورابي أساساً لإطلاق الأحكام، لذا كان القضاء وتحقيق العدالة إنما يقع على عاتق هذه المجالس التي عدّت القضاء مؤسسة من المؤسسات التي تحمل الديمقراطية في جوهرها، ودلت على أن السلطة لم

---

(١) باقر، طه، المقدمة، المرجع السابق، ص١٢٧.

(٢) بشور، أمل ميخائيل، تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وأشور، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ٢٠٠٨، ص ٢١٩.

* تسمى حاليا بتل (الدليم)، هي مدينة سومرية قديمة تقع جنوب بابل، على الضفة الشرقية لنهر الفرات.

تكن مركزة في شخص الملك، إنما كان هناك مؤسسات تشاركه في اتخاذ القرار[١]، ولكن يبدو أن هذه المجالس شاركت فقط في اتخاذ القرارات الخدمية وأعُطيت بعض الصلاحيات للمساهمة في صنع القرار فيها، لكن القرارات المصيرية ولاسيما السياسية منها اقتصر اتخاذها على الملك دون غيره، وقد اقتصرت وظيفة المجالس على قضايا الإدارة المحلية والقضايا القضائية المتعلقة بشؤون الملكية والعائلة.

أما في سورية وفي مملكة إبلا بالتحديد، فقد شهدت هذه المملكة قيام مجلس إلى جانب الملك يعرف باسم مجلس الآباء والشيوخ، يبدو أن زعماء هذا المجلس كانوا من زعماء العائلات الغنية والقوية التي تملك النفوذ والقوة، وقد اقتصر دورهم على مشاركة الملك في إدارة شؤون المملكة ومصالحها، ولم يكن اعضاؤه ذوي صلاحيات مطلقة، وخير دليل على ذلك ما تؤكده النصوص الإدارية[٢] من أن مجلس الشيوخ والآباء ساعد الملك في إدارة شؤون الدولة، وقد تقلد هؤلاء الأعضاء مناصب عليا، واحتلوا مرتبة مهمة في نظام الحكم بعد الملك. وفي مملكة ماري كانت اجتماعات المجالس أكثر شمولاً من حيث وجودها في مملكة ذات منطقة محدودة، إضافة إلى أن المجموعات التي تغطيها تنتمي إلى النوع الأوسع من القبائل من حيث تمثيلها شرائح كبيرة من الناس، وتبين المراسلات الدبلوماسية بين مملكة ماري والممالك الأخرى التي عاصرتها أن القرارات كانت تعرض على مجالس المدن قبل اتخاذ القرار فيها[٣]، وقد كانت ظروف الحرب والتمرد والعصيان من أهم الأسباب التي قادت المجلس في ماري للانعقاد، فعندما تدخل البلاد في حالة حرب وفوضى يصبح المجلس في حالة انعقاد للتداول في كيفية التعامل مع الظروف الدقيقة التي تمر بها البلاد، وتدلنا محفوظات ماري الملكية على وجود مسؤول رفيع في ماري يدعى ياشيم- ايل yašim- El قد رفع تقريراً إلى الملك زمري ليم عن محاولة قيام أحد القادة بثورة وتمرد ضد المـــــلك

---

(1) Jacobsen. T, Op.Cit. P: 161.

(٢) مرعي، عيد، إبلا، تاريخ وحضارة أقدم مملكة في سورية، الأبجدية للنشر، دمشق، ١٩٩٦، ص٢٢.

(3) Fleming.D.E., Op.Cit, p176.

زمري–ليم في منطقة قطارة* Qattara، حيث استخدم هذا القائد المتمرد مجلس المدينة المؤلف من كبار القادة لإقناع الناس بالانضمام إلى ثورته ضد الملك[١]. أما في ممالك الفرات (توتول– إيمار) تألف المجلس من كبار القادة الرجال، حيث اجتمع أعضائه في حلقة أطلق عليه تاختاموم Tahtamum، وقد مثلوا هؤلاء شريحة واسعة من السكان، وكانت اجتماعاتهم تهدف إلى حل المشاكل التي تعاني منها مدنهم لاسيما التفاوض مع القبائل من أجل الحصول على المراعي لقطعانها، واتخاذ القرار بفرض نوع من الرسوم على المارين من أراضيها[٢]، وخصوصاً أن موقع هذه الممالك على الطريق الواصل ما بين بلاد النهرين من جهة والبحر المتوسط من جهة أخرى.

من خلال ما تقدم نجد أن المجالس لعبت دوراً كبيراً في الحياة السياسية في العصور القديمة، ولم يقتصر دورها على تقديم المشورة للملك، بل تعدى ذلك على ممارسة صلاحيات القضاء، والبت بالكثير من القضايا التي رفعت إليها، بالإضافة إلى الصلاحيات التي أنيطت بها كإعلان الحرب والسلم، والتداول في القضايا التي تهم المواطنين ومناقشتها، وهذا يدلنا على المستوى المتقدم الذي وصلت إليه السلطة في بلاد الرافدين وسورية في عصورها القديمة.

٢- مجالس الآلهة

لقد صور سكان بلاد الرافدين وسورية آلهتهم على شكل بشر، تعيش في العالم نفسه الذي يعيش فيه الإنسان وتملك ما يملك من عواطف، لذا شكل الآلهة مجالس خاصة بهم، وكانت هذه المجالس تتشاور وتتناقش في مصير البشرية، وكان يتزعم هذا المجلس واحد من الآلهة[٣]، وقد عرف هذا المجلس باسم مجمع الآلهة، وهو عبارة عن اجتماع خاص بالآلهة يُعقد من أجل هدف محدد هو الخروج من حالة ما أو قضية ما، وغالباً ما يكون مؤلفاً من سبعة أعضاء هم الآلهة السبعة الذين يقررون مصير البشرية، وكان اتخاذ القرار في هذا المجلس يتم عن طريق التصويت، وقد تزعم الإله

---

* منطقة تتبع لمملكة ماري.

(1) ARM: XXVI, 412,6-10.

(٢) Fleming.D.E., Op.Cit. P218.

(3) Jacobsen. T, Op.Cit.,p:167.

إنليل هذا المجلس في كثير من الأحيان، حيث وقع على عاتقه عدد من المهام أهمها حل الخلافات والمشاكل فيما بين الآلهة، وخير مثال على ذلك ما ذكرته قصة الخليقة عند البابليين (إنوما إليش) Enuma-eliš عن الخلاف الذي حصل بين الآلهة وتبوء الإله مردوك السلطة المطلقة على جميع الآلهة، فنجم عن ذلك خلاف مما استدعى ذلك انعقاد مجلس الآلهة لحل هذا الخلاف، وبعد أن أكلوا وشربوا عُقدَ اجتماعهم، وخرج المجلس بقرارات أهمها إعطاء مردوك السلطة المطلقة، وجعل سلطانه يضاهي سلطان آنو، وفوضوا إليه تقرير المصائر والأقدار، وقلدوه شارات الملوكية بعد انتصاره على تيامات[1]. وإذا عدنا إلى عهد السومريين بالتحديد، فقد حصل خلاف أيضاً بين جلجامش وأنكيدو، وكان للآلهة الثلاثة (آنو-إنليل-شماش) موقف من هذا الخلاف، حيث عقد اجتماع ثلاثي تزعمه الإله إنليل، وكان لكل إله موقف مختلف من قضية الصراع بين الاثنين، فآنو اتخذ موقفاً محايداً، أمَّا إنليل رئيس مجمع الآلهة فقد أراد أن يحكم على أنكيدو بالموت، بينما دعا الإله شماش إلى تقديم المساعدة إلى جلجامش وإنقاذه، وقدم الآلهة الثلاث آراءهم فيما يتعلق بهذا الصراع[2]، لذا فإنَّ مهمة الآلهة لم تقتصر على حل خلافاتها فيما بينها، وإنما حل الخلافات بين البشر، ومعاقبة كل من يخالف تعاليمهم، وإقامة النظام وترسيخه في الأرض، فقد أظهرت نصوص من فترات مختلفة الدور القضائي الذي لعبه مجلس الآلهة والأحكام الكثيرة التي أصدرها فيما يتعلق بمصير البشر وحقوقهم، هذا ما بينه نص من سيبار ونيبور وبابل، حيث تحدثت هذه النصوص عن الحقوق التي منحتها الآلهة لسكان هذه المدن، وقد أقروا هذه الحقوق في مجلسهم الذي عقدوه بحضور كبار الآلهة[3]، وفيما يتعلق بالطقوس والشعائر التي أقيمت أثناء انعقاد مجلس الآلهة، فهناك سلسلة من التحضيرات الطقسية التي يلعب فيها صمغ الأرز دوراً أساسياً، وذلك لجعل هذا المجلس طاهراً بشكل كامل،

---

(1) L.W.King, OP.Cit, p: 70.

(2) Cassin. E., La voix de L'oppostion en Mesopotamie: Note sure le "puhrum" des dieux, Bruxelles, 1973, p112.

(3) Lambert, W.G.,Tukulti- Ninurta I and Assyrian king list, vol38, No2, BISI, Autumn, 1976.p112.

لأن الأرز على ما يبدو كان يشير إلى الطهارة في العصور القديمة، وهذا المجلس الذي تصدر عنه الأحكام لابد أن يكون مكاناً طاهراً، وكان لكل إله وظيفة خاصة، فعلى سبيل المثال كان الإله إنليل رئيس المجلس، بينما كان الإلهان شماش وأدد مسؤولين عن الجانب التنجيمي، في حين شكل بقية الآلهة مثل (آنو– سين–نيرغال– إنانا) بقية الأعضاء الذين تصدر عنهم القرارات والأحكام. ويبدو أن زعامة مجلس الآلهة كانت تتبدل من فترة إلى أخرى(١)، فقد أشارت المصادر الآشورية إلى تزعم الإلهة عشتار لمجلس الآلهة المقدس، وتحدثت عن الطريقة التي حكمت بها عشتار مجلس الآلهة، فقد كانت على قدر كبير من المسؤولية والقوة التي مكنتها من أن تدير جلسات هذا المجلس، ووصفت تلك المصادر كيف كانت الآلهة تخشع أمامها، وتسمع كلامها المقدس، وكان هؤلاء الآلهة يجلسون على مقاعد ذهبية، ويأكلون بصحون لازوردية، وكان يسبق كل جلسة لمجلس الآلهة إقامة وليمة تؤدي إلى تناغم في القرارات التي تتخذها الآلهة، حيث تبدأ الجلسة، ويتبادل الآلهة الحديث بعد أن يكونوا قد جلسوا على المائدة واحتسوا الخمر والشراب اللذيذ، ثم يقومون بإصدار القرارات التي درسوا تفاصيلها(٢).

لقد تمكن الآلهة من إقامة دولة مستقلة ذات سيادة تتخذ قراراتها بالإجماع ودون أي تأثير خارجي، حيث أطلق على هذه الدولة دولة الكون، وقد سخرت لخدمة الآلهة(٣). لقد كان انعقاد مجلس الآلهة جزءاً مهماً من الوظائف الاجتماعية التي يجب على الآلهة القيام بها، ويعدّ المجلس الإلهي تجمعاً لا يُعقد بشكل دوري ودائم، وإنما يتم الدعوة للاجتماع فيه بناء على دعوة أحد الآلهة لمناقشة قضية ما، وقد هيمنت على هذا المجلس شخصيات إلهية مثل إنليل ومردوك وعشتار وغيرهم من الآلهة الرافدية المشهورة، ثم تتخذ القرارات بناء على تصويت الأغلبية، وكانت قراراته بمنزلة أحكام يجب تنفيذها، فهي ملزمة واجبة التنفيذ، وكثيراً ما اتخذ هذا المجلس قراراته دون حصول خلاف بين الأعضاء، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على امتلاك الآلهة الرؤية

---

(1) Cassin. E., Op.Cit, p113

(2) Ibid : 177.

(3) Frankfort.H., Op.Cit., p200.

المشتركة في حل الكثير من القضايا التي كانت تواجههم.

رابعاً: المعارضة في بلاد الرافدين وسورية: مفهومها وطبيعتها.

المعارضة لغة: جاء في لسان العرب[١]:" عَرَضَ الرَّامِي القَوْسَ عَرْضاً إِذا أَضجَعها ثُمَّ رَمى عَنْهَا. وعَرَضَ لَهُ عارِضٌ مِنَ الحُمَّى وغَيرها. وعَرَضْتُهم عَلَى السَّيْفِ قَتْلًا. وعَرَضَ الشيءُ يَعْرِضُ واعترَضَ: انتَصَبَ ومَنَعَ وَصَارَ عارِضاً كالخشَبةِ المنتصبةِ فِي النَّهْرِ وَالطَّرِيقِ وَنَحْوِهَا تَمْنَعُ السَّالِكِينَ سُلوكَها. وَيُقَالُ: اعتَرَضَ الشيءُ دُونَ الشيءِ أَي حَالَ دُونَهُ. واعتَرَضَ الشيءَ: تَكَلَّفَه. وأَعرَضَ لَكَ الشيءُ مِنْ بَعِيدٍ: بدَا وظَهَر".

والناظر في معاجم اللغة العربية[٢] يجد أن هذه الكلمة تستخدم للدلالة على: المنع، والمخالفة، والحيلولة، والمباراة، والتغيير، والإظهار، والمجانبة، والترك، والطمع، والرؤية، والصعوبة، والآفة، والذم، والنشاط، والشتم، والاختبار، والكسر، والاعوجاج.

اصطلاحاً: تعني الزوال، والمقابلة، والعدل عن الأمر والامتناع عنه[٣]. إذنْ هي مقابلة أحد الشيئين بالآخر قولاً أو فعلاً.

لقد كانت معارضة الملك والجدال حول وجوده على رأس الدولة ونشاطه وأحياناً العصيان المفتوح والقتل كلها أمور حاصلة بعضها شائع في بلاد الرافدين وسورية، ومن ناحية أخرى فإن الملك دون أدنى شك لم يكن يتصرف على هواه، فقد كان هناك أشخاص كثر يمارسون التأثير عليه كالملكة والعشيقات وكبار الموظفين، وكثيراً ما كان يضطر إلى إرجاء قراراته، أو تعليقها أو حرفها باتجاه أو بآخر لجعلها أكثر توافقاً مع مصالحهم وأهوائهم. لكن هل يحق لنا إطلاق كلمة معارضة على تحركات من هذا القبيل؟ علماً أنه يجب ألا نخلط بين العصيان أو الثورة، فالثورة **بارتو** Bartu[٤] تهدف إلى تغيير المؤسسات، أمّا العصيان فهو ليس سوى انفجار للعنف لا يؤدي إلى تحولات جوهرية، زد على ذلك أن الاستياء لا يولد بالضرورة معارضة للنظام، فالانتقادات لا تؤدي دائماً إلى ثورة، أمّا الثورة والانتفاضة فقد تؤدي أحياناً إلى تغيير رأس الدولة.

---

(١) مادة [ع ر ض].١٦٧/٧.

(٢) تاج العروس مادة [ع رض] ٣٨٤/١٨، ومقاييس اللغة مادة [ع رض] ٢٦٩/٤.

(٣) معجم الكُليَّات، ص٦٢٣.

(4) CAD, B., vol: 2, P:113.

ففي العصور القديمة لم تختلف الثورة والعصيان والتمرد عن هذه المفاهيم فقد أخذت الشكل نفسه، وإن اختلفت التسمية، ولمعرفة أكثر عن هذه المصطلحات والتميز فيما بينها، كان لابدَّ من البحث أكثر في تفاصيلها، والتعرف على الأشخاص أو الجهات التي تظهر العداوة للحاكم(الملك)، ولابد من معرفة البواعث التي كانوا يتحركون من أجلها، لقد كانت نفوس الشعوب المضطهدة تواقة للحصول على حقوقها بعد أن وصلت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية إلى وضع سيئ، وأعطت صورة واضحة عن الانحلال الحضاري والاجتماعي الذي حل بهذه الدول، ما أدى إلى تذمر الأوساط من سياسة ملوكهم، ولكن خوف هذه الشعوب من اضطهاد سلطاتهم منع الانفجار وقيام الثورات في كثير من الأحيان، وساد التشاؤم بين صفوف الناس، وضاعت حقوقهم نتيجة خوفهم من المطالبة فيها، ويبين النص الآتي مصير كل من يريد الخروج على الحاكم القتل والسجن:

"اسمع أيها العبد

أريد القيام بالثورة

ممتاز اعملها يا سيدي، اعملها، إذا لم تقم بالثورة من سيلبسك ويطعمك

حسناً أيها العبد لن أقوم بثورة

لا تقم بثورة يا سيدي لا تقم بثورة، إن الانسان الذي يقوم بثورة يقتل ويجلد وتقلع عيناه ويرمى بالسجن"[1]

إذن كان القيام بثورة إنما هو مغامرة، وهذه المغامرة مرهونة بنجاح حركات الاحتجاج، وإذا فشلت فسيكون مصير من قام بها الموت والتعذيب والسجن، والثورة لا تستحق الكثير من الاهتمام، لأن نتائجها قد تكون أسوأ من مسبباتها، فالشعب عندما تضيق عليه سبل الحياة يبدأ بمناجاة الآلهة من خلال الترانيم والصلوات التي تدل على الورع والتقوى والتمسك بالإله في حالات الضعف والضيق والاضطهاد، ونورد الآن مثالاً على هذه الترانيم:

([1]) عبدالله، فيصل، حوار العبد ومولاه، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٤١-٤٢، ١٩٩٢، ص٨٣.

"أيتها النجوم الرقيقة، أيتها النجوم العطوفة على الأرض
الناس أيتها النجوم الرقيقة، والعطوفة على الأرض
الناس المحتشدون كثر
المضطهدون–المضطهدون، الذين لا حول لهم ولا قوة
الذين يتبعونك كل يوم دون توقف"[١]

لقد تطور شكل المعارضة في العصر الأكادي فكثيراً ما كان الملك ضحية مؤامرة يحيكها ضده جلساؤه المتملقون، فالملك ريموش (٢٢٨٤–٢٢٧٥ق.م) Rimush كان قد قتل على يد رجال قصره، وذلك بعد أن أحبط ثورات قامت للقضاء على الحكم الأكادي، وإعلان الاستقلال الذي حققته المدن السومرية[٢]، حتى الملك شاروكين لم يكن بمنأى عن انتفاضة مفاجئة في لحظة ما، حيث كان هناك مجموعة من القادة ينتصبون أمامه، متعبين دون شك من الحملات والحروب المتكررة، لكن بواعث الانتفاضة لم تكن أكيدة، وإنما اقتصرت على قادة انشقوا عن ملكهم، فخاض معركة ضدهم وردهم على أعقابهم وشتت جموعهم[٣]، وقد يتم اغتصاب السلطة والسيطرة عليها قسراً وقوائم الملوك تذكر الكثير منهم، فالملك شاروكين الأكادي نفسه كان في البداية بستانياً وخادماً إلى أن أصبح سيد البلاد، واستولى على السلطة ما يقارب ستة وخمسين عاماً.

في مملكة ماري بعد وفاة الملك يجيد ليم Yaggid–lim تولى العرش ابنه يخدون ليم Yachdun–Lim الذي قام باستبعاد أخيه شومويمم Šumu–yamam عن سدة الحكم، ثم يخدون ليم قُتل بمؤامرة حيكت ضده في القصر الملكي قادها كبار بلاطه وخدمه، ولا نستبعد أن يكون لأخيه شومويمم يد في ذلك لأنه ما لبث أن استولى على العرش لفترة قصيرة، وتُعدّ هذه الحادثة من أهم حوادث تصفية الحسابات في البلاط

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الرافدين، ص١٣٧–١٣٨.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٦.
(٣) المرجع نفسه، ص١٩٥.

الملكي[١]، غير أن مصادر أخرى ترجح أن يكون يخدون ليم قد قتل على يد شمشي أدد بن الإكبكابو الذي طرد سابقاً من منطقة تيرقا مع أسرته، وتمكن من الاستيلاء على السلطة في آشور، وبدأ ببناء دولة قوية، ليكون وراء المؤامرة، لذلك احتل ماري بعد مقتل يخدون ليم[٢]، لقد تعرض الملوك لكثير من أعمال التمرد والعصيان التي قادها بعض القادة التابعين لهم، وقد تعددت أسباب هذه التمردات، فبعضها يعود إلى أهداف شخصية مبنية على رغبة هؤلاء القادة في تحقيق مكاسب فردية، والوصول إلى الحكم، وبعضها الآخر كان سببه تذمر هؤلاء القادة من السياسات التي اتبعها ملوكهم، لأنها أثقلت كاهل الناس، ولدينا تقرير صادر عن ملك ماري الملك زمري ليم Zimri–lim أعلن فيه أن الخونة سمحوا بفتح أبواب مدينة إكلاتوم* Ekallatum، وأن حاكم هذه المدينة أسرع للمشاركة في نهبها، وتعاون مع الجماعات التي دخلت إليها[٣].

وكثيراً ما اصطدم الملك مع خصومه الذين يعارضون سياسته وسلطته، ويسعون إلى أعمال التخريب بهدف إثارة القلاقل ضد الحكم، فقد حيكت المؤامرات في الحانات ضد حكومته، وقد حصن الملوك أنفسهم لمواجهة هذا النوع من المعارضة، حيث كانت أغلب المعارضات يقوم بها العصاة والمجرمون الخارجون عن سلطة القانون، الأمر الذي دفع الملوك إلى إصدار قوانين تحد من أعمال التخريب التي كانوا يقومون بها، وخصوصاً أن الملوك كانوا يرون في مثل هذه الأعمال ما يسيء لهم ولحكوماتهم. فقد حدت هذه القوانين من نشاطهم وتحركاتهم، وقد أنزل القانون بصاحب الإقطاع عقوبة الموت إذا ما نزل عند رغبة المتآمرين على القصر، وكان قانون حمورابي واضحاً فيما يخص هذا الأمر، فالمادة التاسعة بعد المئة من القانون وصفت معارضي الملك

---

(1) Dossin.G., Archives de Sumu–Iammam roi: in RA64 (Revue d' assyriologie et d' archeologic orietale), 1970, P:17–18.

(٢) مرعي، عيد، يخدون – ليم ملك ماري، وثيقة تأسيس معبد إله الشمس (شماس) في ماري، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٢٧–٢٨، ١٩٨٧، ص١٠٠.

* أحد دويلات المدن التي تقع على الضفة الغربية لنهر دجلة، إلى الجنوب من مدينة آشور، اسمها يعني القصر، ذكرت كثيراً في نصوص ماري.

(3)Finet, A., Op.Cit, p10.

بالعصاة والخارجين عن القانون، وحملت صاحبة الحانة المسؤولية الكاملة في حال اجتماع هؤلاء العصاة في الخانة وتداولهم في أي موضوع يومئ إلى معارضة النظام والقيام بأعمال التخريب، فعلى صاحبة الحانة التبليغ عنهم وإلا فإنه سيواجه عقوبة الموت، وهذا ما توضحه المادة: "**لو تجمع بعض العصاة المحتالين، المجرمين، الخارجين عن القانون في حانة بائعة خمر، ولم تقم صاحبة الحانة بالقبض عليهم، وأخذهم إلى القصر، تقتل صاحبة الحانة**"(١)

فيما بعد تطور شكل المعارضة في العصر الآشوري الوسيط، فقد تزعم الملك آشور ناصر بال الأول (١٢٠٧-١٢٠٣ق.م) Aššur Nasar bal I ثورة ضد والده توكلتي -ننورتا الأول (١٢٤٤-١٢٠٨ق.م) Tukulti- Ninurta I بتحريض من كهنة بابل، وكان الهدف من هذه الثورة السيطرة على الحكم والإطاحة بحكم أبيه مستخدماً من أجل ذلك القوة العسكرية(١).

ولقد كان القصر الملكي يقود الأنشطة السياسية في البلاد، لذا مارست المعارضة أنشطتها في حيز من السرية والكتمان، محاولة من وراء ذلك الإطاحة بحكم الملوك، ويدل على ذلك ما ذكر في نصوص العصور القديمة من عبارات كقولهم مثل الوزير سوف يجلس على عرش سيده، وابن الملك سيتولى العرش، وشخص أحمق سيكون سيد البلاد، والملك سيُحاصر في قصره، وغيرها من العبارات التي أثارت قلق الملوك والحكام، ودلّت على قيام حركات العصيان والتمرد والثورة ضدهم، فكيف للملك أن يتفادى كل هذه التهديدات الصادرة، وهو الذي يعلن في كل مناسبة أن حكومته على قدر كبير من الحكمة والمسؤولية وتتميز بالعدالة، وهمها الأول حماية الفقراء وإنصافهم(٢). إضافة إلى ذلك نهج الملوك العديد من السياسات في سبيل المحافظة على الحكم ومنع سقوطه بيد معارضيه، ومن هذه السياسات إغداق الأموال على علية القوم مقابل الحصول على ولائهم وإخلاصهم، أو التخلص من الطامعين قبل فوات الأوان، كما فعل الملك الآشوري أسر حدون (٦٨٠-٦٦٩) الذي قتل العديد من كبار رجال بلاطه بعد أن قادوا مؤامرة استهدفت نظام حكمه، وتزامنت مع مرض الملك أسر

(1) Lambert.W.G.,Op.Cit, p 88-89.

(2) Finet. A., Op.Cit., p5.

حدون في السنة الحادية عشرة من حكمه، وكان معظم هؤلاء المتآمرين من النبلاء[١]، ولقد كان الحفاظ على النظام وهيبة الدولة أمراً جوهرياً، فكان لابدَّ للملك من مطاردة قطاعي الطرق والخارجين عن القانون، وقد استخدم الملوك القوة العسكرية في سبيل تحقيق هذا الهدف، حيث خاض الملوك حروباً طويلة الأمد في سبيل الحفاظ على عروشهم، والقضاء على الاضطرابات التي عمت بلادهم، ففي عهد الملك شلمنصر الثالث Shalmaneser III الذي دام حكمه ٣٤ سنة قاد ابنه آشور–دان– أبلي (Aššur– da'in–apli) ثورة داخلية ضده لأنه لم يكن مقتنعاً وراضياً عن عمل والده الذي أعطى ولاية العهد لأخيه شمشي أدد الخامس وكذلك ولى قيادة الجيش لديان– آشور، الأمر الذي أثار حفيظة آشور دان أبلي، ودفعه قيادة ثورة تمكن الملك شمشي أدد الخامس من القضاء عليها بعد فترة من وفاة والده الملك شلمنصر الثالث[٢].

وهذا يدلنا على أن ولاية العهد سببت قيام ثورات وتمردات ضد أنظمة الحكم، وكان هدفها الوصول إلى العرش بالقوة، فأشور دان–أبلي قاد ثورته مستغلاً امتلاكه القوة العسكرية وتأييد عدد من المدن الآشورية لوصوله للحكم.

وفيما يتعلق بموقف الملوك من هذه الثورات، فقد واجهوها بيد من حديد، حيث استخدموا التعذيب والاعتقال لكن بسرية تامة ودون أن يشعر بهم أحد، وقد عمدوا إلى دفن الموتى تحت جناح الظلام، دون إقامة أي مراسم لدفنهم، هكذا كان الأمر بالنسبة إلى أفراد قبيلة ويلاني Wilanu، وهي إحدى القبائل التابعة لمملكة ماري، حيث أمر الملك شمشي أدد Šamši–add ابنه بدفن القتلى تحت جناح الليل[٣]، وبحذر شديد كحذر زمري ليم حين أجبر حاكم تيرقا Terqa على أن يتخلص من ياريم داجان –Iarim Dagan ويجهز عليه دون أن يراه أحد[٤].

---

(1) Limit.H., La voix de lopposition en Mesopotamie: Reflexions sur la nature et l' efficacite d ' une opposition, Bruxelles, 1973, p79.

(2) Grayson. A.K., Assyrian rulers of the early first Millennium B.C, II, (858–745 B.C), RIM, Assyrian period, vol 3, A0.103, p183.

(3) ARM: I, 8. 8–16.

(4) ARM, XIII, 107. 5 – 19.

مما لا شك فيه إن الآشوريين اشتهروا في الألفية الأولى قبل الميلاد بالقسوة الشديدة، وباتباع سياسة القوة والعنف ضد خصومهم، وخير مثال على ذلك ما قام به الملك شاروكين الثاني ٧٢٢-٧٠٥ق.م عندما واجه تحالفاً معادياً للآشوريين بزعامة يوبيدي ملك حماة وحنونا ملك غزة ومشاركة عدد من الممالك الآرامية (أرباد-السامرة- دمشق- صومور)، حيث قام بعد ذلك بقتل عدد كبير من سكان مدينة حماة ونفيهم متهماً إياهم بأنهم خونة ومذنبون تمردوا على السلطة، فَرحل قسم كبير منهم إلى بلاد آشور[١]، أما القتلى فقد حظر إقامة أية أضرحة لهم، وبالاكتفاء بدفنهم بشكل جماعي داخل البلدة في حماة، وهذا يدل على أن الآشوريين استخدموا عقوبة النفي والترحيل الجماعي والقتل ضد خصومهم. كذلك تدلنا رسالة أرسلت من الملك البابلي كدشمان إنليل إلى الملك الحثي خاتوشيلي الثالث بخصوص عقوبة النفي والإبعاد ضد خصوم الملك الذين يرتكبون الجرائم والمعاصي ويهربون إلى أرض أخرى، فيجب قتلهم أياً كانت قرابتهم للملك[٢].

إلى جانب المعارضة عن طريق القوة، اشتهرت في تلك الفترة المعارضة عن طريق القلم ، حيث إنَّ بعض الأعمال كتُبت ضد حكم الملوك وسياساتهم تجاه شعوبهم، ومن جهة أخرى وردت أعمال قديمة منذ زمن طويل مروية قبل أن تصبح جاهزة ومنشورة بشكل أوسع من خلال أحاديث الناس التي تستطيع بخبرة تأجيج الحقد بعيداً عن الأزمات، ولنأخذ على سبيل المثال ملحمة جلجامش الذي عرف في بداية الملحمة بطاغية أورك، حيث تصفه هذه الملحمة بالأمير السيئ الذي كانت مظالمه تسبب الأذى للناس، فهو الذي لم يترك ابناً لأبيه، ولم يترك عذراء لحبيبها، ولا خطيبة لخطيبها[٣]، وفي العصر الآرامي شهدت السلطة قيام ثورات شعبية أطاحت ببعض حكامها، وهذا ما حصل في مملكة شمأل الآرامية، حيث يدلنا نقش الملك برراكب الذي أقامه تخليداً لذكرى والده باناموا على قيام ثورة في المملكة أيام جده برصر، وانتهت

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص٤٢٣.

(2)Westbrook, R., Personal Exile in the ancient near east, published American oriental Society, JAOS, vol 128, No 2, 2008, p 317-318.

(٣) باقر، طه، ملحمة جلجامش: أوديسة العراق الخالدة، ص ٣٩.

هذه الثورة بمقتل الملك والكثير من رجال بلاطه[١]، وقد اختلفت أسباب هذه الثورات فهناك أسباب سياسية و اقتصادية واجتماعية، ولكن كثيراً ما كان السبب الاقتصادي والاجتماعي هو الشرارة الأولى لقيام هذه الثورات، فتزايد الهوة المعيشية بين أفراد المجتمع الواحد أدى إلى تشكيل الأرضية الخصبة التي ساعدت على اندلاع الثورات، ففي مملكة شمأل كان مجتمعها مقسوماً إلى قسمين هما الموشكابيم وهم السكان الأصليون الذين كانوا يعملون بالزراعة، والبعرريم وهم الآراميون الذين وفدوا إلى المنطقة وتولوا السلطة فيها، ولم يكن هناك توافق بين هاتين الفئتين، الأمر الذي أدى إلى حدوث اضطرابات كان سببها التباين المعيشي، وازدياد الهوة بينهما، وقد حاول الملوك التخفيف من حدة هذه الاضطرابات عن طريق تحسين الأوضاع المادية في الدولة للجميع [٢]، ويبدو أن السلطة الحاكمة لم تستطع السيطرة على الوضع، **لذا** تطورت الأزمة إلى الحد الذي لا عودة فيه إلى الوراء، وزاد الاستياء الشعبي، وتحركت العامة بهدف الإطاحة بالسلطة الحاكمة، الأمر الذي دفع السلطة للاستعانة بالدولة الآشورية للقضاء على الاحتجاجات، وبالفعل فإن الملك الآشوري تيكلات بيليصر الثالث ٧٤٥-٧٢٧ق.م قاد حملة عسكرية انتهت بالقضاء على التمرد الذي قام به المحتجون، وعينوا بموجبه باناموا الثاني ملكاً جديداً خلفاً للملك باناموا الأول المقتول على يد المتمردين، وهذا يقودنا إلى معرفة الدواعي التي أدت إلى قيام هذه الثورة التي تطورت أسبابها من أسباب اجتماعية إلى أسباب سياسية هدفت للقضاء على السلطة الحاكمة، واستبدالها بسلطة قد تكون قادرة على تحقيق العدالة الاجتماعية[٣].

بعد أن عرفنا أشكال المعارضة في مناطق مختلفة من بلاد الرافدين وسورية، لا بدَّ من الوقوف قليلاً عند الوسائل التي اتبعتها بعض الدول لتثبيت سلطتها والمحافظة على نظام حكمها، والحد من تحركات المعارضة والتضييق عليها، بالإضافة إلى استخدام القوة العسكرية من أجل قمع الثورات والاحتجاجات وإصدار القوانين، كالقانون الذي

---

(١) أبو عساف، علي، الآراميون تاريخاً ولغةً وفناً، ط١، دار أماني للطباعة والنشر، طرطوس، ١٩٨٨، ص٢٤-٢٥.

(٢) حمود، محمود، الممالك الآرامية السورية، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٣) إسماعيل، فاروق، المرجع السابق، ص٢٤.

أصدره حمورابي وقد تم ذكره سابقاً، وهنا نذكر بعض الوسائل والطرق التي استخدمها الملوك:

١- اتباع سياسة النفي والإبعاد بحق المعارضين للسلطة والخارجين عن القانون، سواء أكان النفي فردياً أم ترحيلاً جماعياً، مثل نفي سكان مملكة حماة الآرامية إلى بلاد آشور، فكل من ارتكب جريمة ضد السلطة الحاكمة، يحاكم وقد يكون مصيره النفي إلى البلدان المجاورة[١].

٢- عقد معاهدات واتفاقيات مع الدول المجاورة تضمن عدم استضافتها للمعارضين، وعدم إيواء اللاجئين السياسيين الذين يأتون من الطرف الآخر، وتسليمهم إلى الجهة التي هربوا منها في حال تم إلقاء القبض عليهم واعتقالهم، وخير مثال على ذلك ما ورد في نقش السفيرة الآرامي الذي يتضمن بنود معاهدة عقدت بين متع أيل ملك أرفاد وبرجاية ملك كتك، وكان من أهم بنود هذه المعاهدة تسليم كل من يلجأ إليه هارباً من كتك وبالعكس، وعدم إعطاء المأوى ومنعهم من دخول أراضي الممالك الموقعة على هذه الاتفاقية بغض النظر عمن يكون هذا الشخص، سواءٌ أكان من العامة أم من السلطة الحاكمة، وقد تضمنت هذه الاتفاقية عدم تقديم أية معونة أو مساعدة لكل من تسول له نفسه الإطاحة بالسلطة الحاكمة، وعدم الوقوف مع أي طرف في حال نشب صراع بين الأطراف في الداخل، أي عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية مملكة[٢].

٣- اتباع سياسات إصلاحية للحد من تعاظم المعارضة وتزايدها، وذلك بتحقيق العدالة ورفع الظلم وتقسيم الثروة بالتساوي، والحد من تسلط الكهنة وتقليل صلاحياتهم بما يسهم في خفض الاستياء الشعبي ضد الحكم، لكن هذه التدابير الإصلاحية بقيت مرهونة بما تفرضه الضرورة التاريخية على ألا تمس جوهر النظام الحاكم من قريب أو بعيد[٣].

---

(1) Westbrook.R., Op.Cit. p317.

(٢) إسماعيل، فاروق، المرجع السابق، ص٢٢٥.

(٣) كلينغل، هورست، حمورابي البابلي وعصره، ص ١٤٢.

٤- إشراك شريحة كبيرة من الناس في ممارسة السلطة من خلال إقامة الجمعيات العمومية والمجالس التي أصبحت بإمكانها إعطاء الموافقة على القرارات التي يتخذها الملك، بالرغم من أن الملك كان لا يستمد شرعيته منها أو من الشعب، وإنما يستمده من الآلهة، علماً أن هذه المجالس كان أعضاؤها من الأغنياء والنبلاء وأصحاب الإقطاعات، وكانت صلاحياتها مقتصرة على الدور القضائي وحل المشكلات المحلية التي تحدث ضمن المملكة نفسها(١).

ومن خلال ما سبق نلحظ أن المعارضة لم تكن ذات جدوى، ولم تحقق أهدافها في كثير من الأحيان، ولكن من جهة أخرى كان يمكن أن تحصل انتفاضة مفاجئة غير متوقعة يخشاها الملك قد تقضي على حكمه، ولكن هذا نادراً ما يحصل لأن الملك غالباً ما يستطيع القضاء على مثل هذه الانتفاضات، ونلحظ أن الملوك كانوا يتوجسون من النبلاء فينصبون لهم المكائد، وكل هذه الدلائل لا تدل على وجود معارضة حقيقية، فلم يكن الملوك في بلاد الرافدين وسورية القديمة لا يقبلون توجيه الانتقادات إليهم، والمطالبة بتغيير السياسة، لذلك لم يكن الاستياء الشعبي يفضي إلا إلى انفجارات عنف وثورات لا تحقق النتيجة المرجوة منها، ولا تبشر بالمستقبل المرسوم لها.

(1) Fleming. D.E., Op.Cit, p175-176.

الفصل الثاني

السلطة والمعارضة في بلاد الرافدين وسورية في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد

أولاً: السلطة والمعارضة في بلاد الرافدين

١- نظام الحكم عند السومريين

٢- نظام الحكم عند الأكاديين

٣- نظام الحكم في عصر سلالة لاجاش الثانية ومملكة أور الثالثة

٤- المجالس عند السومريين والأكاديين

٥- المعارضة عند السومريين والأكاديين

٦- نظام الحكم في العصر الأشوري القديم

٧- المعارضة وأشكالها في العصر الأشوري القديم

٨- نظام الحكم في العصر البابلي القديم

٩-المجالس في العصر البابلي القديم

١٠- المعارضة في العصر البابلي القديم

١١- نظام الحكم في العصر البابلي الوسيط (العصر الكاشي)

١٢- المعارضة في العصر البابلي الوسيط (العصر الكاشي)

١٣- نظام الحكم في العصر الأشوري الوسيط

١٤- المعارضة في العصر الأشوري الوسيط

ثانياً: السلطة والمعارضة في سورية

١-نظام الحكم في مملكة إبلا

٢- مجلس الشيوخ في مملكة إبلا

٣- المعارضة في مملكة إبلا

٤- نظام الحكم في مملكة ماري

٥- مجلس الشيوخ في مملكة ماري

٦- المعارضة في مملكة ماري

٧- نظام الحكم في مملكتي يمحاض وألالاخ

٨-المعارضة في مملكتي يمحاض وألالاخ

أولاً: السلطة والمعارضة في بلاد الرافدين:

١-نظام الحكم عند السومريين:

كان الملك أو الحاكم في العهد السومري يعدّ نائباً للإله، لذلك ارتبط ازدهار الدولة بضرورة قيام الملك بوجباته كاملة اتجاه الإله، ففي البداية كانت السلطات والصلاحيات بيد الكهنة، لكن القصر أو الحاكم ما لبث أن انتزع تلك الصلاحيات منهم إلى أن امتلك زمام كافة السلطات(١)، ففي ذلك الوقت حكم الملوك السومريون البلاد باسم الآلهة وأدعوا أن الآلهة تعمل من أجل نصرتهم وعزتهم، فتسلم الحكم في البداية قادة عسكريون أضفوا على أنفسهم الشرعية بواسطة مجالس وما لبثوا أن احتفظوا بالحكم طيلة حياتهم(٢)،وفيما يخص صلاحيات هؤلاء الحكام، فقد تمكنوا من تقليص صلاحيات كهنة المعبد الذين كانوا يشرفون على مختلف نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولا سّيما السيطرة على الأرضي وتوظيف معظم أفراد المجتمع سواءٌ أكانوا عمال زراعيين أم جنوداً أم تجاراً، وحين شعر القصر بخطورة هذه السيطرة الشاملة، فبدأ يفرض سيطرته بالإضافة إلى المعبد، وهكذا نشأت المنافسة بين القصر والمعبد، ولكنّ الغلبة كانت للملوك الذين استطاعوا تعزيز صلاحياتهم على حساب تقليص سلطة المعبد، وشيئاً فشيئاً أصبح القصر يمارس الدور الأكبر ويتحكم بنواحي الحياة كافة (٣). ومن البديهي أن تقليص صلاحيات المعبد ثم انتزاعها من يد الكهنة لم يكن أمراً سهلاً، وإنما تحقق ذلك بعد صراع شديد حدث بين بين الملك والكهنة، وهذا ما شهدته فترة السلالات السومرية الباكرة، حيث يبدو أن السلطة انتقلت من يد الكهنة إلى قادة جمعوا في أيديهم صفات الزعامة والحنكة وحملوا لقب الملوك والذين استطاعوا تعزيز صلاحياتهم، واستأثروا بالسلطة وادعو بارتباطهم بالآلهة، وقاموا بتوريث مناصبهم لأبنائهم من بعدهم بحجة أنهم ممثلون الآلهة على الأرض(٤). وإذا

---

(١) Crawford, H., Op. Cit, P 41.

(٢) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين، ص٤٩.

(3) Mcintosh.R.J., Ancient Mesopotamia new perspective, Library of Congress, USA, 2005, p: 178.

(٤) الأحمد، سامي سعيد، الإدارة ونظام الحكم، ص٩.

تتبعنا الألقاب التي أطلقت على الملوك في عصر السلالات السومرية الباكرة، فإننا نلحظ أنّ حامليها قد جمعوا وظيفتي الحاكم والكاهن، وكان الملك جلجامش والملك اينمركار مثالين مبكرين لهذا الشخصية، وهناك مشاهد على عدة طبقات لأختام أسطوانية يظهر فيها شخص ملتحٍ وهو في مشاهد دينية ودنيوية يحمل بيده مادة طقوسية وقرباناً في المشاهد المصورة على الإناء النذري والذي وجد في مدينة أورك بمنطقة المعابد في الطبقة التي ترجع إلى دور جمدت نصر في حدود ٣٠٠٠ق.م[١]. ومن الألقاب التي أطلقت أيضاً على الحكام في العصر السومري لقب إنزي Enzi، وهو مصطلح سومري يعني حاكم المدينة أو أميرها، يبدو أن هذا اللفظ يحمل اسم حاكم محلي لمدينة معينة، فكلمة إنزي Enzi تتألف من مقطعين وهما إين En زي Zi، فالمقطع الأول يعني الحاكم الديني، والمقطع الثاني يعني قرناً أو قروناً، فيكون بناء على ذلك المعنى الحرفي للكلمة هو الحاكم الديني ذو القرن[٢]، وهذا يدلنا على أن الحاكم الديني بدأ يتحول تدريجياً ليصبح قائداً عسكرياً، علماً أن القرون كانت رمزاً من رموز الآلهة دون البشر، ومثالنا على ما تقدم ذكره الملك جلجامش الذي كان قائداً عسكرياً ودينياً، حيث مارس كافة السلطات واصفاً نفسه بأنه مخلوق ثلثاه من الآلهة، والثلث الآخر من البشر، فكان الحاكم بأمر الإله[٣]، ومن الألقاب التي أطلقت على الحكام في العصر السومري أيضاً لقب لوجال الذي يدل على اتساع سلطة الملك ونفوذه سواء أكانت هذه السلطة دينية أو دنيوية، حيث تمتع الملك بصلاحيات كثيرة في العصر السومري الباكر، ومن تلك الصلاحيات أنه كان قائد شعبه في السلم والحرب، وكان مسؤولاً عن مختلف نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان أيضاً مسؤولاً عن وضع القوانين، إذ تصدر القوانين باسمه[٤]،ومما يجدر ذكره أنَّ الممالك السومرية تصارعت فيما بينها للسيطرة على بلاد سومر وأشهر تلك الممالك كيش وأور وأورك ولاجاش، وكانت كيش ذات النفوذ الأكبر بين هذه الممالك، أمَّا أشهر

---

(١) عبد الحاج، أحمد هيفاء أحمد، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٢) رشيد، فوزي، السياسة والدين في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٠-١٣.

(٣) باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، ص١٠١.

(٤) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى ٥٣٩ق.م، ص٤١.

الملوك الذين وردت أسماؤهم في قائمة الملوك السومريين الذين حكموا هذه الممالك، فهم ميباراجيزي Mebaragesi (٢٦٧٥ق.م)، والملك جلجامش[١] وهو الملك الخامس لمدينة أورك، إذ ينتمي إلى السلالة الأولى، حيث لعب دوراً مهماً في بناء دولته، وترك مأثر عظيمة أثرت في الآداب الإنسانية اللاحقة.

٢-نظام الحكم عند الأكاديين:

عُرف نظام الحكم عند الأكاديين بأنه نظام حكم استبدادي، خاصة بعد أن قام الملك شاروكين بتوحيد البلاد، وجعل الحكم مركزياً، حيث ربط المدن والولايات كلها بالسلطة المركزية في العاصمة أكاد. واللافت للانتباه أن المفاهيم السياسية التي كانت سائدة في عصر السلالات السومرية الباكرة تغيرت في هذا العصر، لتبدأ مرحلة جديدة من الحكم الملكي الذي وصل إلى ذروته مع وصول الملك شاروكين إلى الحكم، حيث تمكن من إقامة دولة مترامية الأطراف شملت أراضي سومر وأكاد كلها، ثم تمكن حلفاؤه من بعده من المحافظة على هذه الدولة التي تعرضت للكثير من الثورات التي حاولت إسقاط نظام الحكم فيها[٢]. ركز الملك شاروكين اهتمامه على الجيش، فكان الجيش الأداة الرئيسية للحفاظ على نظام حكمه، وبواسطته استطاع تحصيل الضرائب، وعمد من أجل توطيد سلطته إلى مكافأة مؤيديه بمنحهم الهدايا والهبات والامتيازات والمناصب العليا في البلاد[٣]. وظلت أسس النظام الملكي تزداد رسوخاً في عهد خلفائه، وهذا ما تجسد بشكل واضح في عهد الملك الأكادي نارام سين (٢٢٦٠-٢٢٢٣ق.م) الذي أله نفسه، ووضع رمز الألوهية أمام اسمه في المدونات المكتوبة[٤]، وبذلك يكون الملك نارام سين قد رسخ النظام الملكي عن طريق ربطه بالإله، وتصوير الملك على أنه ممثل الإله على الأرض. وهذا أعطى الحكم الأكادي قوة تمكنوا من خلالها من الحفاظ على الحكم وتوسيع أراضي إمبراطوريتهم التي شملت مساحة واسعة من بلاد

---

(١) Jacobsen. F, The Sumerian King List, P170.

(٢) Mcintosh. R.J., Op.Cit, p: 177.

(٣) Ibid, p: 78.

(٤) كلينغل، هورست، حمورابي البابلي وعصره، ص١٣٤.

الرافدين وشمالي سورية ووصلت الى البحر المتوسط غرباً.

٣-نظام الحكم في عصر سلالة لاجاش الثانية ومملكة أور الثالثة:

لقد كانت مملكة أور الثالثة كغيرها من ممالك بلاد الرافدين من حيث نظام الحكم، فقد كان نظام الحكم ملكياً يصل الملك فيه إلى العرش بالوراثة، وحين نتتبع ما حلَّ ببلاد الرافدين بعد سقوط الحكم الأكادي، نجد أنها حكمت من قبل سلالات سومرية تمكنت من إعادة إحياء الحضارة السومرية، وكان من أشهر تلك السلالات التي حكمت مدينة لاجاش سلالة لاجاش الثانية. ولقد لجأ ملوك سلالة لجاش الثانية إلى الادعاء بأنهم ينتسبون إلى الآلهة هادفين من وراء ذلك للحصول على شرعية حكمهم، ولقبوا أنفسهم بالألقاب السومرية سابقة الذكر والتي دلت على حاكم المدينة وأميرها. فيما بعد تمكن أحد الأشخاص ويدعى أورنامو Urnammu من الوصول إلى السلطة في أور، واستطاع أن يؤسس حكماً عسكرياً متخذاً من أور مركزاً لحكمه، وادعى كمن سبقه انتسابه إلى الآلهة السومرية[١]بدليل اسمه الذي حمل اسم الإلهة نامو*، كان حكم أورنامو أيضاً حكماً ملكياً انتقلت فيه السلطة من الأب إلى الأبن بالوراثة، وقد كان الملك يستمد سلطته من الآلهة، لذلك تمتع بالكثير من الصلاحيات والامتيازات، فهو رأس الدولة، وهو صاحب القرار في السلم والحرب، وهو من يتولى السلطة القضائية، ويعين حكام الولايات والمقاطعات[٢]، ومع وصول الملك شولغي Shulgi (٢٠٩٣-٢٠٤٦ق.م) الذي خلف الملك أورنامو إلى الحكم قام هذا الملك بتأليه نفسه حاذياً حذو الملوك العظماء الذين سبقوه، ولا سيما الملك نارام سين الأكادي، وقد منحه هذا التأليه حق تولي السلطتين الدينية والدنيوية،

---

(1) Hallo. W.W., The Coronation of Ur-nammu, vol:20, No3\4, **JCS**, 1966, p: 134.

*الإلهة الأم السومرية التي أنجبت الآلهة العظام، وقد أشارت الأساطير إلى أنها خلقت البشر على صورة الآلهة، ولعبت دوراً هاماً في خلق البشرية، يدل أسمها على المياه العذبة التي تغذي التربة، وقد انتسب بعض الملوك إليها لاسيما الحاكم السومري أورنامو للمزيد أنظر:

Bertman.S, Op.Cit, p122.

(٢) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص ٢٤٤.

والحد من سلطة وصلاحيات الكهنة والمعبد، لذلك شهد عصره العديد من الإصلاحات، متبعاً سياسة تهدف إلى تحسين الأوضاع من خلال القيام بإصلاح اقتصادي، وتجلى ذلك بإقامة مشاريع الري وشق القنوات، والاهتمام بالزراعة وتشجيع العلم في المدارس الملحقة بالقصور والمعابد، وقد انعكس هذا على السياسة الخارجية، لاسيما التوسعات التي حققها، حيث وصل نفوذه إلى منابع نهر دجلة[١]، وجمع بيده كل الصلاحيات، معمقاً بذلك دور الفرد بالحكم الذي بلغ ذروته في عصر الملك شاروكين الأكادي، لتترسخ أسس النظام الملكي الذي كُتُبَ له أن يقوى ويتجذر في العهود اللاحقة.

٤-المجالس عند السومريين والأكاديين:

شهد العصر السومري الباكر نشوء أقدم مجلس في التاريخ حيث ترافق ذلك مع نشوء أنظمة الحكم في دويلات المدن التي عرفتها بلاد الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد، وكان أعضاء المجلس يجتمعون سوية من أجل اتخاذ القرارات المهمة والمصيرية التي تخص المدينة في حال تعرضت للأزمات والمخاطر التي تهدد أمن المدينة كالحروب والأوبئة وقرارات السلم والحرب[٢]، ففي حال تعرضت البلاد لخطر خارجي يتوجب على هذا المجلس الانعقاد للبت بشأن الحرب، فجلجامش على سبيل المثال أراد أن يخوض حرباً مع أجا حاكم كيش قام باستشارة المعنين من أولي الأمر الذين كانوا جلهم من الشيوخ، وحين عارض أعضاء المجلس الدخول في هذه الحرب لم يقم جلجامش بتنفيذ الخطوات المرسومة إلا بعد أن دعا للانعقاد مجلس عام اجتمع فيه جميع المواطنين الذكور، وحصل على موافقتهم[٣]. فمن خلال ما سبق ذكره نلحظ أنَّ الملك كان يشارك شيوخ مدينته في اتخاذ قراراته، والأخذ بمشورتهم من أجل اتخاذ القرار الصائب، والبت فيه، لكن الملك مع ذلك أعطي صلاحيات دينية ودنيوية ولم تقتصر صلاحيات الملك على هذا فحسب،

---

(١) Mcintosh, R.J, Op.Cit, p: 83.

(٢) Jacobsen.T, Democracy in Ancient Mesopotamia, p: 165.

(٣) ساكز هاري، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتاب الطباعة والنشر، الموصل، ١٩٧٩، ص٥٨-٥٩.

وإنما تعداها إلى صلاحيات عسكرية وقضائية، وصلاحية الأشراف على المشاريع الاقتصادية، ونشر العدالة بين أفراد الشعب[١]، ولابد أن نذكر أن المجلس في عهد جلجامش لم يكن يضم بين صفوفه سوى الذكور، ولم يكن للنساء أي مشاركة في اجتماعات تلك المجالس ومداولاتها[٢]، ولكن بالمقابل يمكننا أن نستنتج وجود تمثيل للنساء في هذا المجلس قياساً بمجالس الآلهة ، حيث كان للآلهات حضور في تلك المجالس، وهذا ما أشارت له أنشودة ارتقاء عشتار*، إذ جاء فيه:

" **للمرأة الشابة التي امتلكتها**

أعطِ يدك

عرفها، في مجلسنا، رضاك الثابت"[٣]

وقد دفعت حالات الحروب التي عاشتها بلاد الرافدين في عهد السومريين مجالس المدن للانعقاد لمناقشة كيفية التصدي للأعداء، فمنذ عصر السلالات السومرية الباكرة تنافست المدن السومرية للسيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأرض، إضافة إلى محاولات توحيد تلك المدن في مملكة واحدة، فضلاً عن الأخطار الخارجية التي تعرضت لها، ولا سيما من جهة بلاد عيلام والمنطقة الجبلية إلى الشرق من بلاد سومر.

لقد سعى الملوك لحماية عروشهم، وتثبيت سلطانهم، وعملوا على البحث عن أساس متين يبنون عليه حكمهم، بعيداً عن الاعتماد على تأييد مجالس المدن، فاعتمدوا على دعم الآلهة لهم، وذلك من خلال التأكيد على الحق الإلهي، والانتخاب الغيبي لهم عوضاً عن اختيارهم من قبل الناس، وخير مثال على ذلك قيام الملك شولغي

---

(١) عبد الحاج محمد هيفاء أحمد، مرجع سابق، ص ٩١-٩٢.

(٢) Jacobsen.Op.Cit, p: 163.

*ارتقاء عشتار أو "ارتفاع عشتار" نشيد ثنائي اللغة سومري أكادي يعود آخر نص مدون لها إلى عهد حكم الملك نبوخذ نصر الأول (١١٤٦-١١٢٣ق.م). للمزيد أنظر: الشواف، قاسم، ديوان الأساطير، الحضارة والسلطة، ص ٢٨٤.

(٣) رينيهلابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة ألبير أبونا ووليد الجادر، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٩٠.

بتأليه نفسه بعد مرور عشرين عاماً من توليه الحكم، وقد دام حكمه مدة تقارب ثمانية وأربعين عاماً، وكونه أله نفسه قدمت له النذور والقرابين، وسمي أحد أشهر السنة في التقويم السومري باسمه (شولغي المقدس)، كذلك وضعت عدة ترانيم دينية لتمجيده كإله[١].

وهكذا أصبحت النظرية التي يقوم عليها نظام الحكم تعتمد على مبدأ التفويض الإلهي، بمعنى أن الملك تم اختياره من قبل الإله الذي أوكل إليه مسؤولية الحكم نيابة عنه، وبموجب هذا التفويض يمارس الملك الحكم، ثم أصبح لدى الملك جيوش وحاشية واتباع يعملون على تنفيذ أوامره بشكل كبير، وتجلى ذلك بشكل واضح بعد تسلم الملك الأكادي شاروكين للحكم في بلاد أكاد، حيث افتخر أن الإلهة عشتار قد اختارته لحكم البلاد، وتشكيل جيش يكون الأداة الطيعة بيده من أجل تحصيل الضرائب وإخماد الفتن، فقد ورد عن شاروكين أنه كان يتناول الطعام يومياً مع أربعة آلاف وخمسمئة تقريباً من حاشيته وضباطه، فضلاً عن أنه كان يغدق الأموال عليهم[٢].

لقد لعبت المجالس دوراً مهماً في العصرين السومري والأكادي في الحياة السياسية، وسوف أورد الأن الدور الذي لعبه مجلس الشيوخ في عهد الملك جلجامش، حيث مارس مجلس مدينة أورك سلطته مرتين المرة الأولى كانت حين استشار جلجامش المجلس فيما يخص الحصار الذي فرضه أجا حاكم كيش، **أمّا** المرة الثانية، فكانت عندما عزم جلجامش على السفر إلى غابة الأرز. ففي الاستشارة الأولى تمكن جلجامش من استمالة الغالبية الشعبية إلى جانبه عندما أعطته الصلاحية الكاملة للتصدي لملك كيش، وقد تم ذلك بعد رفض مجلس الشيوخ إعطاءه الموافقة على محاربة ملك كيش، فحين قال لهم جلجامش:

"**علينا ألا نذعن لبيت (كيش)، ولنحارب بالسلاح**"[٣]

كان جواب المجلس:

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الرافدين، ص٢٣٩.

(٢) Mcintosh, R.J., Op.Cit, p: 78.

(٣) باقر، طه، من ألواح سومر، ص٨٦.

" **لنذعن لبيت (كيش)، ولا نحارب بالسلاح**"[١]

لكنَّ إصرار جلجامش والتجاءه إلى مجلس الشباب من المحاربين، أضفى الشرعية على قراره، فعندما خاطب أعضاء المجلس قالوا:

" **لا نذعن إلى بيت (كيش) ولنضربه بالسلاح**"[٢]

ولكن قيام جلجامش بأخذ موافقة مجلس الشباب المحاربين بعد رفض مجلس الشيوخ الموافقة على طلبه يثير التساؤل الآتي: هل كان العرف في عصر جلجامش يتطلب موافقة أحد المجلسين للحصول على شرعية القيام بحرب ما، أم أن جلجامش تجاهل مجلس الشيوخ وعمد إلى مجلس الشباب المحاربين؟ على اعتبار ان الشباب المحاربين وقع على عاتقهم متاعب المواجهة في الأعمال القتالية، ولكننا لا نستطيع الإجابة على هذا التساؤل بسبب عدم توافر النصوص التاريخية التي تؤكد لنا هذا النص أو تدحضه.

أمَّا فيما يخصّ سفر جلجامش إلى غابة الأرز، فأن جلجامش خاطب أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس الشباب المحاربين طالباً منهم إبداء الرأي بخصوص سفره إلى غابة الأرز، وقد أراد بذلك الحصول على دعم معنوي، فخاطبهم:

"**اسمعوني يا شيوخ أورك ذات الساحة**

سأسلك الطريق إلى خمبابا المتوحش

أنا جلجامش الذي تتداول البلاد أسمه باستمرار

إلى شبان أورك ذات الأسوار

اسمعوني يا شباب أورك الذين تعرفون القتال

بقوتي سأسلك الطريق إلى مقر خمبابا

سأواجه نزالاً لا أعرفه

سأسلك طريقاً لا أعرفه"[٣]

---

(١) باقر، طه، من ألواح سومر، ص٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٦.

(٣) حنون، نائل، ملحمة جلجامش (ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكادي)، دارا الخريف، دمشق، ٢٠٠٦، ص ١٠٤-١٠٥.

بعد هذا قام أنكيدو صديق جلجامش العزيز والذي رافقه في مغامرة البحث عن الخلود، وجه كلامه إلى مجلس الشيوخ وشباب أورك قائلاً:

"**قولوا له أن يذهب إلى غابة الأرز**

فمن يحرس غابة الأرز بعيد المنال

أن خمبابا صوته طوفان

فمه لهب، نفسه موت

قرر له إنليل أن يرعب البشر"[1]

فما كان من مجلس شيوخ أورك وشبابها إلا أن طالبوا جلجامش بعدم الذهاب إلى غابة الأرز، إذ قالوا له:

"**أنت لاتزال صغيراً يا جلجامش، وقد حملك قلبك مدى بعيداً، وأنت لا تعلم عاقبة ما أنت مقدم عليه، أننا سمعنا عن خمبابا أن بنيته مخيفة، ولا شيء يصمد أمامه، والغابة تمتد عشر ساعات مضاعفة، في كل الجهات**"[2]

وأمام إصراره وافق مجلس الشيوخ، على ذهابه إلى غابة الأرز، وبالتالي هذا يقودنا إلى استنتاج مفاده أن قرارات مجلس الشيوخ والشباب لم تكن ملزمة، فالأخذ بهذه القرارات وتحويلها إلى حيز التنفيذ إنما كان مرهوناً بموافقة الملك أو الحاكم عليها، وهذا يعني أن مهام هذه المجالس ليست أكثر من مهام استشارية، وتدعو الحاجة إليها عندما يشعر الملك بحاجة إلى الحصول على دعم من أجل اتخاذ قرار قد لا يملك الجرأة على اتخاذه، وكأننا أمام مجلس صوري ليس أكثر.

ما لبثت أن تقلصت صلاحيات مجالس الشيوخ ذات الطابع الاستشاري في أواخر عصر فجر السلالات، وأصبحت محدودة مع ظهور السلطة الموحدة في العصر الأكادي، وبرز دور الملك الذي جمع بيده كافة السلطات والصلاحيات، وقد كان الملك شاروكين خير ممثل للحكم الفردي، والذي تجلى بالسلطة العسكرية التي امتلكها، ومكنته من توسيع حدود دولته، والقضاء على دويلات المدن السومرية التي قامت عليها إمبراطوريته.

([1]) حنون نائل، ملحمة جلجامش، ص١٠٥.

([2]) باقر، طه، مقدمة في ادب العراق القديم، ص ١٠٩.

٥- المعارضة عند السومريين والأكاديين:

بعد أن درسنا طبيعة المعارضة وماهيتها في بلاد الرافدين وسورية بشكل عام، لابد أن ندرسها الآن دراسة مفصلة نتناول كل فترة زمنية فيها على حدة، وذلك تبعاً لدويلات المدن التي قامت فيها، فخلال دراسة المعارضة عند السومريين والأكاديين تواجهنا تساؤلات واستفسارات كثيرة تفرض علينا البحث عن إجابة لها، وأول تلك التساؤلات هل كان هناك معارضة في العصريين السومري والأكادي؟ وما الدور الذي لعبته هذه المعارضة؟ وما نوعها، أهي معارضة سياسية سلمية أم عسكرية.

والإجابة على ما سبق من أسئلة يحتاج دراسة واقع المعارضة في العصريين السومري والأكادي، حيث جمع المجتمع السومري والأكادي عناصر متعددة، وغالبية هذه العناصر لا تعي كثيراً قضايا السياسة والحكم، فقد عاشت حياة بسيطة فقيرة يميزها الشقاء والعناء والاستسلام لظروف الحياة الصعبة، ويتلخص دور هذه المجموعات أو العناصر في المجال السياسي ببعض الأفكار البسيطة [١] ونجد أن طبيعة النظام القائم في العصر السومري والأكادي قد فرضت وجود نوع من المعارضة، لأن نظام الحكم كان ملكياً، والملك صاحب السلطة المطلقة، فهو أخذ الحق الإلهي في الحكم من الإله الأعظم إنليل راعي النظام الملكي والساهر على حسن سيره[٢]. لقد مارس الحكام سياسة استبدادية وصلت إلى حد الاضطهاد لأبناء شعبهم في بعض الأحيان، فالملك جلجامش رغم مناشدة الآلهة إياه كي يكون ملكاً عادلاً، لم يكن منه إلا أن مارس سياسة استبدادية ضد أبناء شعبه، ووصف بأنه طاغية أورك، وقد وردت مناشدة الآلهة جلجامش لإقامة العدل بالنص الآتي:

" **لقد منحتك الآلهة سلطاناً على الشعب لا نظير له، وجعل لك النصر في المعارك التي لا ينجو فيها تاج، لكن لا تُسِئ استخدام هذه القوة، عامل خدمك في القصر**

---

(1)Sollberger.E, La Voix de l'oppostion en Mesopotamie:la opposition au pauys de Sumer et Akkad, Bruxelles, 1973, p 29.

(٢) الشواف، قاسم، ديوان الأساطير، ص ٣٥-٣٧.

بالعدل، كن عادلاً أمام وجه شماش*[1].

لكن سياسة جلجامش لم تعرف العدل، وهذا ما ولّدَ استياء من قبل الشعب، مما أدى إلى تدخل الآلهة ولاسيما الإله آنو الذي أرسل شخصاً يوازي جلجامش قوةً، وهو أنكيدو**، لأن جلجامش بالغ في ظلم أبناء شعبه واضطهادهم، كما جاء في ملحمته:

" **فجلجامش لم يترك ابناً لأبيه**

ولم تنقطع مظالمه عن الناس ليل نهار

ولم يترك عذراء لحبيبها

ولا ابن المقاتل ولا خطيبة البطل"[2]

فبسبب هذه المظالم التي قام بها جلجامش أرسلت الآلهة أنكيدو، ليكون نداً له يضارعه في القوة وقساوة القلب، ليدخل في صراع معه كي تنال أورك الراحة والسلام، وفي ظل هذه السياسة الاستبدادية لم يكن بوسع الشعب القيام بأية ثورة ضد الملك الظالم، وجُلَّ ما تستطيع الناس القيام به هو مخاطبة الآلهة ومناشدتها لتخليصها من الظلم الذي تعاني منه، ولذلك فالمصادر السومرية لم تذكر قيام أيّة ثورة ضد الملك جلجامش رغم سياسته الظالمة والاستبدادية كما ذكرنا سابقاً.

وكثيراً ما كانت تدفع الأوضاع الاجتماعية المضطربة، وانتشار الظلم، وازدياد الفقر الملوك إلى القيام بإصلاحات للحد من هذه الأوضاع، وخير مثال على ذلك الإصلاحات التي أعلنها الملك المصلح أورو إنمجينا حيث أصدر العديد من المراسيم

---

* إله الشمس، كانت مركز عبادته في مدينتي سيبار ولارسا، حمل صفة العدل، وقد نسب إليه حمورابي الإلهام الذي قاده إلى جمع قوانينه، تذكر المصادر أن هذا الإله يستمد نوره من السماء، فينشر النور ويبدد الظلام، رمز له بقرص الشمس، أنظر: Bertman.S, Op.Cit, p: 126.

([1]) حسن، محمد خليفة، الأسطورة والتراث في الشرق القديم، دون دار نشر، بغداد، ١٩٨٨، ص١٦١-١٦٢.

** أنكيدو: مخلوقاً عارياً، يغطي الشعر جسمه، ساذجاً وبدائياً لا يعرف العلاقات البشرية، كان يمضي أيامه ولياليه بين الوحوش البرية، كُلفَ بكبح طغيان جلجامش، لكنه ما لبث أن تحول إلى إنسان مستأنس، ورافق جلجامش في مغامرات لقتال الوحش خمبابا، والبحث عن الخلود. للمزيد انظر: باقر طه، من ألواح سومر، ص٣٠٧.

([2]) باقر، طه، ملحمة جلجامش، ص٢٩.

بهدف الحد من امتيازات العائلات والطبقات الغنية هادفاً من ذلك رفع الظلم عن الطبقات الفقيرة[1]، وهنا نطرح التساؤل التالي: هل ما قام به الملك أورو إنمجينا هو ثورة ضد الفساد والاضطهاد الذي مارسته الطبقات الغنية ممثلة بالكهنة، يبدو أن سوء الأوضاع وتردي الأحوال دفعته إلى الثورة على سلفه والقضاء على حكمه، والدليل على ذلك إعلانه سياسة إصلاحية في مجالات الحياة كافة هدفت إلى حماية الفقراء ومراقبة تصرفات الموظفين وتخفيض الضرائب.

وإذا انتقلنا إلى العصر الأكادي حين وصل الملك شاروكين للحكم، ومارس الحكم الفردي، واتبع سياسة استبدادية، واخضع مساحات واسعة من أراضي بلاد سومر لسلطته، فقد قامت عدد من التمردات من أجل أسقاط حكمه والتخلص منه، لكن شاروكين استطاع القضاء على هذه التمردات، وسحق المتمردين. وإذا أردنا البحث في الأسباب التي دفعت الشعب إلى القيام بتمردات ضد شاروكين، فأننا نجد أسباباً كثيرة ساهمت في ذلك ونذكر أهمها:

١- كون شاروكين مغتصباً للعرش، فشاروكين لم يكن سليل أسرة حاكمة، ولا ينتسب لأي عائلة مالكة، وإنما أسبغ صفة الشرعية على حكمه بادعائه أن الإلهة عشتار قد باركت وصوله إلى الحكم، وهذا ما ادعاه في القصة التي نسج خيوطها وحاكها بطريقة تسوغ وصوله إلى السلطة.

٢- قيام شاروكين اتخاذ أكاد عاصمة جديدة له، وجعلها مركز الثقل، وبالغ في الاهتمام بها على حساب المدن الأخرى، وهذا أثار تلك المدن التي كانت عبارة عن مراكز دينية لكثير من الآلهة، فلذلك رأى سكان هذه المدن أن شاروكين لا يحترم مقدساتهم الدينية[2] ففقدت مدنهم أهميتها لحساب مدينة أكاد.

٣- تركيز شاروكين اهتمامه على الجيش الذي كان الأداة الرئيسية التي يعتمد عليها للحفاظ على حكمه، وكان الأداة الطيعة في يده، في حين كان ذلك

---

(1) مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق.م، ص٣٧.

(2) Demieroop.M.V., Cuneiform Text and The Writing of history, first Published, 1999, USA, P: 73.

الاهتمام على حساب مناحي الحياة الأخرى، حيث استخدمه في توسيع مملكته وتحصيل الضرائب.

٤- حصر شاروكين الامتيازات في أفراد عائلته، ومنحهم المناصب العليا، الأمر الذي أثار استياء الكثير من أفراد شعبه[١].

٥- لقد كانت الفتوحات التي قام بها شاروكين مقدمة للثورات العارمة التي اجتاحت البلاد، حيث شملت هذه الثورات المدن السومرية كلها، يبدو أن سوق أبناء السومريين من أجل المشاركة في القتال، إضافة إلى معاناة القادة من كثرة الحملات والحروب المتكررة التي قادوها، وسوء معاملة سكان المدن السومرية التي فقدت الكثير من امتيازاتها الاقتصادية بعد نقل العاصمة إلى أكاد، كل ذلك أدى إلى قيام الثورات في أواخر عهد شاروكين وبداية عهد خليفته ريموش[٢].

وقد شارك شاروكين في العديد من الحملات ضد المدن الثائرة، ولا سيما سوبارتو* التي قام شعبها بعصيان ضد الحكم الأكادي، ولكن شاروكين تمكن من القضاء على هذا العصيان، وأعادها إلى السيادة الأكادية من جديد، كذلك قاد حملة عسكرية أخرى ضد كازالو Kazallu** وقضى على التمرد الذي قام فيها. وهكذا استطاع شاروكين القضاء على الثورات والتمردات التي قامت ضد حكمه كلها مستخدماً في ذلك القوة العسكرية التي كان يمتلكها، فعاشت البلاد فترة من الاستقرار في أواخر حكمه، لكن هذه الثورات ما لبثت أن اندلعت من جديد بعد وفاته وتسلم خليفته ريموش الحكم، حيث

---

(١) Mcintosh.J.R., Op.Cit, p: 78.

(٢) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص٢٠٦.

*مدينة ماتزال غير معروفة الموقع بالنسبة للباحثين، وهي بالنسبة للأكاديين تمثل الأفق الشمالي من بلادهم، ورد ذكر المنطقة تحت اسم سوباري في رسائل العمارنة، عاشت فيها مجموعات ناطقة بلهجة شامية أنظر:

عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، المرجع نفسه، ص ٢٠٦.

**واحدة من بين المدن السومرية التي ثارت في وجه الملك الأكادي شاروكين أنظر:

عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، المرجع نفسه، ص ٢٠٦.

وجد ريموش البلاد عرضة للثورات التي تهدد حكمه، فوصف الوضع في أقاليم الإمبراطورية عندما اعتلى العرش بقوله:

" **نهضت جميع البلدان التي خلفها لي والدي، ولم يبق أحد مخلص لي**"[١].

لذلك سار ريموش على نهج والده، فقمع الثورات، واعتمد على الجيش الذي خلفه له والده في القضاء عليها، خصوصاً أن هذا الجيش حافظ على ولائه للعرش، وقد تمكن ريموش من إخضاع شعوب المناطق الثائرة في الإمبراطورية، فقاد ريموش حملة ضد واراخشه (أحد المقاطعات التابعة لمملكته)، واستطاع القضاء على العصيان موقعاً خسائر كبيرة في صفوقهم، فبلغت تلك الخسائر سبعة عشر ألف قتيل، وأسر أربعة آلاف أسير[٢]. وقد استمر حكم ريموش قرابة تسع سنوات، وأمضى فترة حكمه يلاحق ويقضي على الثورات التي تستهدف القضاء على الحكم الأكادي، ولكنه لقي حتفه في مؤامرة نفذها ضده رجال قصره (mariekallišu)[٣] حيث قام رجال قصره بضربه بالعقود التي تتدلى منها الأختام[٤]، ولكن لا يعرف السبب الذي دفعهم إلى ذلك، ونجد أن خليفته مانيشتوسو Manishtusu قد لقي المصير ذاته، حيث قتل أثر مؤامرة حيكت ضده في القصر، أما حين وصل الملك نارام سين إلى الحكم، فقد قام العديد من الثورات والتمردات في بعض المدن السومرية، لكن الملك نارام سين استخدم القوة العسكرية في قمعها، وأرجع المدن الثائرة إلى حضن الإمبراطورية الأكادية، وكان من أبرز المدن الثائرة كيش وأومًا ونيبور وأورك، وقد ثارت هذه المدن خلال سنوات حكمه السبع والثلاثين[٥].

لقد شهد العصر الأكادي قيام العديد من الثورات والتي هدفت إلى إسقاط الحكم، وقد انطلقت معظم هذه الثورات من المدن السومرية، وقد ساهمت هذه الثورات في إضعاف

---

(١) حلمي، إسماعيل محروس، الشرق القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٧٧، ص٢٢.

(٢) عبدالله، فيصل، مرعي عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص٢٠٦.

(٣) CAD, E, vol: 3. P: 52.

(٤) Limet.H., Op.Cit, p: 67.

(٥) مرعي عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى ٥٣٩ق.م، ص ٤٩.

الحكم الأكادي، لأن حكام أكاد قضوا معظم وقتهم في إخمادها، وهذا أدى إلى وصول حكام ضعفاء إلى سدّة الحكم واستعادة المدن السومرية استقلالها، ثم دمرت أكاد على أيدي الغوتيين، وبدأ عصر الإحياء السومري الذي حكمت فيه سلالة لاجاش الثانية، وقد شهد هذا العصر استقراراً سياسياً، وخصوصاً أن ملوك هذه السلالة لاسيما الملك جوديا ادعوا انتسابهم إلى الآلهة، واتبعوا سياسات إصلاحية تمثلت بتنفيذ المشاريع العمرانية، وإرسال الحملات التجارية، وعقد الاتفاقات التجارية، وبناء المعابد، ونصب التماثيل لها في أرجاء المملكة كلها(١). أمَّا مدينة أور فقد شهدت نشوء سلالة أور الثالثة، وتذكر المصادر قيام الملك أورونامو بتمرد مكنه من السيطرة الحكم، حيث كان أورونامو حاكماً عسكرياً، فاستغل منصبه، وتمكن من السيطرة الحكم، ثم نقل مركز حكمه من مدينة أورك إلى مدينة أور، وأضفى على نفسه الشرعية بادعاء انتسابه إلى الآلهة(٢).

وقد عاشت مملكة أور فترة من الاستقرار السياسي إلى أن وصل الملك شوسين Shu–Sin إلى الحكم، فشوشين حفيد الملك أورونامو، وتذكر أحد النصوص قيام تمرد من قبل السومريين والخابيرو* والمناطق المحيطة بها ضد الملك الجديد، والنص الآتي يوضح ذلك:

" **سيمانو**	**[si-ma-nú]m**
الخابيرو	**[ha-bu-r]a**

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين، ص ٢٢٥.

(2) Hallo.W.W., Op.Cit, p:137.

*__الخابيرو–خبيرو__: اسم لمجموعة من الناس تحمل الاسم الأكادي habiru والاسم السومري LU–SA–GAZ (لو.سا.غز)، وهم من الغزاة والناهبون، لم يشكلوا وحدة سياسية، فهم عبارة عن جماعات بدوية متنقلة، لم يظهروا بصورة دائمة، وكانوا يشاركون في أعمال استطلاع عسكرية لدى الملوك أو لحسابهم الخاص، فهم لم يشكلوا عرقاً أو نسباً قبلياً أو اعتباراً سياسياً أنما حالة اجتماعية. للمزيد انظر:

عبدالله، فيصل، خبرو (خابيرو= Hab\pi–ru) مشكلة حقيقية مفتعلة، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٣١–٣٢، ١٩٨٩، ص١٥٦.

والمناطق المحيطة	**[ú ma-da-m]a-da-bi**
ثاروا ضد الملك	**[lugal-da gú-er]im**
وأعلنوا العصيان	**[ba-an-da-ab]gäl**
لكنه طاردهم	**[du-mu-munus-a]-ni**
وأعاد الأمان	**e-ki-tuš-a-ni]-ta**
للسكان"	**säg im-ta]-eš**(١)

نستنتج من هذا النص أن الثورات بدأت تعصف بمملكة أور من قبل المقاطعات التابعة لها، والهدف منها إعلان استقلالها، لكن الملك شوسين تمكن من إخماد هذه التمردات بالقوة العسكرية، وأعاد الأمن والاستقرار إلى ربوعها. وفي عهد خليفته إبي سين Ibbi–Sin(٢٠٢٧–٢٠٠٤ق.م) بدأ حكام المقاطعات يعلنون استقلالهم، وامتنع حكام الأقاليم عن إرسال الأتاوات المفروضة عليهم، وقد تزعم هذا التمرد مدينة إشنونا، ثم تبعتها المدن الأخرى، وترافق هذا مع ازدياد غزوات البدو الأموريين، وهذا اسهم في سقوط المملكة فيما بعد على يد العيلاميين الذين دمروا المدينة، واقتادوا ملكها إبي سين أسيراً إلى العاصمة العيلامية سوسة(٢).

٦- نظام الحكم في العصر الآشوري القديم:

تشير الدراسات إلى أن آشور حُكمت منذ الألف الثانية قبل الميلاد من قبل سلالة حاكمة حمل حكامها أسماء أكادية، وما لبث أن تمكن الأموريون من السيطرة على الحكم فيها، حيث استطاع شمشي–أدد Shamshi–Adad(١٨١٥–١٧٨٢ق.م) ابن زعيم إحدى القبائل الأمورية التي كانت تقيم في منطقة الفرات الأوسط بالقرب من ماري، الاستيلاء على مدينة إكلاتوم Ekallatum، ومكث فيها قرابة ثلاث سنوات، لينطلق منها للسيطرة على آشور، وليتمكن من تأسيس مملكة قوية(٣)سعى دائماً إلى

---

(1)M.Civil, Šū–Sîn's Historical Inscriptions: Collection B, Vol:21, JCS, 1967, p:30.

(٢) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الرافدين، ص٢٤٢.

(3) Grayson.A.K., Assyrian royal inscription, vol:I, 1972, p:28.

جعلها إمبراطورية كبيرة تضاهي الإمبراطورية الأكادية، وقد اتخذ من شوبات إنليل(تل ليلان حالياً)عاصمة لمملكته. وقد سار الملك شمشي–أدد على نهج أسلافه للتقرب من الآلهة، فقام ببناء معبد للإله إنليل في مدينة آشور، وادعى أن الإله إنليل هو الذي أعطاه السلطة على بلاد آشور، وجعله ملكاً عليها، وكشكر لهذا الإله سمى مدينة له في منطقة الجزيرة السورية باسم شوبات إنليل Shubat–Enlil، أي مسكن الإله إنليل[١]، كذلك تدل الأسماء التي حملها الملك شمشي–أدد وابناؤه على سعيهم لإضفاء الشرعية على حكمهم من خلال تقربهم من الآلهة، فالإله أدد هو إله العواصف والبرق والرعد عند الأموريين، أما الإله داجان فهو من أقدم الآلهة الذي انتشرت عبادته في منطقة الفرات الأوسط منذ العصور القديمة. ومن ناحية أخرى لُقِّبَ الملك شمشي–أدد بالعديد من الألقاب، منها لقب ملك إكلاتوم، كذلك ربط نفسه بالملوك الأكاديين ولاسيما الملك شاروكين ونارام سين، حيث عدهم أجداده، وحمل ألقابهم، كلقب ملك الجميع، وهو لقب لُقِّبَ به الملوك الأكاديون، وكذلك لقب ملك الكون والملك القوي، وقد أقيم في عهده عبادة خاصة لتماثيل الملك شاروكين وحفيده نارام سين[٢].

وبعد اتساع مملكة آشور، وسيطرتها على مساحات واسعة من الممالك المجاورة، قرر شمشي–أدد الاعتماد على ولديه في إدارة المملكة، واستقر في مدينة شوبات إنليل لمراقبة الأوضاع في المملكة، فسلم ابنه البكر إشمي–داجان Ishme–Dagan المناطق الشرقية من المملكة، وابنه الثاني يسماخ–أدد yasmach–Adad أوكل إليه منطقة دور يخدون–ليم(عند التقاء الفرات بالخابور)، وعينه حاكماً على منطقة ماري، ويبدو أن الملك شمشي–أدد بقي يحتفظ لنفسه بالسلطة داخل المملكة ومقاطعاتها، حيث تدل رسالة مرسلة منه إلى ابنه يسماخ–أدد على عدم استقلالية الأخير في إدارة المناطق التي سيطر عليها، وأن شمشي–أدد رسم لابنه الخطوط العامة في إدارة منطقته، وبين له كيفية التعامل مع حكام الأقاليم والموظفين داخل المملكة، ودلت هذه الرسالة على ضعف يسماخ–أدد وعدم تمكنه من إدارة مملكته:

---

(١) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ص٩١.

(2) Kupper.J.R, ŠamŠi–Aada et l' Assyrie, Miscellanea Babylonica, Paris 1985, p:148.

"إلى متى يجب علينا أن ندلك؟ هل أنت صغير؟ متى تستطيع أن تدير بيتك(مملكتك) بشكل صحيح؟ ألا ترى أخاك الذي يقود جيشاً كبيراً؟ هكذا يجب عليك أن تدير بيتك(مملكتك) وقصرك"(١).

وقد اضطر شمشي-أدد في كثير من الأحيان للالتقاء شخصياً بولده، لتوجيهه في الأمور التي تخص النواحي الإدارية أو العسكرية، وأظهر اهتماماً كبيراً في إدارة مملكته، وعين فيها أشخاصاً على قدر كبير من الحنكة الإدارية، ولعب المستشارون دوراً مهماً في إدارة المنطقة التي حكمها يسماخ-أدد مستغلين ضعف خبرته، وتدخل والده المستمر، الذي يأتي بناءً على طلب ابنه لحل المشاكل الخاصة بمناطقه، وهذه رسالة تبين قيام يسماخ-أدد باستشارة والده بخصوص توزيع القمح في مدينة توتول، وكان رد شمشي-أدد على النحو الآتي:

"لقد كتبت لي بخصوص موضوع تقسيم حقول القمح التي قمت بزراعتها في توتول قائلاً لي: لماذا سأذهب؟ فليقرر الملك بخصوص حقول القمح، وهذا ما كنت كتبته إلي! والحال أني أعطيتك هذه المدينة، فلماذا لا تتوقف عن إعادة القرار لي بخصوص هذا الموضوع؟ إن كنت أهلاً للحفاظ على هذه المدينة فحافظ عليها، وإن لم تستطيع الحفاظ عليها، فهناك العديد من الأشخاص الذين يمتلكون القوة الكافية للحفاظ عليها.

هذه المدينة لرجل يمتلك القوة والمؤهل للحفاظ عليها، وإن لم يكن الحال هكذا، أنت أيضاً ستخسر هذه المدينة، نعم أنت! لماذا إذاً سأترك منزلي (مملكتي)، وأذهب كي أنظم منزلك (مملكتك)؟ لن أترك منزلي (مملكتي) أبداً، ولن يغادر إشمي-داجان منزله (مملكته)، ولن ينظم منزلك(مملكتك)، الرجل الحقيقي يقيم بتنظيم منزله (مملكته) بنفسه"(٢).

من خلال هذا الرد نلاحظ أن شمشي-أدد يطلب من ابنه الاعتماد على نفسه واتخاذ القرار الصائب، والحفاظ على مملكته، وتحقيق هدفه كما يفعل أخوه إشمي-داجان

---

(١) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ص٩٣.

(2) Charpin.D et Durand J.M, La prise du pouvoir par Zimri-Lime MARI4, Paris, 1985, P: 300-301.

الذي يضرب به والده المثل في قوته وحسن إدارته ومتانة حكمه.

ثمّ بقي يسماخ–أدد على هذه الحال إلى أن تزوج من الأميرة دمخورازي Damchurazi ابنة ملك قطنة حيث قويت سلطته، وقد أمن له هذا الزواج نوعاً من السيادة والاستقرار في مملكته، وهذا ما تدل عليه رسالة مرسلة من أحد كبار الموظفين إلى يسماخ–أدد، حيث تصفه بالسيد–المولى، وهذا يدل على السلطة والنفوذ اللذين تمتع بهما في تلك الفترة(١).

لقد تركزت السلطة بيد الملك شمشي–أدد، وأعطى جزءاً منها لولديه، ولكنه في الوقت نفسه بقي يراقب إدارتهم، ويشرف عليها، من ناحية أخرى لم تشر المصادر إلى قيام مجالس للشيوخ في العصر الآشوري القديم، وهذا يقودنا إلى أن الملك ركز بيده السلطة، ومارس الحكم مع أقلية تألفت من ولديه وبعض كبار الموظفين، الأمر الذي مكنه من الحفاظ على قوة المملكة ووحدتها، وبقيت آشور مملكة قوية متماسكة إلى أن توفي الملك شمشي–أدد، حيث ضعفت المملكة، وبدأت تفقد مقاطعاتها الواحدة تلو الأخرى، نتيجة غارات الممالك المجاورة عليها من جهة، والثورات التي قامت بها تجمعات البدو الموجودة فيها من جهة أخرى.

٧– المعارضة وأشكالها في العهد الأشوري القديم:

شهدت مملكة آشور في عهد ملكها شمشي–أدد العديد من الثورات والتمردات، الأمر الذي دفع الملك إلى قيادة العديد من الحملات لكبح جماح هذه الثورات، ففي مدينة أرابخا* Aparha إحدى المدن التابعة لإقليم زلماقوم، قام حاكم المدينة ويدعى لريم–نومخا Larim–Numaha بتمرد على الملك، وأعلن استقلاله عن مملكة آشور، مما دفع شمشي–أدد إلى قيادة حملة للقضاء على هذا التمرد، فتمكنت قواته من إخماد هذا التمرد، والقضاء على لريم–نومخا، والاستيلاء على مدينته، ولكن هذه الاضطرابات ما لبثت أن عادت إلى إقليم زلماقوم في أواخر حكم شمشي–أدد، فقام بأرسال حملة تمكنت

---

(1)Villard P., Les administrateurs de l' epoque de yasmah– addu, Amurru 2, Paris, 1993, p: 17–19.

*كركوك حالياً عاصمة إحدى الممالك في فترة حكم شمشي–أدد.

من القضاء عليها[١]. إلا إن الثورة التي هددت المملكة ، كانت ثورة التوركو Turukku، وهم سكان جبال زغروس الذين اضطروا نتيجة الفقر والجوع إلى القيام بأعمال غزو ونهب للمناطق الشرقية من آشور، مشكلين بعد ذلك تهديداً مستمراً لهذه المملكة، ولاسيما أنهم كانوا كثيري التنقل، وعاشوا وتوغلوا في العديد من الأقاليم التابعة لها، وانتشروا في مناطق كرانا(مدينة إلى الجنوب من جبل سنجار)، ونينوى (على الضفة اليسرى لنهر دجلة قبالة مدينة الموصل الحالية)، ورزاما(مدينة شمال جبل سنجار)، وقد قاد ملكهم ليدايا lidaia تمرداً في مناطق شرق نهر دجلة، وقاد جيشاً مكوناً من المدن المتحالفة بلغ قوامه قرابة ١٠٠٠٠مقاتل لكن إشمي–داجان تمكن من القضاء على المتمردين وسحقهم، لكن التوركيون ما لبثوا أن قاموا بتمرد آخر في منطقة مثلث الخابور، وأثاروا الاضطرابات في مملكة آشور، وتجمعوا في مدينة امرزاكوم (مدينة تقع في مثلث الخابور) إلا أن إشمي–داجان قاد حملة ضدهم وحاصرهم، وتمكن من القضاء عليهم[٢].

وقد عاشت مملكة آشور فترة من الاستقرار السياسي والعسكري، إلا أنَّ وفاة شمشي–أدد أدت إلى ضعف في هذه المملكة التي شهدت قيام اضطرابات تمثلت بثورات البدو في مناطق متعددة من المملكة، فبدؤوا بالهجوم على العاصمة شوبات إنليل، وعاثوا فيها خراباً، ثم توجهوا بعد ذلك إلى كاخات وأشناكوم وناخور وتلخيوم، ويبدو أن هناك أسبابا عديدة دفعت البدو إلى القيام بالتمردات ضد السلطة الحاكمة، أولها حالة الفقر التي عانى منها السكان، وانتشار الأمراض، حيث شهدت مملكة آشور انتشار وباء خطير انتشر في المنطقة الممتدة بين توتول وسجراتوم، بالإضافة إلى تحريض ملك حلب للبدو على القيام بثورة[٣]، هذا كله أدى إلى ضعف المملكة وعدم القدرة على

---

(1)Charpin.D, Ziegler.N, L' epoque de ŠamŠi–Addu (1792–1775), FM v, Paris, 2003, p: 105–106.

(٢) Charpin.D, Ziegler.N, Op.Cit, p: 107,115.

(٣) Ibid, p: 111,134.

امتلاك زمام الأمور، ثم بدأت المملكة تفقد وحدتها، وأدى استمرار الاضطرابات إلى انفصال المناطق التابعة لها شيئاً فشيئاً، ووصول حكام جدد إلى السلطة في بعض المدن، وعودة أسرة زمري ليم إلى ماري بعد أن ساهمت ثورات البدو في خروج يسماخ-أدد منها، وتسليمها لزمري ريم بمساعدة ملك حلب[1].

وهكذا نلحظ أن المعارضة في آشور اتخذت طابعاً عسكرياً، وكانت عبارة عن ثورات هدفت إلى إضعاف نظام الحكم وإسقاطه، ولأول مرة في التاريخ القديم نشاهد نجاح هذه الثورات في تحقيق هدفها، فقد أضعفت هذه الثورات المملكة، وحولتها إلى مملكة ضعيفة لم تعد تذكر بين الممالك التي عاصرتها في المنطقة، ويبدو أن هذه الثورات قد عكست الطابع البدوي لسكان هذه المملكة الذين رفضوا الانصياع لأوامرها، والالتزام بقوانينها، ومن ثمَّ شكلوا عاملاً مهماً من عوامل سقوطها.

٨- نظام الحكم في العصر البابلي القديم:

اتصف نظام الحكم في العهد البابلي القديم بالمركزية الشديدة، وقدمت لنا بابل في عصرها القديم أنموذجاً متقدماً للحكم والإدارة، ويبدو أن القوة التي وصلت إليها مملكة بابل، إضافة إلى كثافة عدد سكانها، وتبعية عدد من الأقاليم والمدن لسيادتها، كان عاملاً في تطوير عمل الإدارة وتنظيم أساليبها بهدف مواجهة مطالب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وسوف نقوم بدراسة نظام الحكم والإدارة في عهد أشهر حكامها، وهو حمورابي البابلي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) الذي وصلت بابل في عهده إلى أوج قوتها وعظمتها، ويعد حمورابي سادس ملوك السلالة البابلية الأولى، فقد اتبع الملك حمورابي نظاماً مركزياً ربط فيه جميع حكام الولايات بالنظام المركزي لحكومة مدينة بابل، وحدد صلاحيات هؤلاء الحكام، فكان يشرف ع كل التفاصيل في مملكته، ويتابع جميع الأعمال الإدارية في البلاد، كما أنه أنشأ نظاماً خاصاً للاتصالات بينه وبين المقاطعات والأقاليم التابعة لحكومته، لتوصيل رسائله وأوامره الإدارية إلى تلك المقاطعات والأقاليم، وقد حكم حمورابي بمركزية شديدة، وجعل السلطات كافة بيده، وكان يمثل قمة الهرم في الحكم يساعده في ذلك عدد من الموظفين الذين يمكن عدهم

([1]) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم -بلاد الرافدين، ص٣٠١-٣٠٢.

بمنزلة مساعدين ومستشارين له، حيث سمح لهم باتخاذ بعض القرارات التي لا تتعارض مع توجيهاته وأوامره الملكية، وعين الحكام في المقاطعات، وأعطاهم بعض الصلاحيات فيما يخصها، وأوكل إليهم مهمة إدارة شؤونها كحفظ الأمن والنظام، وإنجاز الأعمال، وقيادة القوات العسكرية لمقاطعاتهم كونهم أعلى سلطة هناك[١]، فصلاحيات والي المقاطعة تشبه صلاحيات محافظ المدينة في عصرنا الحالي، فهو يمثل الملك وينوب عنه في المقاطعة، وتعيينه يكون من قبله مباشرة، وهذا يدل على أهمية هذا المنصب في العصور القديمة من جهة، وحرص الملك على اختيار القادة الأكفاء القادرين على تحمل أعباء الحكم والقيادة من جهة أخرى.

ونلحظ أن الملك حمورابي اتبع سياسة مشابهة لسياسة الملك زمري ليم ملك مملكة ماري الذي عاصره في فترة حكمه، فقد قامت سياستهما على الاطلاع على أدق التفاصيل في ممالكهم والاعتماد على الحكم المركزي في إدارة ممالكهم.

سار الملك حمورابي على سياسة من سبقه من الملوك حيث تقرب من الآلهة، وذكر في مقدمة قانونه الشهير أنه تم اختياره من قبل الآلهة، لينوب عنها في حكم الأرض، وينشر العدالة باسمها، وتقرب منها عن كطريق تقديم القرابين لها بشكل مستمر، فهي من قدمت له السلطة وولته على العرش، وهي من أضفت الشرعية على حكمه كما يوضح النص الآتي:

" **حمورابي الورع-الخاشع أمام الآلهة العظيمة-محبوب الإلهة عشتار**[٢].

إلا أن الملك حمورابي لم يؤله نفسه، وذلك لأنه لم يكن بحاجة إلى ارتداء ثوب الألوهية، وخصوصاً بعد أن اتبع سياسة تقوم على جعل الأنشطة الاقتصادية كافة بيده، فالملك حمورابي ربط التجارة بالقصر، وأخضعها لإدارته، وأشرف على تمويل القوافل التجارية، وانتزع من يد المعبد هذه الأنشطة كلها، فأصبح ريعها يذهب للقصر بدلاً من المعبد الذي اقتصر دوره فقط على أمور العبادة، وتقديس الآلهة، ولاسيما الإله مردوك إله

---

(١) الأعظمي، محمد، حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م)، بغداد، ١٩٩٠، ص ٩٣-٩٤.

(٢) هورست، كلينغل، حمورابي البابلي وعصره، ص١٨٧.

بابل الرئيس الذي استمد الملك سلطته منه[١]، فالملك لم يعد بحاجة للمعبد في الحصول على الأموال، حيث أصبح دور المعبد دينياً فقط، خلافاً لما كان في السابق، وخاصة في العصرين السومري والأكادي، فالقصر الأن أصبح المالك الوحيد لجميع الأراضي والعائدات كلها تعود إليه.

لقد اتبع الملك حمورابي سياسة تقوم على رعاية شؤون الدولة شخصياً عبر الاهتمام بشؤون القضاء والعدالة، وما القانون الذي وضعه إلا دليل واضح على اهتمام الملك بإنصاف المظلومين، وإحقاق الحق، وإرساء العدل في البلاد، فاستطاع بهذه السياسة التقرب من أبناء شعبه، وحصل على دعم الأغلبية من أبنائه من خلال إصداره القوانين والتشريعات، ففي السنة الثانية من حكمه قام بإصدار عفو عن المحكومين، وحفر قناة حملت اسمه[٢]، ووصفها بأنها تعطي الوفرة للشعب المحبوب من الإله إنليل الذي يستحق العطاء، وهذا يدل على اهتمامه أيضاً بالزراعة ومشاريع الري في عصره.

وقد تمكن الملك حمورابي بهذه السياسة الإصلاحية التي اتبعها من السير بمملكة بابل نحو التقدم والرقي، فالقانون الذي وضع في عهده يدل على ذلك، حيث عاشت بابل عصرها الذهبي في عهده، الأمر الذي انعكس على سياستها في الخارج، فقد أصبحت مملكة بابل صاحبة النفوذ الأقوى بين الممالك، وتمكنت من التوسع على حساب الممالك التي جاورتها، حتى إنها احتلت بعضها كما فعلت بمملكة ماري التي دمرت على يد الملك حمورابي.

٩- المجالس في العصر البابلي القديم:

تدلنا الوثائق التي تعود إلى العصر البابلي القديم على أن المجالس لم تلعب الدور نفسه الذي لعبته في العصور السابقة، وإنما أصبحت مهامها داخلية تتعلق بالنواحي القضائية، وشكل المجلس محكمة تنظر في الدعاوى المقدمة إليه بعد البت فيها من قبل القضاة، وتقديم المشورة فيها وإبداء الرأي في الحكم الصادر بناءً على طلب هؤلاء القضاة، فهناك وثيقة ورد فيها ذكر المجلس، وهي عبارة عن قرار محكمة، قدم فيها

---

(1) G.Leick, The Babylonian, Routledg Published, New York, 2007, p: 269.

(٢) Finet.A, Op.Cit, p: 4.

أعضاء المجلس رأيهم ومشورتهم بناء على العرف المحلي المتبع في مدن المملكة:
"**عندما رفع سيدي الملك المشعل الذهبي لمدينة سبار، ونفذ بذلك العفو من أجل الإله شماش الذي يحبه.... نظر القضاة في قضايا مواطني سبار، وقرؤوا ألواح شراء الحقول والبيوت والبساتين، وأمنو تحطيم تلك الألواح التي جعلها المرسوم لاغية وباطلة مع أنني قدمت ألواحي للمجلس وفحصها المسؤولون وأقروها وختموها**"[١]

وهذا يقودنا إلى أن مجلس الشيوخ في العصر البابلي القديم امتلك حق النظر في القضايا القانونية التي يتم عرضها عليه، وتلك التي يأمره الملك أو الحاكم بالنظر فيها. وقد ورد ذكر المجالس في المادة ١٢٦ المكملة للمادة ١٢٥ من قانون حمورابي، حيث وجهت هذه المادة مجلس المدينة للاحتكام إلى الآلهة في حال كذب المدعي، وتشير هذه المادة إلى الغرامة التي يتوجب على المدعي دفعها للمجلس في حال ثبوت بطلان ادعائه كما يوضح نص المادة:

"**إذا قال إنسان لم يفقد شيئاً: فقدت شيئاً، وادعى على مجلس بلدته، فعلى مجلس بلدته أن يبرهن أمام الإله أنه لم يفقد شيئاً، (عندها) عليه أن يدفع ضعف ما ادعى به إلى مجلس بلدته** "[٢]

نستنتج مما سبق أن مجلس الشيوخ يختص بالقضايا التي ترفع إليه من قبل الملك، أو أية سلطة عليا أخرى من أجل دراستها، حيث يقوم بإعادة النظر بالقضية، والبت فيها متخذاً من قانون حمورابي أساساً له في إصدار الأحكام، وبذلك يكون الملك حمورابي قد تمكن من إبعاد المجلس عن التدخل في سياسة المملكة الخارجية، أو القيام بأي عمل لرسم سياسة المملكة سواء السياسية الداخلية أم الخارجية، واقتصر دوره فقط على معالجة الشؤون القضائية المتعلقة بشؤون الملكية والعائلة، وحل بعض القضايا المحلية. وهذا يدل على قوة نظام الحكم في العصر البابلي القديم الذي أرسى قواعده الملك حمورابي، ووصل فيه إلى مرحلة متقدمة من القوة والتنظيم توحيد البلاد تحت نظام

---

(١) نيكولاس، بوسستغيت، حضارة العراق وآثاره، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون، بغداد، ١٩٩١، ص٢٥.

(٢) مرعي، عيد، قوانين بلاد ما بين النهريين، دمشق، ١٩٩٥ ص ٧٢.

واحد يرأسه الملك.

١٠- المعارضة في العصر البابلي القديم:

ليس في المصادر المكتوبة ما يشير إلى قيام أي نوع من أنواع الاضطرابات والفتن والتمردات في العصر البابلي القديم، كذلك ليس هناك ما يشير إلى مقاومة فعلية قام بها معارضو السلطة إن وجدوا، ويبدو أن الإصلاحات والتشريعات التي قام بها ملوك بابل حالت دون وجود مقاومة فعلية، فقد سعى ملوك بابل، ولا سيما الملك حمورابي إلى إقامة نظام عادل تتحقق فيه العدالة الاجتماعية، إضافة الى أن العقيدة الدينية لعبت دوراً هاماً في الحفاظ على نظام الحكم، فهي صورت الحاكم قريباً من الآلهة، لا بل هو صنيعتها، فلا يجوز التعرض له أو المساس بحكمه، وخير مثال على ذلك الملك حمورابي الذي ادعى أنه اختير من قبل الآلهة، ليكون رسولها ومشيئتها، وليجسد العدالة في الأرض ، ويقضي على البغاة الفاسدين، وليأخذ حق القوي من الضعيف[١] من ثم ليس هناك مسوغ لقيام أي تمرد أو ثورة ضد من يمثل الإله على الأرض، ويحقق العدالة، وينصف المظلوم، ويحمي الضعفاء، فقد حال هذا التصور لدى غالبية الناس دون ظهور أية أفكار تؤدي إلى قيام الثورات والتمردات في وجه نظام الحكم، وبالرغم من تأزم الأوضاع في كثير من الأحيان إلا أنها لم تصل إلى مرحلة الثورة، وما سجلته المصادر هو نوع من التمرد الفردي الذي تمثل بهرب بعض الأشخاص من ظلم القادة والابتعاد عن التعسف والاستغلال.

إذن لقد أسهمت عدالة الملوك وسياستهم الإصلاحية في إبعاد قيام الثورات، وقد دلت على ذلك رسالة[٢] من أحد الرعاة رفعت على أحد المحاكم، والراعي يدعى إبلي-إيبلسم، حيث رفع شكوى إلى الملك متظلماً بسبب اغتصاب أرضه من قبل شخص يدعى إيتل-بي، ويشكو الراعي هنا على أحد موظفي القصر الكبار، ويدعى سن-ادينام الذي نظر في الشكوى ولم يعد له حقه، وبعد أن اطلع الملك حمورابي على القضية، طلب من القضاة دراستها والتحقق من صحة دعوى الراعي، وبعد ذلك تبين صحة صدق دعوته، فأمر الملك بإعادة الأرض للراعي، وتقدير كمية الشعير التي

---

(١) كلينغل، هورست، حمورابي البابلي وعصره، ص١٨٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٢.

استلبت منه وإعادتها إليه.

وقد دلت هذه الرسالة على صلاح نظام الحكم في بابل، وهذا ما أسهم بدوره في عدم قيام تمردات وثورات ضد السلطة الحاكمة فيها.

١١- نظام الحكم في العصر البابلي الوسيط (العصر الكاشي):

لقد حكمت بابل في عصرها الوسيط من قبل فئة غازية أطلق عليها اسم الكاشيين، وهؤلاء الكاشيون تمكنوا من الوصول إلى الحكم، وتنصيب أنفسهم على عرش بابل، ولم يكن ذلك بواسطة جيش منظم، وإنما تسربت مجموعات قادمة من مناطق جبال زاغروس الواقعة شرق بلاد الرافدين إلى بابل ثم تمكنت من السيطرة على الحكم، وإقامة سلالة جديدة بدلاً من السلالة البابلية القديمة أطلق عليها السلالة الكاشية، وقد حكم الكاشيون بابل منذ بدايات القرن السادس عشر حتى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وتمكنوا خلال هذه الفترة من استيعاب الثقافة والأعراف البابلية، حتى إنهم عبدوا آلهتها، وهكذا حكم بابل في عصرهم ستة وثلاثون ملكاً كاشياً لمدة تقارب خمسمئة وستاً وسبعين سنة وتسعة أشهر، وتدلنا قوائم الملوك على أهم هؤلاء الملوك وعدد سنوات حكمهم[١]. وقد تمكن الحكام الكاشيون من تدعيم حكمهم، والحفاظ عليه، وذلك من خلال اندماجهم مع السكان الأصليين، وتقديس آلهتهم، وتشكيل جيش منظم معظمه من العنصر الكاشي، مهمته حماية رأس السلطة (الملك)، حيث أغدق الملك على ضباطه الكثير من الإقطاعات الزراعية، كما أعطى ايضاً كبار الموظفين ورجالات الدولة بهدف ضمان ولائهم، وقد حمل ملوك بابل العديد من الألقاب، منها لقب ملك بابل، والملك القوي، وملك الكاشيين، وملك سومر وأكاد، وملك جهات العالم الأربعة، وخير مثال على ذلك الملك غاندش الذي حمل هذه الألقاب[٢]، كذلك لقب الملك أجوم الثاني Agum II بهذه الألقاب، إضافة إلى لقب بوكاشوم[٣] Bukashum الذي يعني الأمير في اللغة الكاشية. ويبدو أن الملوك الكاشيين الغرباء عن بابل أرادوا

---

(1)Rogers, R.W, A history of Babylonia and Assyria, vol:I, New jersey 1900, p:105.

(٢) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم –بلاد الرافدين، ص٣١٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٣١٧.

من وراء هذه الألقاب التشبه بملوك بلاد الرافدين الذين حملوا هذه الألقاب هادفين من وراء ذلك إضفاء الشرعية على أنفسهم، وخصوصاً أنهم اتبعوا سياسة تقوم على التقرب من أبناء البلاد المحليين عن طريق بناء المعابد، وإغداق الكثير من الأموال عليها، فالملك كوريغالزو الأول Kurigalzu I قام ببناء معبدٍ على درجة كبيرة من التنظيم، وقد عرف بمعبد E unm-mah[١]، وذلك بهدف الحصول على شرعيتها، ودعم الكهنة، وخاصة أن الحصول على رضا الآلهة يدعم شرعيتهم، ويقربهم من الشعب الذي سعى الملوك الكاشيون إلى عدم الظهور بمظهر الغريب عنه.

وقد جرى العرف في بابل على أن يتم تنصيب الملك الشرعي على الحكم من قبل الإله مردوك راعي الآلهة، والحاكم الحقيقي للمدينة، فالملك أجوم الثاني أظهر احتراماً كبيراً للآلهة، حيث قاد العديد من الحملات لاستعادة تمثال الإله مردوك، إله بابل الرئيس من بلاد خانا، وقام بتقديم العديد من القرابين له، بالإضافة إلى استعادة قرينته صربينيتو Sarpanitu، حيث أعاد هذا التمثال إلى معبد إزانغيلا E-sangila[٢]، وقام بترميم هذا المعبد وتزينيه تقرباً من الآلهة.

عُرِفَ نظام الحكم عند الكاشيين بأنه نظاماً ملكي وراثي، ونلحظ من خلال تتبع قوائم الملوك على عرش بابل في العصر الكاشي أن معظم هؤلاء الملوك تسلموا الحكم عن طريق الوراثة، فالملك نازي مارتاش، وهو الملك الثالث والعشرون في السلالة الكاشية، تسلم الحكم من والده كوريغالزو الثاني Kurigalzu II، ثم خلفه على عرش بابل فيما بعد ابنه كادشمان-توركوا Kadušman-Turgu[٣]، وهذا يدلنا على أن الملوك الكاشيين ساروا على النهج نفسه الذي سار عليه ملوك العصور السابقة. لقد تركزت السلطات والثروات كلها بيد الملك، وأشرف على الأنشطة الاقتصادية كلها في البلاد،

---

(1) Woolly.S.L, Ur Excavation the Kassite period and the period of the Assyrian king, London, The trust of the two museum, 1965, p: 5,6.

(٢) Rogers.R.W, Op.Cit, p: 106-107.

(3) J.A. Brinkman, Materials and Studies for Kassite History, vol:I, Chicago: Orientale Institute, 1976, p262.

ومنها الإشراف على أعمال البناء، حيث تطلعنا النقوش[١] التي عثر عليها، والتي تعود إلى العصر الكاشي على الصلاحيات التي كان يمتلكها الملك، والذي اتخذ من مدينة بابل مقراً له.

وقد قسمت مملكة بابل في العصر الكاشي كغيرها من ممالك بلاد الرافدين إلى عدد من الأقاليم، يديرها عدد من الحكام الذين يقع على عاتقهم تحصيل الضرائب، وتمثيل الملك في المقاطعات، والإشراف على أعمال الرعية ونشاطات المعبد[٢]، ومن ثم كان الحاكم ينوب عن الملك في الاحتفالات والطقوس الدينية، وهذا العرف عرفته أغلب الممالك الرافدية في عصورها القديمة. وهنا نلحظ أن نظام الحكم في العصر الكاشي لم يختلف عن نظرائه من أنظمة الحكم في العصور السابقة، حيث حافظ على الشكل نفسه.

١٢- المعارضة في العصر البابلي الوسيط:

لقد حكم الكاشيون بابل كملوك غرباء، وتعرض العديد من ملوكهم للثورات، حيث تدلنا قائمة الملوك البابليين على أن الملك الكاشي أدد شوما آشور Adad-šuma-ušur، وهو الحاكم الثاني والثلاثون في الأسرة الكاشية، قد وصل إلى الحكم عن طريق ثورة[٣] ولكن لا توضح لنا المصادر أسباب هذه الثورة وأهدافها، ولكننا نرجح أن تكون قد حصلت في البيت الحاكم نفسه، ولم تكن ثورة شعبية، إنما ثورة هدفت للتنافس على السلطة في بابل، وأوصلت أدد شوما أشور إلى السلطة.

وعندما تسلم الملك بورنابورياش الثاني Burna-Buriash II السلطة في بابل، تزوج من ابنة الملك الآشوري آشور أوباليط الأول Aššur-uballit I وأنجب ولداً منها يدعى كارا خارداش Kara-hardaš وهو الذي تسلم الحكم في بابل بعد وفاة والده، ولكن بعد ذلك قامت ثورة ضده تزعمها كبار النبلاء الكاشيين، وقد أدت هذه الثورة إلى قتل الملك، وتنصيب ملك جديد يدعى نازي بوغاش Nazi-Bugaš هذا الملك ينتمي

---

(1)T. Clayden, Kish in The Kassite Period (1650-1150 B.C), vol:54, BISI, 1992, p:142.

(٢) Michntosh. J.R, Op.Cit, p:178.

(٣) J.A. Brinkman, Op.Cit, p: 89.

إلى أسرة غنية نافذة في بابل، الأمر الذي دفع الملك الآشوري آشور أوباليط الأول إلى قيادة قوة عسكرية دخلت بابل بحجة الثأر للملك المقتول، حيث تم قتل الملك المغتصب، وتعيين الابن الآخر لبورنابوياش الثاني (كوريغالزوا الثاني) والذي كان صغيراً في السن، ولكنه اشتهر بولائه للملك آشور أوباليط الأول[١]، ويبدو أن دوافع عديدة، قد دفعت الملك الآشوري لقيادة حملة، والتدخل في بابل، إذ لم يكن الأخذ بالثأر هو الدافع الوحيد لدخول بابل وقتل حاكمها، وتعيين حاكم جديد، إنما كان الدافع الأهم هو أن الملك الآشوري قد رأى أن المصالح الآشورية قد أصبحت مهددة بعد وصول حاكم جديد، ومن ثم أصبحت المقاطعات الآشورية القريبة منها مهددة، فكان لا بد من التدخل، وإعادة الوضع إلى ما كان عليه، وهذا ما يبرر تغير سياسة بابل في عصرها الكاشي بعد وفاة ملكها آشور أوباليط الأول، حيث قاد ملوك بابل العديد من الحملات ضد الدولة الآشورية، واصطدموا معهم في أكثر من معركة، أهمها المعركة التي مني على إثرها الملك الكاشي بخسائر فادحة[٢].

ومما سبق نلحظ عدم قيام أية ثورة شعبية تهدف إلى تغيير نظام الحكم، وما قام من ثورات لم يكن أكثر من صراع بين قادة أقوياء، كان هدفهم الوصول إلى الحكم والاستحواذ على السلطة.

١٣- نظام الحكم في العصر الآشوري الوسيط:

لم يختلف نظام الحكم في العصر الآشوري الوسيط عن غيره من أنظمة الحكم التي سادت في بلاد الرافدين في أواسط وأواخر الألف الثاني قبل الميلاد، فقد عُدَ الملك في عصر هذه الدولة رأس السلطة، وامتلك السلطات كافة، فهو حاكم مطلق الصلاحيات، يحكم باسم الإله، ويتخذ القرارات الهامة كإعلان الحروب، وتوقيع المعاهدات، وتعيين كبار الموظفين. وقد اتبع ملوك هذا العصر سياسة تقوم على التقرب من الآلهة، والحصول على رعايتهم، وكان الملك يعترف بفضل هؤلاء الآلهة عليه، ولدينا مثال على ذلك من عهد الملك "تيكلات-بيليصر" الأول Tigalth-Pileser I (١١١٦-١٠٧٧ق.م) حيث ذكرت النصوص التي تعود إلى عهده عبارات تدل على ذلك مثل:

---

(١) J.A. Brinkman, Op.Cit,p: 100,166.

(٢) فيصل، عبدالله، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم -بلاد الرافدين، ص ٣٣١.

"بأمر من الإله" أو "أمرني الإله"[١]، كذلك ارجع هذا الملك ما حققه من انتصارات وتوسعات إلى فضل الآلهة التي ساندته وساعدته في تحقيق هذه الانتصارات.

لقد أدعى الملوك في هذا العصر أنهم ممثلين الإله آشور على الأرض، وتميزوا عن غيرهم من البشر بأنهم يمتلكون الرعاية والقوة، فقد ذكر الملك آشور أوباليط الأول في نقوشه الملكية العلاقة التي تربطه بالآلهة، ونسب نفسه إلى الملوك الأشوريين القدماء، فهو يستمد سلطته من الإله إنليل الذي كلفه بنشر السعادة وأعمار مدينة آشور، حيث أسس المعابد للآلهة، وقام ببناء قناة Patti-duhdi التي جلبت الخير والوفرة لآشور، وبنيت بمباركة الآلهة[٢]. كذلك رفع الملك شلمنصر الأول Shalmaneser I (١٢٧٤-١٢٤٥ق.م) مكانته فوق البشر، وحمل لقب راعي المجتمع البشري، والراعي الصادق وغيرها من الألقاب التي ميزته عن غيره من البشر[٣].

لقد دلت الألقاب التي حملها الملوك الآشوريين في العصر الآشوري الوسيط على القوة والعظمة والنفوذ الذي تمتعوا به، وبينت هذه الألقاب مدى اتساع الدولة الآشورية في عهدهم، فالملك توكولتي نينورتا الأول Tukulti-Ninurta I (١٢٤٤-١٢٠٨ق.م) أطلق على نفسه العديد من الألقاب والتي ذكُرت في نقوشه الملكية كما يشير النص الآتي:

" **توكولتي نينورتا، ملك الكون، الملك القوي، ملك آشور، ملك الجهات الأربعة، ملك كرودنياش، ملك سومر وأكاد، ملك البحر الأعلى والأدنى، ملك الجبال والسهول الواسعة، الملك الذي ساعدته الآلهة في تحقيق الانتصارات**"[٤]

---

(1)Odorico.M.D, Composition and editorial processes of annalistic and summary text of Tigalth- pileser I, Napoli, 1994. P: 79.

(2) Luckenbill.D.D, Ancient Records of Assyria and Babylon, vol: I, P: 22-24.

(٣) ساكز، هاري، عظمة آشور، ترجمة خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، الدار السورية الجديدة، مؤسسة علاء الدين، دمشق، ص٦٩.

(4)Grayson.A.K, Assyrian Rulers of Third and second millennia B.C, (To 1115 B.C), Vol: I, P244.

من خلال تحليل هذه الألقاب نلحظ أن المملكة الآشورية في عصرها الوسيط بلغت مقداراً كبيراً من القوة والعظمة في عهد هذ الملك، فلم يكتفِ بلقب ملك سومر وأكاد وهو اللقب الذي حمله الكثير من ملوك بلاد الرافدين الذين سبقوه، إنما أختار ألقاباً جديدة تميزه عن غيره مثل لقب ملك البحر الأعلى والبحر الأدنى، إضافة إلى اتخاذه ألقاباً تدل على تقربه من الآلهة، وسعيه لكسب رضاهم، وإضفاء الشرعية على أعماله من خلال ادعائه بمباركة الآلهة لهذه الأعمال.

وقد عرف العصر الآشوري الوسيط نظام ولاية العهد، فعلى الرغم من أدعاء الملوك أن الآلهة هي التي توجتهم على العرش، إلا أن الملك كثيراً ما يقوم باختيار ولي العهد ليرثه على العرش هادفاً من ذلك تحقيق رغبته في بقاء العرش ضمن السلالة الملكية الحاكمة، وضمان الاستقرار في البلاد، فالملك شلمنصر الأول خلفه ابنه وولي عهده الملك توكولتي نينورتا الأول، فمن خلال الاطلاع على حوليات الملوك الآشوريين في عصر الدولة الوسطى نلحظ أن معظم هؤلاء الملوك ورثوا السلطة عن أباءهم، وهذا يقودنا إلى الاستنتاج أن نظام الحكم وراثي يرث فيه الابن السلطة عن أبيه بعد وفاته، وهذا ليس جديداً إنما هو استمرار لسياسة التوريث التي ظهرت جلياً في العصور السابقة لا سيما في العصر الأكادي.

١٤- المعارضة في العصر الآشوري الوسيط:

شهدت الدولة الآشورية في عصر الوسيط قيام حركات تمرد واغتيال استهدفت نظام الحكم فيها، وقد قاد هذه التمردات شخصيات مقربة من الملوك، وصلت لدرجة تمرد الابن على ابيه واقصائه عن السلطة، ولدينا مثال في هذا العصر الملك توكولتي نينورتا الأول الذي تعرض في أواخر عهده إلى ثورة قادها ابنه وولي عهده آشور ناصر أبلي Aššur-naser-apli، يبدو أن هناك أسباب عديدة دفعت آشور ناصر أبلي للثورة على أبيه أهمها: تحريض الكهنة لا سيما بعد قيام الملك توكولتي نينورتا الأول بنقل تمثال الإله آشور من معبده في مدينة آشور إلى الحصن الذي أقامه على الضفة الشرقية لنهر دجلة شمال مدينة آشور الأمر الذي دفع الكهنة إلى التحريض ضده

والرغبة بالتخلص منه[١]، وقد لاقت هذه الثورة ترحيباً من قبل طبقة النبلاء في مدينة آشور الذين وقفوا على جانب أشور ناصر أبلي في ثورته ضد أبيه كما يوضح لنا النص الأتي:

" **آشور ناصر أبلي، ابنه، والنبلاء في مدينة آشور، ثاروا عليه، هم أخرجوه، وحاصروه في منزله في كار توكولتي، هم قتلوه بالسيف**"[٢]

من الممكن أن يكون نقل العاصمة من قبل توكولتي نينورتا الأول إلى الحصن الجديد، قد دفع طبقة النبلاء إلى الثورة ضده، وخاصة أن هذه الطبقة تضررت من هذا الأجراء عن طريق فقدان العديد من الامتيازات التي كان يحصل عليها أفرادها سابقاً، فكان لابد من التدخل ومنع فقدان المزيد من المكاسب التي كانوا يتمتعون بها.

وقد حظيت هذه الثورة بدعم من كهنة بابل، فبالرغم من قيام الملك توكولتي نينورتا الأول بإظهار الاحترام للإله مردوك وتقديره للثقافة البابلية، إلا أن دخوله بابل واحتلالها، ونقله تمثال مردوك إلى آشور، وتخريبه مدينة بابل، قد دفع كهنة هذه المدينة إلى الوقوف ضده، والانضمام إلى الثورة التي قادها آشور ناصر أبلي[٣].

وقد نتج عن هذه الثورة قتل الملك توكولتي نينورتا الأول، ووصول الملك آشور نادين أبلي إلى العرش. لتبدأ مرحلة جديدة من الاغتيالات والثورات بهدف الوصول إلى الحكم، سوف تتكرس وتتبلور في عصر الدولة الأشورية الحديثة.

ثانياً: السلطة والمعارضة في سورية:

١- نظام الحكم في مملكة إبلا:

لقد تمتع الملك بمكانة كبيرة في مملكة إبلا، إذ كانت بيده السلطة العليا في الدولة، وكانت صلاحياته مطلقة، ويوازي في مكانته مكانة الآلهة، وقد خّلدت النصوص ذكره، وذكرت ألقابه ، حيث حمل الملك الإبلوي العديد من الألقاب، ومن تلك الألقاب اللقب

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص ٣٦٨.

(2)L.W.King, Records of the reign of Tukulti ninib I, King of Assyria about 1415 B.C, London, 1904, p: 99.

(٣) Luckenbill.D.D, Op.Cit, p: 49.

السومري En الذي يقابله في اللغة الإبلاوية لقب ملكوم Malikum [1]، فمن ملوك إبلا الذين حملوا لقب En الملك إجرش خلم، والملك إركب–دامو، حيث كان لقبهم En ebla[2]، علماً أن هذا اللقب قد استخدم عند السومريين مما يدل على تأثر مملكة إبلا بنظام الحكم الذي ساد عند السومريين من جهة، ومتانة العلاقة التي كانت تربط بين إبلا والسومريين من جهة أخرى. ولكن لقب ملكوم لم يُذكر إنه استخدم في العصور القديمة قيل فترة عصر مملكة إبلا، وبالتالي هذا يدلنا على أن مملكة إبلا كانت أول مملكة استخدمت هذا اللقب الذي أصبح فيما بعد من أهم الألقاب التي حملها الحكام في العصور القديمة.

أمّا اللقب الآخر، فهو لوغال الذي استخدمه الإبلاويون للدلالة على الطبقة العليا من الموظفين، وأصحاب المناصب في الإدارة الإبلاوية، وقد حمل معظم الوزراء الكبار ألقاباً أخرى مثل أرجوم وأرولوم[3]. والملفت للنظر أن لقب لوغال استخدمه السومريين لقباً للملك، وخاصة ملوك مدينة كيش الرافدية، وهذا إن دل على شيء فأنه يدل على تأثر الإبلاويين بالحضارة السومرية، وأن هناك علاقات قوية قامت بينهما. وقد كان الملك يتخذ القصر مقراً للحكم، في الوقت نفسه بنوا قصوراً أخرى في الأقاليم التابعة لهم، أما المعابد، فلم يكن لها دور في الحياة السياسية والاقتصادية عند الإبلاويين، بل كانت الأوامر والصلاحيات تصدر عن القصر. ما يميز إبلا أنها حكمت من قبل طبقة ضيقة مثلها الملك والوزير الأول الذي جاء بعد الملك في السلطة، إلى جانب مجموعة من الأشخاص الذين يمثلون الطبقة الغنية التي تملك الأراضي، فمالكو الأراضي شكلوا قلة مدنية حاكمة، وخصوصاً أنهم كان يحق لهم الزواج من فتيات الأسرة الحاكمة، وهذا ما جعلهم يتمتعون بالسلطة، وقد قام الملك بمنح العطايا لأفرد الأسرة المالكة، وهذه العطايا عبارة عن أرض زراعية وبساتين وقرى كاملة بسكانها

---

(1) مرعي، عيد، تاريخ مملكة إبلا وآثارها، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٥، ص:٣٧، ٣٨.

(2) Garelli.p, Durand.J.M, Le Proche- Orient Asiatioque, Tome I, presses Universitaires de France, p 41.

(3) Ibid, P:42.

وفلاحيها[1]. وهذا يقودنا إلى الاستنتاج مفاده أن الملك هو المالك الحقيقي للأراضي الزراعية، وهو يهبها لمن يريد، وهو المسؤول عن كل الأنشطة في القصر، ولذلك يمتلك الصلاحيات والسلطات كلها، فلم يترك للمعبد أي امتياز أو ملكية، فلم يكن له سوى إقامة الطقوس الدينية.

٢- مجلس الشيوخ في إبلا:

لقد كان في إبلا مجلس يحمل اسم مجلس الآباء، أو ما عُرَف بالأبلوية (أبو) abbu، وقد تشكل هذا المجلس من زعماء العائلات الكبيرة، والطبقات الغنية المقربة من الملك، والذين اعتمد عليهم في إدارة شؤون المملكة، ونلحظ أن المصادر لا تذكر شيئاً عن الصلاحيات التي تمتع بها هؤلاء ومدى تأثيرهم ونفوذهم داخل المملكة، في حين ذكرت المصادر أن مجلس الآباء أو الشيوخ كان الملك يعتمد عليه في اتخاذ القرارات التي تهم مصلحة المملكة[2]. ويبدو أن هذا المجلس كغيره من المجالس التي تشكلت في بلاد الرافدين، بمعنى أن أعضاءه كانوا من الطبقات التي سعى الملك إلى جعلها في صفه، ولا سيما أن هؤلاء كانوا شيوخ قبائل، أو زعماء عائلات كبيرة، أو أصحاب أملاك، وكانت مهمتهم تقديم المشورة للملك ومن خلالهم حصل الملك على ثقة غالبية الناس، لأن هؤلاء كان لهم نفوذ وسلطة على عائلاتهم، ومن يتبعون لهم. عمل الملك على كسب أعضاء المجلس إلى جانبه، فراعى مصالحهم، وقد ذكرت العديد من النصوص الإدارية أن مجلس الشيوخ كان إلى جانب الملك، والدليل على ذلك التقرير التي وجهه ولي العهد إبيّ زكير إلى مجلس الشيوخ والملك لاطلاعهم على أوضاع حملة عسكرية كان يقودها[3].

٣- المعارضة في إبلا:

بالرغم من أن مملكة إبلا حكمتها طبقة صغيرة، إلا أن هذه الطبقة هيمنت على جميع الأنشطة الاقتصادية في البلاد، احتكرت الأراضي الزراعية، فالبلاط الملكي لم يضم سوى القليل من العاملين الذين ارتبطت بهم أنشطة القصر، وهؤلاء العاملون كانوا من

---

(1) عبدالله، فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم بلاد الشام، ص٥٢.

(2) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ص٥١.

(3) مرعي، عيد، إبلا، تاريخ وحضارة أقدم مملكة في سورية، ص ٢٢.

الطبقة العليا في المملكة، أما الغالبية العظمى من السكان، فقد عملت في الأراضي التابعة للطبقات المحتكرة. ورغم كل هذه المعطيات لم تسجل النصوص المكتشفة في تلك الحقبة قيام أي ثورة أو عصيان ضد الطبقة الحاكمة التي مثلها الملك. وقد اتبع ملوك إبلا سياسة تقوم ضمان طاعة الموظفين والعاملين في المملكة بهدف تحصين أنفسهم من أي تمرد قد يحدث ويهدد نظام الحكم، فالنص الثاني عشر من نصوص محفوظات إبلا يتحدث عن طاعة الموظفين داخل المملكة، وضمان ولائهم للقصر، ويحتوي النص على ما يتم تبادله من قسم وعهود بين شخص رفيع المقام اسمه ايريق–إيل وحاكم إحدى المقاطعات التابعة لمملكة إبلا وهو حاكم مورو، ويذكر النص العقوبات التي تتخذ في حال قيام الموظفين بحنث اليمين، ويدخل في ذلك كل من عقد تحالفات، وأعلن الولاء من القبائل التابعة لمملكة إبلا، إذ يترتب على كل من ينكُث بقسمه دفع غرامة من الفضة والثيران والأغنام لـ ايريق –ايل إذ يقول النص:

" **إذا نطقت مورو بكلمة سوء ايريق– ايل، عندما يكونان قد أقسما، في هذه الحالة، فإن إبريوم يفصل في أمر الحنث باليمين**"[١]

وقد قام حكام مملكة إبلا بعقد اتفاقات ومعاهدات مع حكام الممالك والمدن المجاورة، حيث تضمنت هذه المعاهدات عدم استقبال أي مملكة من هذه الممالك المتمردين الذين يثورون على السلطة، ويعلنون العصيان، ويجب تسليمهم إلى المملكة التي فروا منها، وتضمنت المعاهدات أيضاً تقديم المساعدة مملكة تتعرض للعصيان او التمرد، فالمعاهدة التي عقدت بين ملك إبلا وملك مدينة بورمان*المدعو إنخر خلب En–ar Ha–lab خير مثال على ذلك، إذ تضمنت هذه المعاهدة حق اللجوء والاحتماء لملك بورمان، وطلب المساعدة من ملك إبلا في حال قيام ابنه بتمرد او عصيان ضده.

المقطع الأول:

" **إذا قام طوبي–دامو بقتل أناس تابعين لإنخر–خلب ليومين أو ثلاثة أيام، فإن**

([١]) سمير، عماد، نصوص المعاهدات والعلاقات الدولية في محفوظات إبلا، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ١٢٣–١٢٤، ٢٠١٣، ص٨٩–٩٠.

*مدينة تقع في أعالي الفرات

لأبي طوبي–دامو أن يهرب إلى ملك إبلا وسيكون ملك بورمان من حلفائه"

المقطع الثاني: " **إن قام إنخر خلب بقتل أعوان طوبي دامو على الأب ألاّ يترك المتمردين يفروا إلى ملك إبلا**"(١).

إنما أراد ملوك إبلا من وراء ذلك حماية سلطتهم، وتحصينها من أي ثورة أو تمرد قد يهدد حكمهم، وقد يكونوا محقين في ذلك، خاصة بعد أن رأوا أو سمعوا عن التمردات التي قامت في البلاط الأكادي ضد الملوك، فملوك إبلا كانوا على قدر كبير من الحنكة، أقاموا دولة منظمة لها باع في إدارة شؤون الحكم، وأدركوا أن التمردات والثورات تسهم في أضعاف نظام الحكم، إن لم تؤدِ إلى سقوطه، وهذا يدل على التطور والتقدم الحضاري الذي شهدته هذه المملكة آنذاك.

٤– نظام الحكم في مملكة ماري:

عرفت مملكة ماري كغيرها من ممالك الشرق القديم نظام الحكم الملكي، حيث يصل الحاكم أو الملك إلى السلطة بالوراثة، أو عن طريق القوة العسكرية، ويسيطر على الحكم بالقوة مستغلاً ضعف النظام القائم وتداعيه، وتدل الألقاب التي اتصف بها ملوك ماري على القوة والنفوذ اللذين كانوا يتمتعون بهما، فالملك يخدون ليم ومن بعده الملك زمري ليم لُقِّبوا بلقب ملك ماري وبلاد خانا(٢)، وإذا قمنا بتحليل هذا اللقب، فسنلحظ أن لقب بلاد خانا يدل على القبيلة التي ينتسب إليها الملك، وهي من أكبر قبائل البدو التي كانت تسكن في منطقة الفرات الأوسط، أما لقب ملك ماري، فإنه يدل على المناطق الجديدة التي سيطر عليها الملك، وتشمل جميع المناطق التي كانت تحت سيادة ماري، وخير مثال على ذلك الملك زمري ليم الذي لقب نفسه ملك ماري وملك البدو(٣):

" **زمري ليم**	**Zi–im–ri–li–i[m]**
محبوب (الإله) داجان	**[n]a–ra–am d–gan**

---

(١) سمير، عماد، المرجع السابق، ص٧٩.

(2)Kupper.J.R, Les nomads en Mesopotamie au Temps des rois de Mari, p: 30.

(3) Charpin.D, Durand.J.M, Op.cit, p337.

حاكم.....	**[s]a–ki–in[...]**
ملك ماري	**Lugal ma–ri**
وبلاد خانا	**ú ma–at h[a–na]**
ابن خادني أدو"	Dumu ha ad–ni– [x]

من خلال هذا النص نلحظ أهمية هذا اللقب بالنسبة للملك زمري ليم، حيث يدل على قوته ونفوذه، كذلك نلحظ حرصه على كسب رضا الآلهة والحصول على رعايتهم، وهذا بنظره سيجلب السعادة له ولشعبه. ولدينا دليل من قصر زمري ليم في الباحة ١٠٦ من القصر الملكي، حيث عثر على لوحة تنصيب الملك زمري ليم[١] وتشير هذه اللوحة إلى قيام الإلهة عشتار التي تقف أمام ملك ماري بتنصيبه ملكاً على الأخيرة، مقدمة له العصا والحلقة رَمْزَي السلطة. ويبدو أن الملك سعى من وراء التنصيب إلى إظهار عظمته الملكية أمام شعبه، ولكي يشعر الآخرون بحظوته ومكانته عند الآلهة، ويقدم لنا أرشيف ماري الملكي عرضاً مهماً عن نظام الحكم الذي ساد في المملكة، وصلاحيات الملك وحكام المقاطعات في عهد أشهر ملوكها الملك زمري ليم، فقد تمتع الملك بكامل الصلاحيات، وأشرف على نشاطات القصر كلها، بما فيها السياسية والنشاطات الاقتصادية والاجتماعية، ولعب دوراً بارزاً في النشاطات الجماعية داخل المملكة، كالاحتفالات الدينية حيث شارك فيها، واطلع على مظاهر الحياة اليومية، من خلال متابعة الأمور الإدارية، كتحصيل الضرائب والرسوم، وتأجير أملاك القصر إلى جانب الإشراف على أعمال الزراعة والتجارة، حيث كان التجار يخضعون لمراقبة القصر، ويبدو أن القطاع الوحيد الذي لم يهيمن عليه القصر هو تربية الحيوانات، فأرشيف ماري لم يذكر أية إحصاءات لعدد الحيوانات التي وُجِدَتْ في المملكة[٢]. وقد أعطى الملك في ماري الكثير من الصلاحيات لحكام المقاطعات والمدن، ويدل على ذلك النصوص التي عثر عليها في الغرفة ١٣٥ من قصر زمري ليم، وهي عبارة عن رسائل أرسلها حكام المقاطعات أو نوابه في المدن والقرى التابعة لها، فالملك عين نواباً عنه في المقاطعات التابعة لمملكته، وهم بمنزلة المحافظين في

---

(١) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ص ٨٠.

(٢) ARM XIII :36.

عصرنا الحالي، وقد امتلكوا الكثير من الصلاحيات، ومثلوا الملك في مقاطعاتهم، وتشير رسالة مرسلة من كبري–دجن حاكم مقاطعة تيرقا إلى المهام الموكلة إليه والصلاحيات التي يمتلكها ومنها الاشراف على الأنشطة الاقتصادية كلها في المقاطعة، كالإشراف على موسم الحصاد، ومشاريع الري وإصلاح القنوات، وتمثيل الملك في الاحتفالات الدينية، والسهر على أمن المقاطعة، وملاحقة المجرمين ومحاكمتهم(١)، بالمقابل حرص ملك ماري على معرفة أدق التفاصيل التي كانت تحدث في المقاطعات، والاطلاع على أحوال المملكة، لاسيما الأمور ذات الصلة بالأمن والاستقرار، فقد ترتب على كل حاكم نقل تقرير مفصل للملك عن المقاطعة التي يحكمها، ولدينا مثال عن موظف يدعى نار–سين nar–sin يذكر في أحد كتاباته:

"**سابقاً عندما كنت في الخدمة بماري، أخبرت سيدي بكل كلمة ذكرها ذكرٌ أو انثى، عندما كنت في وظيفتي أرسلت لسيدي ما كنت أسمع وما يقولون، إذاً أي خطوة خاطئة قد تحصل، فإنهم سيخبرون سيدي بها في المستقبل، وإن لم تصله الأخبار، فسيعتبر ذلك مؤامرة تحاك ضده، لذلك يجب أن أخبره كل شيء**"(٢).

من خلال هذه الرسالة نستنتج أن حكام المقاطعات كانوا يرسلون أدق التفاصيل للملك، وتصله الأخبار كلها، وكل من يخالف ذلك سيتعرض للعقاب، وقد حرص الملك زمري ليم على السرية فيما يتعلق بالتقارير التي كانت تصله من قادة الجيش وحكام المقاطعات، ولدينا مثال واضح تبلور من خلال صراع بين أحد القادة العسكريين، ويدعى إبال–بي ايل Ebal–pi–el وبين كهنة جيشه الذين كانوا يرغبون بإيصال الأخبار إلى الملك، في حين أن القائد إبال رفض ذلك حرصاً منه على عدم إدخال رجال الدين في سياسة المملكة(٣)، وقد اتبع الملك زمري ليم سياسة داخلية تقوم على رعاية شؤون المملكة وإغداق الأموال على المشاريع الزراعية، وبناء المعابد للآلهة هادفاً من وراء ذلك إلى إضفاء الشرعية على حكمه، وقد لجأ إلى توطيد حكمه من خلال تزويج بناته الكثيرات إلى معاصريه من الملوك وحكام المقاطعات وكبار

---

(١) عبدالله، فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الشام، ٨٥.

(٢) Felming,D.E, Op.Cit, p167.

(٣) Garelli.p,Durand.J.M, Op.Cit, p115,

الموظفين في المملكة، ولكن في الوقت نفسه كان حريصاً أشد الحرص على ضمان تبعية هؤلاء الحكام لسلطته، لذا كان واجباً على جميع العاملين في نطاق سلطته من حكام المقاطعات ورجال الدين وكبار الموظفين أداء القسم بالإخلاص للملك، وطاعته، وتنفيذ أوامره بما يحقق مصلحة المملكة، ويتضمن هذا القسم إعلام الملك عن أية خيانة داخل القصر أو خارجه، وكل من يخالف القسم تحل عليه العقوبة التي يضعها الملك، وكان هذا القسم يشمل أفراد العائلة المالكة بمن فيهم النساء وحريم القصر(١).

وقد حرص حكام المقاطعات على عدم إخبار الملك عند وقوع ثورات أو عدم انصياع أحد القبائل للسلطة الملكية، وحاولوا حل كل المشاكل والقضايا المتعلقة بهذه الأمور دون الرجوع للملك، والسبب في ذلك يعود إلى خوف هؤلاء الحكام من عزلهم واستبدالهم بغيرهم، ومن ثمَّ سعي حكام المقاطعات إلى إيصال الأخبار الإيجابية والمفرحة إلى الملك.

وقد عرفت ماري نظاماً بدوياً قبائلياً، فكان على ملوكها اتباع سياسة تقوم على التودد، وحل النزاعات والخصومات مع أبناء العشائر والقبائل، فالنصوص تتحدث عن الملك زمري ليم برفقة عدد من موظفي قصره أثناء قيامه بزيارة عدد من المقاطعات، ساعياً بذلك إلى الحفاظ على ولائها، ومن المقاطعات التي زارها مقاطعات تيرقا–سكاراتم–زلخان–توتول (٢)وغيرها.

من خلال هذا الاستعراض لنظام الحكم في مملكة ماري بشكل عام، وعصر الملك زمري ليم بشكل خاص، نلحظ أن السلطة المركزية قد حافظت على قوتها في مملكة ماري، واستطاع الملك ضمان ولاء حكام المقاطعات الذين قطع عليهم العهود لضمان الولاء، وعدم القيام بأية ثورة أو تمرد قد يهدد سلطة الملك، وبالرغم من المركزية الشديدة، ومراقبة حكام المقاطعات، وتعيين الموظفين الذين يراقبون تصرفاتهم ويقدمون تقاريرهم إلى الملك، نلحظ قيام بعض القبائل والحكام بإعلان الثورة والعصيان في وجه الملك، وهذا ما سوف ندرسه بنوع من التفصيل في شكل المعارضة ومظاهرها في

---

(١) Garelli.p,Durand.J.M, Op.Cit, p: 114.

(٢) أبو عساف، علي، آثار الممالك القديمة الجزيرة وطور عابدين، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١١، ص١٨٨.

مملكة ماري، ولكن ما نتفق عليه أن الملك زمري ليم تمكن من إقامة نظام ملكي إداري مركزي، وضع فيه السلطات كافة بيده مع منح حكام الأقاليم العديد من الصلاحيات ضمن ميدان مقاطعاتهم ولكن تحت إشرافه.

٥- مجلس الشيوخ في مملكة ماري:

تقدم لنا النصوص المسمارية التي عثر عليها في القصر الملكي، والتي عرفت بأرشيف ماري الملكي عرضاً واضحاً عن المجالس التي عرفت باسم مجلس الشيوخ، وهي عبارة عن تجمع لصانعي القرار في مدينة أو مقاطعة كانت تتبع لمملكة ماري، وكان لكل مقاطعة من المقاطعات التابعة لمملكة ماري مجلس شيوخ خاص بها يساهم إلى جانب حاكمها في صناعة القرار لهذه المقاطعة، وكان لهذا المجلس سلطة جماعية تختلف عن سلطة الملك الذي يمتلك وحده السلطة المطلقة، وقد أرجعت النصوص عدداً من الوظائف لهذا المجلس، أهمها حق المشاركة في صناعة أي قرار أو صياغته ، وإجراء المفاوضات مع الخصوم والأعداء، والمساهمة في رسم سياسة المدينة الخارجية، بالإضافة إلى حل المسائل القانونية التي تصل أخبارها إلى خارج حدود المدينة، وتدلنا رسالة من خادم ملك كوردا، ويدعى بونو-عشتار Bunu-Eštar على شكواه الموجهة إلى زاكيرا-خامو Zakira Hammu- حاكم قاطونوم Qattunum حيث يقوم هذا الحاكم بفتح الرسالة وقراءتها أمام مجلس شيوخ المدينة، ويطلب منهم إيجاد الحل المناسب لهذه الشكوى(١). وقد تمتع مجلس الشيوخ بوظائف أخرى، منها المشاركة في المناسبات والاحتفالات الدينية، حيث مثل قسم من أعضائه الملك في هذه الطقوس، فشيوخ مقاطعة تيرقا Terqa صلوا للإله داجان*نيابة عن الملك زمري ليم وجيوشه:

" **اسمح لسيدي تقبيل قدم داجان، ويهديك السلام، شيوخ المدينة تدخل بانتظام إلى حضرة داجان، ويتوسلون مباركته لسيدي وجيوش سيدي**"(٢).

---

(1) ARM XXVII, 67:13-222.

* الإله الرئيسي لمنطقة الفرات خلال الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد، بشكل خاص في مملكة ماري وترقا وتوتول وايمار.

(٢) ARM III, 17: 14-20.

(٣)ARM XXI :388.

وقد تعددت وظائف الشيوخ ومهامهم أكثر من ذلك عندما وقع على عاتقهم تعيين الأشخاص الذين يدخلون في خدمة الملك، ويشغلون الوظائف المهمة في الدولة(١)، ومن الصلاحيات والمهام التي تمتع بها مجلس الشيوخ جباية مدفوعات حددت لهم تعود قيمتها لصالح حاكم المدينة، وتدعى السوجاجوتوم* Sugagutum (٢). ولا بد هنا من التمييز بين مجلس الشيوخ ومجلس الحرب الذي عقد في فترات الحروب، فالأخير يتألف من كبار القادة العسكريين وقد تزعمه شخص ذو رتبة عالية عرف باسم ميرخوم** merhum(٣) ، وقد عقد هذا المجلس في قبائل خانا التابعة لمملكة ماري، وتشاور في قيادة المعارك، وقيادة قبائل خانا في فترات الحروب(٤)، ويبدو أن هذا المجلس تشكل في فترات المعارك والحروب، بهدف الإجماع في اتخاذ القرار للتصدي للأخطار القائمة آنذاك التي أحاطت بالممالك والمدن.

وقد لعب مجلس الشيوخ دوراً مهماً في درء خطر الحروب على المدن والممالك، واتخاذ القرار الصائب والتفاوض مع الخصوم في سبيل حل الخلافات والمشاكل العالقة، وتدلنا رسالة مرسلة من حاكم مدينة ساجارتوم Saggaratum إلى الملك زمري ليم أن أتامروم Atamrum ملك أندرج Andarig قد حاصر رزاما Razama(منطقة تقع شمال شرق بلاد الرافدين)، وتفاوض مع شيوخها الذين وافقوا على السلام. "**عندما وصل الجيش إلى رزاما، في لحظة وصوله، جاء شيوخ البلدة إلى أتامروم، وقالوا**

---

* كلمة سامية تدل على جميع الضرائب المترتبة على الناس التي يتم جبايتها لصالح الخزينة الملكية، للمزيد أنظر:

CAD, S, vol: 15, p343-344.

(١)ARM VII 311:12-21.

**تعني الراعي وهو قائد يتولى قيادة الجيوش أثناء الحروب، كذلك رئاسة العشيرة ويطلق عليه شيخ العشيرة للمزيد أنظر:

Fleming.D.E, Op.Cit , p: 62,312.

(2) CAD,M, Part II, Vol: 10, p:26.

(3) Fleming,D.E, Ibid. p:78.

له: نحن نريد السلام، ونعلن الولاء لزمري ليم، فغادر الجيش المدينة"[١].

وهذا يدل على الدور الذي لعبه مجلس شيوخ المدينة في تجنيب مدنهم ويلات الحروب، والقدرة على صنع القرار، والتباحث والتفاوض في سبيل تحقيق مصلحتها، والحفاظ على أمنها واستقرارها، ومن ثمَّ لم يكن الحاكم ينفرد في اتخاذ القرار، وإن كان مجلس الشيوخ يساهم معه في صنعهِ واتخاذه.

وهناك نص آخر من ماري يدلنا على قيام مجلس الشيوخ بمواجهة الاخطار الخارجية التي أحاطت بمدنهم، فكثيراً ما استعان حكام المدن بهؤلاء الشيوخ لاتخاذ القرار الصائب، ومثالنا على ذلك اجتماع عدد من الشيوخ بالحاكم ياقيم_ أدو Yaqqim– Addu (حاكم إحدى المقطعات التي كانت تتبع لمملكة ماري) لمناقشة مصير مدينتهم في الحروب التي تخوضها بابل، وقرروا في اجتماعهم رفض أية مساهمة قد تربطهم بالقوات البابلية[٢]، فهذا النص لا يشير إلى هذه الحرب، ولكن قد تكون الحروب التي خاضتها بابل ضد الممالك المجاورة بهدف توسيع أراضيها.

ولقد أوجد مجلس الشيوخ توازناً بين سلطته وسلطة الحاكم، ولأول مرة نلحظ هذا الشيء في الممالك التي قامت في بلاد الرافدين وسورية، ويبدو أن الصبغة القبلية التي اتصفت بها مملكة ماري ومقاطعاتها تطلبت قيام مجلس الشيوخ بهذا الدور، وخصوصاً أنه تألف من كبار الزعماء في المدينة وأصحاب العقل الراجح والرأي السديد، لذلك لم تعد سلطة الحاكم مطلقة كما لاحظناها في الممالك السومرية، ونحن عندما نتحدث عن مجلس الشيوخ لا نعني بذلك كبار المسؤولين وأتباع الملك، بل نعني مجموعة من الأشخاص الذين يمتلكون قراراً جماعياً يأخذ به الحاكم أو الملك، فقد ظهرت كلمة شيوخ في مضمون الرسائل التي ذكرت كبار الشخصيات ورجال القصر وجميع الفئات التي تحدد علاقتها بالملك، وهؤلاء الشيوخ قدموا كغيرهم خدمات للقصر كمندوبين ملكيين فاوضوا نيابة عن الملك، وتشير رسالة من ياوي–إيل Yawy–il ملك تالخايوم Talhayum إلى الملك زمري ليم، إلى حمل هؤلاء الشيوخ رسالة تتضمن توقيع اتفاقية

---

(١) ARM XIV, 104: 8–12.

(٢) ARM XIV, 76: 22.

مع ملك ماري[١]، وقد تألف الوفد من الشيوخ الذين رأى فيهم الملك ياوي–إيل أكثر الناس ثقة ودراية لتوقيع هذه الاتفاقية. وهناك رسالة أخرى تشير إلى تعيين الملك زمري ليم للشيوخ للمشاركة في تحالف الملوك الذي عقد لمواجهة الأخطار، ويبدو أن هؤلاء الشيوخ كانوا ممثلين للملك في هذه الاجتماعات[٢]، وكثيراً ما مثل مجلس الشيوخ مملكته أو مدينته، ففي رسالة من شيوخ مدينة تالخايوم Talhayum إلى الملك زمري ليم عدَّ هؤلاء الشيوخ أنفسهم مسؤولين عن أبناء مدينتهم، ويقع على عاتقهم التحدث باسمهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يأخذوا دور الحاكم، وتظهر هذه الوثيقة من أرشيف ماري إمكانية قيام هؤلاء الشيوخ بتنصيب حاكم على المدينة، فالحاكم خامي–كون Hammi–Kun حاكم شودوخوم Šuduhhum كتب إلى إبال–أدو Ibal–Addu حاكم أشلاكا Ašlakka:

"**الشيوخ سوف يجددون لي العرش في بيت أبي**"[٣]

وهذا يدلنا على المكانة الكبيرة التي تمتع بها مجالس الشيوخ في المقاطعات والممالك التي كانت تتبع لمملكة ماري، ففي مقاطعة كوردا Kurdu كان للشيوخ صوت مستقل، وكانوا بمنزلة مستشارين للملك، فهناك رسالتان منفصلتان يمارس فيهما الشيوخ الضغط على حاكمين من كوردا، لتجنيب المدينة من خطر حرب مع زمري ليم أو حمورابي في وقت لاحق وقد جاء في الرسائل:

" **في ما يخص حقيقة شيماخ–إيلاني Šimah–ilane لم يكتب لملك كابنه، ولكنه كتب بدلاً من ذلك كأخيه، الملك والشيوخ في نومخا Numha جاؤوا، وتكلموا كتابعين لشيماخ–إيلاني، لماذا يجب أن تكتب لزمري ليم كابن فقط، فأشمار – أدو–Ašamar Addu كتب ليخدون ليم كأخ، لذلك يجب أن نكتب لزمري ليم كأخ، أتبع نصيحة الشيوخ، واكتب إلى الملك كأخ، فلا يجب أن يكون ملكنا زمري ليم غاضباً منا بسبب هذه الأشياء**"[٤].

---

(١) ARM XIII, 148: 3–5.

(٢)ARM XXVIII :95.

(٣) ARM XXVIII, 111:9–12.

(٤) FM II, 117: 27–24.

من خلال هذا النص نلحظ أن الشيوخ يقدمون النصيحة للحكام، وكثيراً ما أخذ الحكام بهذه النصائح، يبدو أن هؤلاء الشيوخ كانوا على قدر كبير من الحنكة والخبرة، واحتلوا مكانة مهمة في البلاط الملكي، وخاصة أن الكتابة كابن تعني التبعية، والكتابة كأخ تعني التساوي في المرتبة، الأمر الذي يطرح العديد من التساؤلات حول صلاحيات هؤلاء الشيوخ ومكانتهم، علماً أن بعض الحكام تم تعينهم كمستشارين للملوك مع الاحتفاظ بمنصبهم كأعضاء في مجلس الشيوخ.

قبل الانتهاء من الحديث عن الشيوخ في مملكة ماري ومقاطعاتها، لا بد أن نذكر شيوخ القبائل الذين ورد ذكرهم في محفوظات ماري، وقد وقع على عاتقهم العديد من المهام، كإجراء المفاوضات مع زعماء المدن والحكام الذين عاصروهم، فكبري–داجان Kibri–Dagan حاكم مقاطعة تيرقا يذكر أنه دعا تريدانوم Tridanum لزيارة الملك زمري ليم برفقة عشرة شيوخ من قبائل خانا، وقد ذهبوا لمقابلة الملك(١). فهؤلاء الشيوخ (شيوخ القبائل) لم يلعبوا أي دور سياسي، إنما لعبوا دوراً اجتماعياً، فهم لم يكونوا أكثر من وجهاء لمدنهم وقبائلهم، وكانت مشاركتهم الاجتماعية تفوق مشاركتهم السياسية، بينما كان مجلس شيوخ المدن ذا صلاحيات سياسية، وقد لعبوا دوراً مهماً في حياة المدينة السياسية، حيث وقع على عاتقهم حل المشكلات السياسية وتسويتها ، ولكنهم لم يصلوا إلى المرحلة التي يقودون فيها الدولة أو المدينة، لأنه بقي ذلك حكراً على الحاكم أو الملك، ولقد رسمت محفوظات ماري المشهد السياسي في تلك الفترة، ودلل على وجود قيادتين الأولى فردية مثلها الحاكم، والثانية جماعية مثلها مجلس المدينة الذي يمكن تلخيص مهامه ووظائفه التي امتلكها والتي تتلخص بـ:

١- حل المشكلات ذات الطابع القانوني.
٢- تمثيل الملك في الطقوس والاحتفالات الدينية.
٣- حل المشكلات والخلافات والتفاوض بهدف تجنيب مقاطعاتهم خطر الحروب.
٤- جباية الأموال من أبناء المدينة وتسليمها للحاكم.

---

(١) ARM III, 65:5–9.

٥- تقديم المشورة والنصيحة للحكام والملوك.

وهكذا نرى أن مجلس الشيوخ لعب دوراً مهماً في حياة المدينة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأصبح أعضاؤه يمتلكون صلاحيات جديدة فاقت الصلاحيات التي تمتعت بها هذه المجالس في الممالك السومرية، ويبدو أن الوضع القبلي الذي عاشته هذه المقاطعات تطلب أن يلعب مجلس الشيوخ دوراً مهماً، وخاصة في حل المشكلات الداخلية التي عانت منها المقاطعات، وتعدت صلاحياتهم إلى أكثر من ذلك عندما وصلت إلى اتخاذ قرارات السلم والحرب، والبت في الشؤون القضائية، وقد بينت المحفوظات الدور الذي لعبه الملك في إدارة شؤون الدولة، ولكن إذا ما كان هذا الحاكم ضعيفاً، فإن مجلس الشيوخ سيلعب دوراً أكبر في إدارة الدولة وقيادتها.

٦- المعارضة في مملكة ماري:

تقدم لنا المحفوظات الملكية في ماري معلومات مهمة عن صوت المعارضة وطبيعتها فيها، فهناك مجموعة من الرسائل المنسوبة للملك زمري ليم تتحدث عن التمردات والثورات التي شهدتها هذه المملكة في عهده، وقد عبرت المعارضة عن شكلها من خلال التمرد والعصيان كما فعل حاكم مقاطعة إيكالاتوم إشمي دجن عندما قام بإثارة الفتن والاضطرابات بمنطقة جبل سنجار، مستغلاً انشغال الملك زمري ليم وقواته في مناصرة الملك حمورابي ملك بابل عندما كان يخوض حرباً مع ريم سين ملك لارسا(١)، ولقد واجه الملك زمري ليم العديد من الثورات بعد تسلمه الحكم في مدينة ماري، فكلنا يعرف أن الملك زمري ليم تمكن من الصعود إلى عرش ماري بمساعدة والد زوجته الملك ياريم ليم ملك مملكة حلب، فمن الطبيعي أن ترفض العديد من القبائل الانضواء تحت سلطته، ولاسيما قبائل بني يمين* الذين ثاروا في السابق ضد الملك يخدون ليم،

---

(١) أبوعساف، علي، آثار الممالك القديمة وطور عابدين، ص١٩٢.

*من أهم القبائل التي قطنت في منطقة الفرات الأوسط، بدأ ذكرهم في محفوظات ماري منذ عهد يخدون ليم، توزعوا خلال عهد زمري ليم على خمسة قبائل هي: الياريخ، الياخرو، الرابو، أوبرابو، الأمنانو. للمزيد انظر:

Fleming.D.E, Democracy's ancient ancestors, p95.

إذ تذكر وثيقة تأسيس معبد شماش[١] التي تعود إلى عهد هذا الملك أسماء القبائل التي ثارت عليه، ولكنه تمكن من الانتصار عليها.

مع وصول الملك زمري ليم للحكم، قاد زعماء قبائل بني يمين ثورة ضده مستغلين وجوده في إحدى المدن المعروفة باسم كاخات* Kahat فقاموا بمهاجمة مدينة ماري، وقد دفعهم إلى ذلك عدة أسباب منها:

١- ينتمي الملك زمري ليم إلى قبائل بني شمال العدو التقليدي لقبائل بني يمين، حيث رأى زعماء قبائل بني يمين أن وصول زعيم من قبائل بني شمال[٢] إلى الحكم، سيحد من نفوذهم ويقلل من سلطتهم، ويحرمهم من الامتيازات التي حصلوا عليها في السابق، فأعلنوا الثورة عليه.

٢- لم يكن ملوك بني يمين راضين عن سياسة الملك زمري ليم التي قامت على حماية سلطة بني شمال، ولا سيما بعد أن لاحظوا مآرب الوزير بانوم Bannum (هو وزير في عهد الملك زمري ليم لعب دوراً مهماً في القضاء على ثورة بني يمين) الساعية إلى جعل بني يمين قبائل تابعة، وهذا الأمر أثار غضبهم ودفعهم للقيام بالثورة.

٣- يبدو أن زعماء قبائل بني يمين طمحوا إلى إقامة مملكة مستقلة ذات سيادة لا تتبع لأحد، وخصوصاً أنهم شكلوا تنظيماً قبلياً ذا ثقافة بدوية واحدة، ونظاماً حاكماً بدءاً من زعيم القبيلة مروراً بنائبه وصولاً إلى بعض الشخصيات ذات المكانة الهامة في القبيلة[٣].

وقد بدأت الثورة بتجمع زعماء بني يمين في مدينة توتول حسب ما يبين النص الآتي:

---

(١) مرعي، عيد، يخدون ليم ملك ماري (وثيقة تأسيس معبد إله الشمس (شماش) في ماري، ص١٠٤.

* (تل بري حالياً) مدينة مهمة جنوب مثلث الخابور.

(2)Durand.J.M, "Peu plememnt et Societes a l'epou que amorrite, les Clans bensim'alite, Amurru 3,Paris, 2004, p 111.

(٣) Fleming.D.E, Op.Cit , p: 62.

"إلى سيدي هذا ما يقوله بانوم خادمك، لقد خرجت البارحة من ماري، وتوقفت عند أبواب زوروبان* Zurubban، لقد كان زعماء بني يمين هناك ثائرين ويحملون المشاعل، ابتداءً من سمانوم Samanum وحتى إبلوم-ملوك Iblum-muluk وصولاً إلى ميشلان Mišlan، واستجابة لذلك قامت جميع القوى البنيامينية في منطقة ترقا برفع المشاعل أيضاً[.....] وأنا حتى الآن لست مطلعاً على ما يجري هناك، اليوم سوف أقوم بالتقصي، وأكتب إلى مولاي عنها، إن حراس مدينة ماري قاموا بحماية سيدي، فلا أحد يمكنه اجتياز هذه البوابة"**(١)

بعد أن وصل هذا إلى مسامع الملك زمري ليم، قام بتوجيه تهديد لهم لكي ينسحبوا لكنهم لم يستجيبوا، ويبين النص الآتي الأحداث التي شهدتها الثورة بعد ذلك:

" خرج جميع بني يمين من مدنهم وبلداتهم، إنهم يفكرون بأخذ توتول ومهاجمة إيمار، هذا ما يخطط له بنو يمين، والواقع غير ذلك، لم يتمكنوا من الاستيلاء على توتول وبالتالي لن يدمروا إيمار"(٢)

وهنا كان لابد لزمري ليم اتخاذ الإجراءات اللازمة للتصدي لهم، فكلف أحد قادته، وهو كبري داجان kibri-Dagan الذي أرسل رسالة إلى سيده يخبره فيها عن التدابير التي اتبعها للوقوف في وجههم ومحارتهم وكبح جماح ثورتهم، ويخبرنا النص الآتي الإجراءات التي اتخذها كبري داجان:

" قل لسيدي: هكذا يتحدث كبري داجان خادمك

لقد طلب مني سيدي أن أجمع من مختلف قرى بني يمين لإعلان الأمر العظيم. لم أخبر الناس برسالة، قمت بجمع الشيوخ من مختلف بلدات بني يمين، وقلت لهم مهدداً: من أنتم، سوف تموتون ولن تستطيعوا إنقاذ أنفسكم إن ذهب أحد إلى المرتفع خلسة. هذا ما هددتهم به، في الوقت نفسه أعطيت الأوامر المناسبة لجنودي الجاهزين للتدخل. لقد أعلنت اليوم رسالة سيدي، وهددت هؤلاء الناس،

---

*مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات بين تيرقا وماري.

**تل الرمادي بين تيرقا وماري.

(١)Durand,J.M., "Les Bedouins" LAPO17, Tome II, Paris, 1998,p: 427.

(٢) ARMI VI, 685.

وأعطيتهم الأوامر بالشكل المناسب وعلمتهم ما يلزم، سوف اكتشف أي شخص سيتوجه إلى المرتفع، وسأدخله إلى السجن وهذا لن يغضب سيدي"[١]

يبدو أن بني يمين تلقوا دعماً من ملك إشنونا، لكن قوات الملك زمري ليم تمكنت من الانتصار عليهم بالقرب من مدينة سجراتوم، وتم أسر ملوكهم، وتدمير حصونهم[٢] ولا سيما بعد أن تلقى زمري ليم دعماً من ملك قطنة ومن مملكتي بابل ويمحاض ومناطق الشمال الشرقي خاصة رزماRazma .

ثمَّ نتج عن هذه الثورة العديد من النتائج أهمها:

١-عوقبت قبائل بني يمين عقاباً قاسياً، إذ سلبت أراضيهم، ونفي زعماؤهم إلى خارج البلاد، وأرسلت نساؤهم إلى قصر زمري ليم للخدمة، بينما أرسل البعض الآخر سبايا إلى حلفاء مملكة ماري.

٢-أشارت السجلات إلى المكاسب التي حصلت عليها قوات زمري ليم، حيث تم ضم العديد من المدن في الشمال الغربي التي كانت قد تحالفت مع بني يمين مثل إشلاتا، قيرداخات، أشناكوم.

٣-تمكن زمري ليم من توطيد حكمه، وتقوية سلطته بعد الانتصار الذي حققه على أكبر القبائل التي تكونت منها مملكته، وقد أطلق زمري ليم على هذه السنة من حكمه بالسنة التي أعاد فيها زمري ليم ترتيب مملكة ماري.

بعد القضاء على ثورة بني يمين، لجأ العديد من قادتها إلى إشنونا التي كانت تُعدُّ العدو التقليدي لمملكة ماري، وكانت إشنونا تسعى للسيطرة على منطقة أعالي الرافدين، فقامت بتحريض ياجيخ-أدوYaggih-addu أحد أبرز زعماء بني يمين الثائرين على التوسع على حساب حلفاء زمري ليم في الجزيرة السورية فكانت الشرارة الأولى لثورة بني يمين الثانية[٣]، وقد تمكن بني يمين من خلال هذه الثورة من استعادة أراضيهم، والدخول بمفاوضات مع الملك كُلِّتْ بتحقيق السلام بين الطرفين، وقد دخل بني يمين في مفاوضات مع كبري داجان kibri-Dagan حاكم مقاطعة ترقا الذي

---

(١) Durand,J.M, Les Bedouins, p: 424.

(٢) Charpin.D et Durand.J,M, Op.Cit, p 330.

(٣) Charpin.D et Durand.J,M, Op.Cit: p:420.

أعلن أن شيوخ قبائل أوبرابو Uprapu ويخرورو Yahruru وأمنانو Amnanu قد اجتمعوا وطلبوا منه التفاوض من أجل السلام(١).

"**قل لسيدي هكذا يتحدث كبري داجان، خادمك.**

داجان وإيكروب-إيلIkrub-El بخير ومدينة ترقا والبلاد أيضاً بخير.

شيء آخر: يوم إرسال رسالتي هذا إلى سيدي، قد وصل ثلاثة رجال من بني يمين أحدهم من قبيلة إوبرابو Uprapeen، والثاني من قبيلة يخرورو Yahurren والثالث من قبيلة أمنانو Amnaneen على المرتفع للقاء ياسيم مخر*-Yasim Mahar من أجل إرساء السلام، وأرادوا جميعاً لقائي.

في اليوم الذي أرسلت فيه رسالتي هذا إلى سيدي ذهبوا لمقابلته"(٢).

بعد ذلك يقوم بني يمين بالمطالبة بأراضيهم التي استولى عليها زمري ليم:

"**قل لسيدي هذا ما قاله يسمخ أدو خادمك.**

التقى شيوخ بني يمين في زلباخ Zalaph' وذهبوا إلى أخونا Ahuna، وقرر كل من صورا خامو Sura-Hammu** وياريم ليم Yarim-lim الذهاب إلى سيدي.**

فوقف شيوخ البدو، وقالوا مايلي لياريم ليم وصورا خامو:

اذهبوا لزمري ليم، وطالبوا بمختلف قرانا، وإذا لم يستجب لاخون دجن -Lahun Dagan ويأتِ معكم، فإننا سوف نقتله أو نعزله عن عرشه، هذا ما جرى مع شيوخ بني يمين سيذهب الآن ياريم ليم وصورا خامو وشيوخ البدو إلى مولاي، سيدي لا ترفض طلباتهم، وأنا سوف أصل بعدهم."(٣)

لقد تمكن زعماء بني يمين من استعادة أراضيهم التي كان قد استولى عليها القصر الملكي وجنى ثرواتها، واستفاد من عطاءاتها، وبالرغم من استعادتها بقي زمري ليم المالك الحقيقي والوحيد للأرض، ولم يكن بنو يمين سوى منتفعين منها، استقروا فيها،

---

(١) ARM III, 50:10-17.

*أحد الشخصيات الموثقة في نصوص ماري والتي لعبت دورا مهماً في ارساء السلام.

(٢)Charpin.D et Durand.J,M, Op.Cit, p:447.

**من الشخصيات التي لعبت دوراً في الصلح بين بني يمين والملك زمري ليم.

(٣) Ibid, p: 448.

وانخرطوا في الجيش وتحالفوا معه عند نشوب أي حرب أو معارضة ضد الملك.
كذلك ذكرت لنا المحفوظات الملكية قيام ثورة وتمرد في مقاطعة تيرقا التابعة لمملكة ماري، حيث وجه كبري داجان رسالة إلى سيده زمري ليم يتحدث فيها عن حالة غضب وهيجان داخل المدينة، وقيام جماعة كبيرة بالتمرد على السلطة، ويدعو كبري داجان الملك زمري ليم إعطاءه الصلاحية لإخمادها والتخلص منها(١).
وهناك رسالة من ممثل الملك زمري ليم في بابل يقول فيها:
"**سيدي يعرف جيداً أن رجلاً واحد يمكن إن يخدع الكثير من الناس، أن المدن التي فيها معارضة تتجه نحو الدماء وتخدع سكانها**"(٢)
ويطلب مرسل الرسالة من الملك زمري تفويت الفرصة على المتمردين من القادة الذين يسعون إلى الاستقلال، وسوف يلجؤون للقوة ويستعينون بالخارج، ويبدو من خلال هذه الرسالة أن تمرداً يحاك في ماري ضد ملكها، وهذا التمرد يلقى دعماً خارجياً.
وتشير رسالة من مسؤول رفيع في ماري يدعى ياشيم–ايل Yašim–el رفعها إلى الملك زمري عن محاولة تمرد وعصيان(٣) في مقاطعة قطَّارة Qattara.
لقد تمكن الملك زمري ليم من القضاء على هذه التمردات التي قامت ضد حكمه، والتي كان يهدف أصحابها للاستقلال عن مملكة ماري، وعدم التبعية لها، يبدو أن النزعة القبلية وعدم رضوخ سكان هذه القبائل ذي النزعة البدوية لسلطة الدولة، كانت من أهم الأسباب التي دفعتهم إلى العصيان والتمرد ضدها، وما ثورة بني يمين غير دليل واضح على ذلك، وقد عاشت مملكة ماري فترة من الاستقرار والازدهار بعد القضاء على هذه الثورات التي كثيراً ما تلقت الدعم من الممالك المعادية لماري، إلا أن الرقابة الشديدة ومتابعة التقارير التي أرسلها حكام المقاطعات بشكل يومي، ساهم في الحفاظ على الاستقرار والقضاء على العديد من هذه التمردات والثورات، وخصوصاً أن الملك زمري ليم ضمن ولاء الكثير من حكام المقاطعات بعد أن ارتبط مع امرائها برابط المصاهرة، الأمر الذي جعل منهم ولاة تابعين مخلصين.

---

(١) ARM III, 8:7–27.
(٢) ARM II, 31:6–7. 33: 13–16.
(٣) ARM XXVI, 412:6–10.

٧- نظام الحكم في مملكتي يمحاض وألالاخ:

اتسم نظام الحكم في مملكتي يمحاض وألالاخ بأنه نظام ملكي يصل الملك فيه إلى السلطة بالوراثة أو عن طريق القوة العسكرية، وقد حافظت هاتان المملكتان على الطبيعة نفسها التي اتسم بها نظام الحكم في العصر الأموري، فالملوك لقبوا أنفسهم بالعديد من الألقاب التي أشارت إلى قوة نفوذهم وعظمتها، ومن هذه الألقاب لقب الملوك العظام. وقد سعى الملوك إلى إسباغ الشرعية على حكمهم، فادعوا أن الآلهة هي من منحتهم الحكم، وباركت وصولهم إلى العرش، وخير مثال على ذلك الملك أبا إل abba-el الذي أطلق على نفسه لقب محبوب الإله أدد:

" **أبا إل**

بن حمورابي

ملك يمحاض

محبوب الإله أدد"(١)

وما نلحظه من خلال المصادر أن جميع ملوك مملكتي يمحاض وألالاخ أطلقوا على أنفسهم لقب: "**محبوب الإله أدد**"(٢)، وهذا يدل على سعي هؤلاء الملوك للحصول على دعم الآلهة عند وصولهم إلى الحكم، ويبدو أن هناك دوافع عديدة دفعتهم لذلك، منها اعتقادهم أن الآلهة هي التي تضفي الشرعية عليهم، وتعطيهم القوة، وتساعدهم على نشر الأمن والاستقرار والرفاهية في البلاد.

وقد عرفت مملكة يمحاض نظام ولاية العهد في عصر حاكمها ياريم ليم(٣)، حيث عينه والده ولياً للعهد، وأوكل إليه عدداً من المهام السياسية والاقتصادية، ويبدو أنه أراد من ذلك منح ابنه الخبرة ليتمرس في القيادة والحكم، وهذا ما حدث بعد أن توفي ياريم ليم حيث تسلم ابنه الحكم، وأصبح ملكاً على يمحاض.

---

(١) عبد الرحمن، عمار، مملكة ألالاخ دراسة سياسية-اقتصادية-اجتماعية، دمشق، د.ن، ٢٠٠٧، ص٩٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٩، ١٠٠.

(٣) كلينغل هورست، تاريخ سورية السياسي، ص٦٤

لقد جمع الملوك بيدهم جميع السلطات، وأصبح القصر مصدرها، فهو المالك للأراضي ويشرف على النشاطات السياسية والاقتصادية في البلاد، بينما اقتصر دور المعبد على إقامة الطقوس الدينية والإشراف عليها، واستلم الكهنة مرتباتهم وحاجاتهم من القصر، وكان هناك إلى جانب كل قصر معبد ملحق به مهمته الإشراف على الطقوس الدينية داخل القصر[١].

وقد اتبع الملوك سياسية تقوم على التقرب من رعيتهم، والعمل على تحسين أوضاعهم، فالملك إدريمي ملك ألالاخ اتبع سياسة تقوم على توطين البدو وتحسين أوضاعهم، كما جاء في النص الآتي:

"**السكان الذين في بلدي**

مسكنهم جعلتهم يسكنون بشكل أفضل

الذين لم يسكنوا في مسكن قط

جعلتهم يسكنون، ووطدت بلدي"[٢]

نلحظ مما سبق أن نظام الحكم في مملكتي يمحاض وألالاخ لم يختلف عن نظام الحكم في العصر الأموري بشكل خاص، والعصور السومرية والأكادية بشكل عام، وإنما حافظ على الشكل نفسه، ولم يخرج عنه، وهذا يدلنا على أن ممالك سورية بدءاً من مملكة إبلا، ومروراً بمملكة ماري ويمحاض، وانتهاء بمملكة ألالاخ قام فيها نظام الحكم على أساس ملكي، وكانت الصلاحيات كلها بيد الملك، بينما تقلص دور المعبد ليقتصر على إدارة الشؤون الدينية، وهذا يدل على نضوج نظام الحكم، ووصوله إلى مرحلة متقدمة من التنظيم والإدارة في هذه الممالك.

٨- المعارضة في مملكتي يمحاض وألالاخ:

شهدت مملكتي يمحاض وألالاخ كغيرهما من ممالك بلاد الرافدين وسورية قيام العديد من الثورات والفتن والاضطرابات التي هدف أصحابها إلى الاستقلال بمناطقهم، والانقلاب على السلطة الحاكمة، والتمرد عليها، ولعل أشهر هذه الثورات تلك التي

---

(١) عبد الرحمن، عمار، المرجع السابق، ص١٧٣.

(٢) مرعي، عيد، مملكة ألالاخ، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٧١-٧٢، جامعة دمشق، ٢٠٠٠، ص ٤٥.

قامت في مدينة أريدي (تقع في منتصف المسافة بين الفرات والبليخ بالقرب من كركميش، وكانت تتبع لمملكة يمحاض) ضد ملك يمحاض أبا إل، وقد قاد هذه الثورة أحد القادة البارزين في المدينة ويدعى زيترادو، ولمواجهة هذا الثورة قاد الملك أبا إل حملة عسكرية تمكنت من القضاء على الثورة وإخمادها، وحرق المدينة وتدميرها[١]، ويبدو أن ما دفعه إلى ذلك هو السعي للظهور بمظهر الملك القوي من جهة، وجعل هذه المدينة الثائرة عبرة لغيرها، إذا ما فكرت إحدى المدن الأخرى بالثورة على حكمه من جهة أخرى، وقد نجحت هذه السياسة في تحقيق هدفها فيما بعد.

وقد منح الملك أبا إل أخاه ياريم ليم حكم مدينة ألالاخ بعد تدميره مدينة أريدي، وعينه حاكماً عليها، لكنه أخذ عليه عهداً أن يكون تابعاً لمملكة يمحاض، وإلا يقوم بالتمرد عليه، أو إعلان أية ثورة ضده، وأن يكون موالياً لحكمه، أما إذا تمرد عليه أو أعلن العصيان ضده، فعليه أن يترك أماكنه ومناطقه[٢]، وهذا يدلنا على أنه قد يكون لياريم ريم يد في الثورة التي قامت في مدينة أريدي بدليل العهد الذي قطعه عليه أخوه بعد إعطائه حكم مدينة ألالاخ، وخصوصاً أن ياريم ليم كان حاكماً على هذه على مدينة أريدي عند قيام الثورة فيها، ويقودنا هذا إلى البحث عن الدور الذي يكون قد لعبه الحاكم ياريم ليم في الثورة التي قامت بمدينة أريدي ضد أخيه الملك أبا إل، ودليلنا على ذلك إعطاؤه حكم مدينة ألالاخ عوضاً عن مدينة أريدي المدمرة بعد أخذ العهود عليه بعدم القيام بأية ثورة أو تمرد ضد أخيه، وما يؤكد ذلك أن العهد الذي قطعه عليه تضمن سحب الصلاحيات كلها منه في حال مساهمته في أية ثورة ضد السلطة الحاكمة ممثلة بالملك أبا إل، ومنذ تلك الفترة أصبح ياريم ليم حاكماً على مدينة ألالاخ حيث تم تنصيبه بمباركة الإلهة عشتار، وقد حكم في البداية كتابع لملكة يمحاض، ولم يطلق على نفسه لقب ملك، وبعد وفاته تسلم الحكم ابنه أميتاكوم الذي كان أول من حمل لقب ملك ألالاخ[٣]، ومنذ تلك الفترة أصبح حكام ألالاخ يحملون لقب ملك.

---

(١) عبد الرحمن، عمار، المرجع السابق، ص١١١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٠.

(٣) عبدالله، فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم سورية–لبنان–فلسطين–الأردن، ص ١٦٦.

*ملك السماء وإله الطقس عند الحوريين.

أما الثورة الثانية فقد قامت في مملكة يمحاض، وهي الثورة التي أسقطت حكم الملك إليم إليما، وترجح المصادر أن يكون قد قتل الملك على إثر هذه الثورة التي دعمت من قبل الملك الميتاني شوترنا، ويقدم لنا نقش الملك إدريمي صورة واضحة عن هذا التمرد الذي قام في مدينة حلب مركز حكم أبيه حيث أرغم مع أخوته على الهرب من المدينة واللجوء إلى إيمار Emar (مسكنة حالياً إلى الشرق من مدينة حلب) حيث كان هناك أقرباء أمه، وهذا ما يعبر عنه النص الآتي:

"**أنا إدريمي بن إليم–إليما**

خادم تيشوب*، خيبات، شاوشكا*****

في حلب، في بيت أبي

حدث اضطراب، وهربنا إلى

سادة إيمار

أخوتي الذين كانوا أكبر مني

سكنوا معي أيضاً"(١)

ويخبرنا إدريمي في النقش الذي تركه لنا إلى أنه تمكن من العودة إلى الحكم في ألالاخ، وذلك عن طريق القوة العسكرية من جهة، ومساعدة دولة حوري ميتاني من جهة أخرى.

" **في السنة السابعة**

رجع تيشوب إلى رأسي ومن ثم

صنعت سفناً

عساكر نولا جعلتهم يصعدون إلى السفن

وبحروا من أرض موكيش

---

*ملكة السماء وزوجة إله الطقس تيشوب ورد اسمها في نصوص إبلا على أنها عبدت في شمال سورية منذ أقدم العصور.

**أخت تيشوب وتحمل صفات الإلهة عشتار وهي إلهة الحب والحرب عند الحوريين.

(١) مرعي، عيد، إدريمي ملك ألالاخ، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٢٩–٣٠، جامعة دمشق، ص١٠٨.

وصلت إلى اليابسة
بارتاني ملك الحوريين عادني
أقسمت له، لذلك
أصبحت ملكاً على ألالاخ"[1]

نلحظ من خلال هذا النقش أن إدريمي أصبح ملكاً على ألالاخ بمباركة الآلهة، ودعم من مملكة حوري ميتاني، وتمكن من استعادة الحكم في المملكة بعد تلقيه المساعدة من ملوك إيمار، وبذلك يكون قد تمكن من استعادة حكم أبيه، واستمرار سلالته في الحكم فترة من الزمن.

الفصل الثالث

(1) مرعي، عيد، إدريمي ملك ألالاخ، ص ١١٠.

السلطة والمعارضة في بلاد الرافدين وسورية في الألف الأول قبل الميلاد (١٠٠٠-٥٣٩ق.م)

أولاً: السلطة والمعارضة في بلاد الرافدين:

١- نظام الحكم في العصر الأشوري الحديث:

أ- الملك

ب- نظام ولاية العهد

١-ولاية العهد في عهد الملك سنحريب

٢-ولاية العهد في عهد الملك أسر حدون

ت- المناصب وكبار القادة والموظفين في الإدارة الآشورية:

ث- حكام المقاطعات تعيينهم وواجباتهم

٢- المعارضة وأشكالها في العصر الآشوري الحديث:

أ- تمرد آشور دان أبلي Aššur-dan-apli:

ب- الثورات والتمردات في عهد خلفاء الملك أدد نيراري الثالث:

ت- تمرد مردوك أبال إدينا وأولاده في بابل:

ث- تمرد شماش شوم أوكين:

٣- نظام الحكم في العصر البابلي الحديث(الكلدي):

٤- الآلهة والصراع بين الكهنة والملوك:

٥- المعارضة في العصر البابلي الحديث (الكلدي):

ثانياً: السلطة والمعارضة في سورية:

١- نظام الحكم عند الآراميين:

أ- الملك

ب- الطبقة المقربة من الملك:

٢- المعارضة عند الآراميين

٣- نظام الحكم عند الفينيقيين

أ- الملك

ب- مجلس الشيوخ

٤- الآلهة مصدر شرعية الملوك

٥- المعارضة عند الفينيقيين

أولاً: السلطة والمعارضة في بلاد الرافدين

١- نظام الحكم في العصر الأشوري الحديث:

تمثل نظام الحكم في العصر الأشوري الحديث بـ:

أ- الملك:

لعب الملك دوراً رئيسياً مهماً في قيادة الدولة في العصر الآشوري الحديث، وحافظ على مكانته كممثل ونائب للإله آشور على الأرض، وقد دلت الألقاب التي أطلقت على الملوك في هذا العصر على السلطة والمكانة التي تمتعوا بها، وقصدوا من وراء تدوين هذه الألقاب في كتاباتهم الملكية الإشارة إلى الصلاحيات التي امتازوا بها وادعوا أن الآلهة منحتهم إياها، فالملك آشور باني أبلي (٦٦٨-٦٢٦ق.م) Aššur-bani-apli يصف نفسه بالملك العظيم الذي يسيطر على كامل البلاد، فاتخذ لقب ملك سومر وأكاد، وهو لقب لا يحمله سوى الملوك العظام، وقد وصف الملك آشور باني بال نفسه في حولياته بالآتي:

" **أنا آشور باني أبلي، الملك العظيم، الملك القدير، ملك العالم، ملك آشور، ملك الجهات الأربع، ابن أسر حدون، ملك بابل، ملك سومر وأكاد**"(١)

وقد تفاخر الملوك الأشوريون في العصر الحديث بنشر العدالة، ومساعدة الضعيف، ونصرة المظلوم، والوقوف إلى جانب الفقراء، وإحقاق الحق، فالملك سنحريب أشار في نقوشه الملكية إلى هذه الصفات في النص الاتي:

" **سين أخي أريبا- سنحريب، الملك العظيم، الملك القوي، الملك الذي لا مثيل له، الراعي المخلص، محبوب الآلهة العظام، حامي الحق، محب العدالة، المساعد، الذاهب لمعاونة الضعيف، فاعل الخير، المحارب القوي**"(٢)

---

(١)Frame.G, The Rulers of Babylonia, from second Dynasty of Isin to Assyrian Domination (1157-612 B.C), University of Toronto press, 1995, p197.

(2) Grayson.A.K, Novotny.J, The royal inscription of Sennacherib King of Assyria (704-681B.C), Part 1, New York, 2012, p32.

وقد ادعى الملك آشور ناصر بال الثاني٨٨٤-٨٥٩ق.م Aššur-nasir-apli II أن الإلهة عشتار قد أحاطته برعايتها، وتجلى ذلك في العديد من أبيات الشعر التي أنشدها من أجل الآلهة ولا سيما نشر العدالة بين الناس كما يوضح النص الآتي:

"أنا ولدت وسط الجبال التي لا يعرفها أحد

لم أصلِّ من أجل أحد هناك

اختارتني عشتار سيدة الآلهة

اختارتني وحدي بسعادة وبعينيها الرقيقتين

ورغبت أن تراني ملكاً

أخذتني من بين الجبال

وأخبرتني أن أكون راعي الناس

ومنحتني لقب ملك العدالة"[١]

وقد حظي الملك في العصر الآشوري الحديث بالكثير من الصلاحيات، حيث كان يمثل رأس الدولة الذي بيده السلطة العليا في الإمبراطورية، ويمتلك السلطات المدنية والعسكرية كافة، فهو القائد الأعلى للجيش الذي يقود الحملات، ويعيين كبار الموظفين من وزراء وحكام المقاطعات[٢]. ومما لاشك فيه أن الملوك الآشوريين في العصر الحديث قد وقع على عاتقهم مسؤوليات دينية واجتماعية كبيرة، فالملك الآشوري عدَّ نفسه ممثل الإله آشور على الأرض، يحكم باسمه، وينفذ أوامره على الأرض، ويقود الحملات ويحارب الأعداء بمشورته، ويقدم الهدايا والهبات له اعترافاً منه بفضل هذا الإله في تحقيق الانتصارات على الأعداء[٣]، وقد قام الملوك الأشوريون بتقديم القرابين للآلهة، وبنوا المعابد لها، وخير مثال على ذلك ما قام به الملك أسر حدون Aššur-ahu-iddina (٦٨٠-٦٦٩ق.م) حيث تقرب من كهنة بابل وحصل على دعمهم،

---

(١) Frankfort.H, Kingship and Gods, p:239.

(٢) بيتينانو، جيوفاني، سميراميس ملكة أشور وبابل، ترجمة عيد مرعي، روافد للثقافة والفنون، دمشق، ٢٠٠٨، ص ١٣٨.

(٣) ديورانت، ول، بلاد ما بين النهرين-الحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة محرم كامل، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٧، ص ٢٧٨.

خاصة أن التأثير الديني البابلي قد تعمق في آشور، واحتل الإله مردوك مكانة مهمة إلى جانب الإله آشور في الديانة الآشورية، وقد سعى الملك أسر حدون إلى إعادة تماثيل مردوك والآلهة الأخرى –التي نقلت إلى آشور– إلى معابدها في بابل، وقام بترميم معبد مردوك في بابل، ويبدو أن ما دفعه إلى ذلك سعيه إلى إرضاء البابليين بشكل عام وكهنة بابل بشكل خاص لأنهم شكلوا مكوناً من أهم مكونات الإمبراطورية الآشورية، وذلك بعد أن قام والده الملك سنحريب Sennacherib (٧٠٤–٦٨١ق.م) بمعاقبة البابليين الذين تحالفوا مع العيلاميين آنذاك، وقاموا بقتل ابن الملك سنحريب وولي عهده أثناء الثورة البابلية ضد الحكم الآشوري فيها، الأمر الذي دفع الملك سنحريب إلى قيادة حملة ودخول بابل وتحطيم تماثيل الآلهة ونقلها إلى آشور، ونهب البيوت والمعابد وتهجير السكان[١]، فأراد الملك أسر حدون إصلاح ما قام به والده، وتمكن من مسح أخطائه، والتخلص من الإثم الذي ارُتكب بحق المدينة المقدسة، وبذلك يكون الملك أسر حدون قد اتبع منهجاً يقوم على استرضاء البابليين، وكسبهم إلى جانبه، والحصول على ولائهم دون استخدام القوة العسكرية، هادفاً من وراء سياسة التسامح هذه المحافظة على السلام والازدهار داخل الإمبراطورية. بالإضافة إلى ذلك سعى الملوك من وراء ادعاء التقرب إلى الآلهة الحصول على شرعية وصولهم إلى الحكم، وخصوصاً أولئك الملوك الذين وصلوا إلى السلطة بطريقة غير شرعية، أو أولئك ليسوا من سلالة أسرة ملكية حاكمة، فالملكة سميراميس (٨١١–٨٠٦ق.م) التي أتت إلى بلاد آشور أسيرة عملت على التقرب من الآلهة عن طريق عبادة الإله نابو* Nabu وكسب رضا الكهنة البابليين[٢]، فتمكنت من حكم بلاد آشور لفترة من الزمن،

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم: بلاد الرافدين، ص٤٣٣.

*من أهم الآلهة عند البابليين والأشوريين في العصر الحديث، إله الحكمة والكتابة، عده البابليون ابناً للإله مردوك، كانت مدينة بورسيبا مركز عبادة هذا الإله، وقد دخل اسمه في أسماء بعض الملوك في العصر البابلي الحديث مثل الملك نبوخذ نصر ونابونيد للمزيد انظر:

Bertman. S, Op.Cit, p122.

(٢) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص ٥٣–٥٤.

مستغلة صغر ابنها ولي العهد أدد نيراري الثالث، وعدم قدرته على حكم البلاد.

لقد حرص الملوك في العصر الآشوري الحديث على إقامة نظام حكم ملكي يقوم على جمع السلطات كافة بيد الملك الذي شكل رأس الإدارة وتمكن من حكم إمبراطورية مترامية الأطراف من خلال عدد من الموظفين الأكفاء والمخلصين، وبذلك تمكنوا من المحافظة على عروشهم، وضرب أية محاولة تهدف إلى إضعاف نظام الحكم وتقليص صلاحياتهم. فالملك تيكلات بيليصر الثالث(٧٤٥-٧٢٧ق.م) أجرى مجموعة من الإصلاحات الإدارية العسكرية والتي هدفت إلى تقوية السلطة الملكية على حساب السلطة المفرطة لكبار رجالات الدولة، فاستحدث العديد من المناصب الجديدة، وقوى الجيش، وراقب عمل حكام المقاطعات[١].

نلحظ مما سبق أن الملك كان رأس السلطة والحكم في العصر الآشوري الحديث، وكانت الصلاحيات كافة بيده، لأنه هو ممثل الإله على الأرض، كانت سلطاته مطلقة، ولا يحق لأحد أن يعارضها، أو يرفض أوامره، لأن ذلك يعدُّ رفضاً لتعاليم الآلهة وقراراتها، ومن هنا وجب إطاعة أوامر الملك وتنفيذها.

ب- نظام ولاية العهد:

لقد عرف العصر الآشوري الوسيط نظام ولاية العهد، ولذلك ورث عدد من الملوك الحكم من آبائهم بموجب هذا النظام، وقد أورد العديد من وثائق ذلك العصر تفاصيل مهمة عن ولاية العهد، وتعيين ولي العهد، فقد ادعى الملوك أنهم كانوا مسوقين في ذلك برغبة الآلهة وموافقتها على هذا التعين، ولعبت الآلهة دوراً هاماً في هذا التعيين، فادعوا أن تعينيهم يتم عن طريق أخذ موافقتها أو من خلال مبادرة الآلهة نفسها إلى اختيار الملك، حيث كانت توحي بقرارها بحسب اعتقادهم إلى الكهنة عن طريق الأحلام وقراءة الفأل وغيرها من الوسائل الكهنوتية المعروفة لديهم، ويعد اختيار ولي العهد من قبل الآلهة ضرورة تفرضها طبيعة نظام الحكم، فضلاً عن الفكر الديني الذي كان سائداً، فالملك أسر حدون يدعي في أحد النصوص التي تعود إلى بداية عهده أن والده سنحريب قد اختاره لولاية العهد نزولاً عند رغبة الآلهة، وهذا ما يبينه النص الآتي:

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص٤١٧-٤١٨.

" مع أنني كنت أصغر أخوتي قام أبي الذي أنجبني، بناءً على رغبة (الآلهة) آشور، وسين وشماش، وبيل (مردوك)، ونابو وعشتار نينوى، وعشتار أربيل.... برفع رأسي عالياً وسط أخوتي، وقال هذا ولي عهدي. وعندما سأل شماش، وأدد بعد ذلك عن طريق التنجيم، أجابوه بموافقة قوية مع الكلمات التالية: إنه خليفتك. فاحترم قولهم، ومع الأشوريين صغاراً وكباراً، وكذلك أخوتي وأقاربي كلهم، وجعلهم أمام آشور وسين، وشماش، ونابو، ومردوك، آلهة بلاد آشور، الذين يسكنون السماء والأرض، يؤدون قسماً بحماية حقي في وراثة العرش"[1].

لقد أراد أسر حدون من وراء هذه الكتابة إضفاء الشرعية على حكمه بادعائه الانصياع لرغبة الآلهة ومشيئتها، ذلك وأنه كان أصغر أخوته، فكان لا بد من الحصول على دعم الآلهة لتثبيت حكمه وقطع الطريق على أخوته الطامعين بالوصول إلى الحكم، وقد جرت العادة أن يكون أكبر الأبناء ولياً للعهد، لكن الملك سنحريب خالف هذه القاعدة، عندما أعطى العرش لأبنه أسر حدون.

وكان يفترض أن تجتمع في ولي العهد العديد من المزايا والصفات، أهمها أن يقع الاختيار عليه لهذا المنصب من قبل والده، وأن يتمتع بالشجاعة والقدرة على القيام بأعباء الحكم، وأن يحصل على ثقة أخوته، بالإضافة إلى مشاركته في حملات أبيه العسكرية، وأن يكون قد كُلِّفَ بمهمات خاصة كتمثيل الملك في العديد من المناسبات والطقوس ولاسيما الدينية منها، والاهتمام بعلاقات مملكته مع الممالك الأخرى، وأن ينشأ في بيت الوراثة لتدريبه على شؤون الحكم، وهذا ما فعله الملك سنحريب، حيث أن الابن الذي اختير لولاية العهد قد تربى في بيت خاص هو "بيت ريدوتي" (بيت الوراثة)[2]، يبدو أن الغاية الأساسية من بيت الوراثة تهيئة الملك الجديد لمهامه المستقبلية، وتدريبه على شؤون الحكم والواجبات التي يجب أن يأخذ بها، والتي تقع على عاتقه بعد وصوله للحكم. وقد سار الملك أسر حدون على نهج أبيه فيما يخص ولاية العهد في عصره، حيث قام بإسناد ولاية العهد إلى ابنه الأصغر آشور باني أبلي

([1]) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الرافدين، ص٤٣٤.

(٢) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص ١٤١–١٤٢.

Aššur–bani–apli (٦٦٨–٦٢٦ق.م) متجاوزاً ابنه الأكبر شماش شوم أوكين Šamuš–šum–ukin الذي عينه حاكماً على بابل، وكان لوفاة الابن الأكبر لأسرحدون المدعو سين إدينا أبلي Sin–iddina–apli، والذي كان ولياً للعهد دوراً في إثارة قضية ولاية العهد، حيث جرت العادة أن تختار الإرادة الإلهية الابن الأكبر للملك ولياً للعهد، فأن مات قبل أبيه، يحقُّ للأب أن يختار خليفته من بين أولاده الأخرين دون النظر إلى العمر. لذلك سوف نقوم بدراسة مسألة ولاية العهد في عهد الملك سنحريب وعهد الملك أسر حدون كلاً على حدة.

١–ولاية العهد في عهد الملك سنحريب:

لقد كان للملك سنحريب خمسة أولاد غير ولي العهد الذي قُتلَ في بابل، وكان أصغر أولاده ابنه أسر حدون من زوجته البابلية نقية" زكيتو بالآشورية"، والتي لعبت دوراً مهماً في إسناد ولاية العهد إلى ابنها أسر حدون، ومارست نفوذاً كبيراً في البلاط الملكي[١]. وهذا يدل على مكانتها داخل البلاط ودورها في صنع القرار داخل القصر، خاصة دورها في إقناع الملك سنحريب بإبعاد أولاده من غيرها عن سدة الحكم، وتعيين ابنها أسر حدون ولياً للعهد.

والجدير بالذكر أن النساء لعبت دوراً مهماً في تسيير شؤون الحكم في العصر الآشوري الحديث، حيث تمكنت الملكة سميراميس من الوصول إلى الحكم بعد ممارستها الوصاية على ابنها أدد نيراري الثالث الذي توفي والده وهو ما يزال قاصراً، فمارست الحكم، وأرسلت الحملات، وحصلت على ثقة كبار رجالات الدولة بما فيهم القادة العسكريون[٢]، وحملت العديد من الألقاب التي تخولها ممارسة السلطة كزوجة الملك أو الزوجة الملكية لشمشي أدد الخامس، وقد دلت الألقاب والأعمال التي قامت بها هذه الملكة على الحنكة والذكاء التي اتصفت بهما، فهي لم تحمل لقب ملكة آشور، إنما أطلقت على نفسها:

"**أم أدد نيراري، ملك الجميع، ملك بلاد آشور، كنة شلمنصر، ملك أجزاء العالم**

---

(١) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص٣٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٤.

الأربعة"[١].

كذلك لعبت الملكة نقية (زكيتو) دوراً مهماً في تسيير شؤون الحكم، وأشرفت على بعض الأمور الاقتصادية، وراقبت عمل المسؤولين وكبار الموظفين في الدولة، وأعطت التعليمات لبناء القصور وغيرها من الأعمال[٢]. وهذ يدل على الدور العظيم الذي لعبته المرأة في الحضارات القديمة من مشاركة في النشاطات كافة داخل القصر، ومساندة للملك في صنع القرار وقيادة السلطة.

٢-ولاية العهد في عهد الملك أسر حدون:

لقد واجه الملك أسر حدون المشكلة نفسها التي واجهها والده الملك سنحريب فيما يخص ولاية العهد، فبعد وفاة ابنه الكبير وولي عهده سين إدينا أبلا Sin-iddina-apla وجب عليه تعيين ولي عهد جديد، وكان ابنه شماش شوم أوكين Šamaš-Šum-ukin حاكماً على بلاد بابل، وبعد عدة مشاورات أعلن في اجتماع كبير عقده في العاصمة نينوى بحضور قادة الجيش وكبار رجالات الدولة، وحكام المقاطعات، وكبار الموظفين، والسفراء الأجانب تعيين ابنه آشور باني بال ولياً للعهد وخليفة شرعياً له متجاهلاً حق ابنه شماش شوم أوكين في هذا المنصب، وأقَّر تعيينه حاكماً في بابل، وبعد ذلك تم تأدية قسم الولاء من العائلة المالكة، والوجهاء، وكبار رجالات الدولة والجيش، كذلك الأتباع والحلفاء لولي العهد الجديد حيث جاء فيها العبارات الآتية:

"**إذا إنسان (على حساب " آشور باني بال ") أراد أن يستولي على السلطة الملكية في بلاد آشور... فعليكم ألا تقوموا معه بعمل مشترك... بل عليكم أن تثوروا ضده... وتشنوا عليه حرباً، وتثيروا عليه البلدان الأخرى للقتال ضده.**"[٣]

وقد حفظت هذه الوثائق في المعابد[٤]، بهدف ضمان الولاء لولي العهد الجديد، وقد تضمنت أيضاً نصوص الولاء حسب ما وردت في الوثائق العبارات الآتية:

" **في عهد زكيتو زوجة سنحريب ملك آشور، أم أسر حدون، أم آشور باني بال،**

---

(١) ساكز، هاري، عظمة أشور، ص ١٠٧.

(٢) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٣) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص٤٤٣.

(٤) جيوفاني بيتيناتو، المرجع نفسه، ص٢٤٩.

مع شماش شوم أوكين، شقيقه على قدم المساواة مع بقية أخوته، السلالة الملكية، مع الحكام والأغنياء وكبار الخصيان والآشوريين في الأراضي المرتفعة والمنخفضة، أي شخص يأخذ هذا العهد، الذي وضعته زكيتو سيكون تحت راية آشور باني بال، أي شخص.... يسهم أو يفعل الشر أو يشارك تمرد ضد الملك آشور باني بال، كل من يحمل في قلبه تصوراً قبيحاً ومؤامرة شريرة ضد آشور باني بال ملك آشور، كل من يحرض على الثورة والشر ويقدم المساعدة للمتمردين ضد ملكنا آشور باني بال، أو يفكر في قتل الملك آشور باني بال، سوف تعلم به زكيتو ويكون مصيره القتل"(١).

كذلك نص يمين الولاء على العبارات الآتية:

"أقسم أنه إذا سمعت أية كلمة من فم نسله، أو سمعت أية كلمة من خصيان قصره ومحكوميه، سوف أذهب وأقول لأسر حدون ملكي.

أقسم أنني سوف أعمل في خدمة ملكي أسر حدون.

أقسم أنني سوف أحافظ على هذا العهد ولن أتخلى عنه.

آشور أبو الآلهة والملوك، ملك السماء والأرض سيعاقب كل من يخالف هذا العهد"(٢)

وقد دلت عبارات الولاء على استبدادية الحكم وسلطة الملك المطلقة كما جاء في النص الآتي:

" سيكون وملككم سيدكم، يستطيع أن يُخضع القوي ويرفع الضعيف، الذي يعفو عن المحكوم بالموت عندما يجده مستحقاً. ستستمعون إليه وتنفذون كل أمر من أوامره، لن تدعموا أي ملك آخر، أو سيد آخر ضده"(٣).

من تحليل هذه الوثائق نلحظ أن الملكة زكيتو هي الوصية على الاتفاق، وهي التي أطلقت على آشور باني أبلي لقب ملك، ويبدو أن هذا النص تمت صياغته بعد فترة وجيزة من وفاة أسر حدون، ونُفِّذَ رسمياً في حفل التتويج، حيث كانت جميع الأطراف المعنية موجودة، ولاسيما أن وفاة أسر حدون جاءت مفاجئة، وقد لعبت زكيتو دور

---

(1)Parpola.S, New-Assyrian Treaties from the royal archives of Nineveh, vol:139, No2, JCS, Autumn, 1987, p: 166-167.

(2) Ibid, p172.

(٣) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص١٣٥.

الوصي على أولادها وأحفادها كما فعلت سميراميس من قبل. وتمكنت الملكة زكيتو من استغلال نفوذها في البلاط الملكي حيث انتزعت يمين الولاء للملك الجديد من كبار رجالات الدولة من جهة ومن البابليين وحاكمهم شماش شوم أوكين من جهة أخرى، وخاصة أنها قد تمتعت بنفوذ كبير داخل البلاط الملكي، فقد كانت في نظر رعاياها مصدر الشرعية، وكانت تعلم الخطر الذي يشكله التنافس والصراع بين الأخوة على الحكم لذلك ناشدتهم ألا يخرقوا يمين الولاء للملك آشور باني أبلي. وقد كان الهدف من نصوص الولاء إظهار الولاء المطلق للملك، والتعهد بفضح الوشايات والدسائس التي تستهدف الملك ونظام حكمه، وإطاعة الملك وحراسته، وعدم التعامل مع أعدائه، والجديد بهذا القسم أنه أُخِذَ على كبار الموظفين والأمراء وحكام المقاطعات وصولاً إلى المواطنين البسطاء وهذا يدل على سعي الملك للحصول على الولاء والطاعة من فئات المجتمع كافة. وبذلك تكون الملكة زكيتو قد لعبت الدور نفسه في إيصال حفيدها آشور باني أبلي إلى ولاية العهد، ولم يكن السبب في توريث الابن الأصغر آشور باني أبلي العرش يعود إلى الحب الذي يكنه الملك أسر حدون لابنه آشور باني أبلي بقدر ما كان يعود إلى المكانة التي تتمتع بها أم كل من أشور باني أبلي وشماش شوم أوكين، فالمصادر[1] تذكر أن أم آشور باني أبلي كانت آشورية، في حين أن والدة شماش شوم أوكين كانت بابلية، ويبدو أن أسر حدون كان قد أدرك أن تعيين ولي عهد لآشور أمه بابلية سيكون له نتائج عكسية على الآشوريين ، وتعيين شماش شوم أوكين لعرش بابل سيكون خطوة لإرضاء البابليين، لأن أسر حدون ظنَّ أن البابليين سيقبلون دون اعتراض الملك الجديد عليهم، خاصة أن بابل كانت قد شهدت العديد من حركات التمرد ضد نظام الحكم الآشوري فيها، فأراد تجنب وقوع أي خلاف بين الأخوين لمنع تكرار الحرب بينه وبين أخوته عند اعتلائه العرش[2]، لكن ما أراد الملك أسر حدون تجنبه، وتجنب وقوعه بين الأخوة قد حدث، وتمرد ملك بابل شماش شوم أوكين على أخيه، واندلعت الحرب بين الأخوين، وسوف نتحدث بنوع من التفصيل عن هذا التمرد

([1]) الأحمد، سامي سعيد، سميراميس، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٩، ص ١١٣،١٤٩.

([2]) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الرافدين، ص٤٣٧.

في بحث المعارضة.

ت- **المناصب وكبار القادة والموظفين في الإدارة الآشورية:**

امتلكت الدولة الآشورية في عصرها الحديث جهازاً إدارياً اعتمد عليه الملك في إدارة شؤون الدولة والقيام بأعباء الحكم، ولعل أهم هذه المناصب منصب التورتان Turtan، وهو منصب القائد العام الذي يقود الجيش نيابة عن الملك، أو يرافق الملك في حملاته العسكرية، وقد ضمت الجيوش الآشورية قائدين من التورتان عُرفا بالتورتان الأيمن والتورتان الأيسر، وغالباً ما يكون هذا القائد حاكم أكبر المقاطعات في الدولة الآشورية(١)، وكان الملك شلمنصر الثالث قد أسند منصب التورتان بعد تقدمه في السن إلى القائد ديان آشور Dayyan-Aššur الذي كان واحداً من كبار رجالات الدولة في تلك الفترة(٢).

ويأتي بعد التورتان في السلم الإداري منصب ناجير إكالي Nagir ekalli أي منادي القصر الذي وقع على عاتقه مهمة إعلان أوامر الملك في زوايا القصر الأربع(٣)، والدعوة إلى النفير العام، ورئاسة الجلسات التي تناقش القضايا المهمة في البلاد(٤). ويأتي بعد منصب منادي القصر منصب ساقي القصر أو رب شاقي Rap-Šaqe كبير السقاة، ومن المهام الملقاة على عاتقه إنجاز المهمات العسكرية، ويكتسب شخص كبير السقاة أهمية خاصة كونه رُسِمَ في المنحوتات الجدارية في القصور الآشورية إلى جانب الملك والتورتان، وكان من مهامه تنظيم العلاقات مع الدول الأخرى(٥)، وهناك منصب أبراكو Abaraku أي مدير البلاط، وكانت مهامه تتعلق بإدارة أموال البلاد، ومراقبة سجلات الضرائب والدخل، وجباية الأموال من المقاطعات وتسليمها

---

(١) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص ٥٦.

(2) Rev.A.H. Sayce, Babylonians and Assyrians, Life and Customs, London, 2008, p:148.

(٣) قابلو، جباغ، سمير، عماد، تاريخ الوطن العربي (بلاد الرافدين-سورية مصر)، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص ١١٨.

(٤) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع نفسه، ص ١٤٠.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٤٠.

للعاصمة[1].

لقد كانت هذه المناصب الأربعة (التورتان–منادي القصر– كبير السقاة– مدير البلاط) في غاية الأهمية، وجاءت سلطات مسؤوليها بعد سلطة الملك مباشرةً في تسلسل القوائم الملكية، وقد حمل شاغلو هذه المناصب وظائف أخرى إلى جانب وظائفهم الأساسية، فقد حكم بعضهم المقاطعات، وكان ينوب عنهم نواب في حال قيامهم بمهمات خارج مجال عملهم، ومهمة النائب تقتصر على تسيير الأمور ريثما يعود مدير المنصب، والوحيد الذي لم يكن له نائب هو الملك الذي شكل رأس الدولة وعمودها الفقري، ومن المناصب التي عرفتها الإدارة الآشورية منصب السوكالو Sukkallu والتي تعني منصب الوزير الكبير، ومهمته تنفيذ قرارات مجلس الكبار، وهناك مناصب أخرى ككاتب القصر، والقائد الكبير، وكبير القصر[2].

لقد شكل الآشوريون نظاماً إدارياً موحداً تمكنوا من خلاله من إدارة الإمبراطورية الآشورية بمركزية شديدة، مما أسهم في اتخاذ قرارات ناضجة، ساهمت في إطالة عمر الإمبراطورية الآشورية التي اعتمدت على قادة أكفاء، ساعدوا الملوك في إدارة البلاد، وحافظوا على سلطتهم فترة من الزمن، وامتلكوا ثروات طائلة، ومن أشهر هؤلاء ديان آشور[3] الذي قُلِّدَ منصب التورتان، وبقي في منصبه من عام ٨٥٣ حتى ٨٢٦ق.م، وكان من كبار رجالات الدولة في عهد الملك شلمنصر الثالث، وقد اعتمد الأخير عليه في قيادة الحملات العسكرية، ولاسيما بعد تقدمه في السن، وقد لعب ديان آشور دوراً مهماً في القضاء على التمرد الذي أعلنه آشور دان إبلي في العديد من المدن الآشورية. ومن الشخصيات التي كان لها دور مهم في التاريخ الآشوري شخصية موتريص مردوك الذي كان من أبرز كبار الضباط في عهد الملك شمشي أدد الخامس، وقد تمتع بالعديد من الامتيازات، وقاد العديد من الحملات ضد المتمردين على الدولة الآشورية[4].

---

(1) جيوفاني، بيتنياتو، المرجع السابق، ص ١٤٣.

(2) المرجع نفسه، ص ١٤١–١٤٢.

(3) Garelli,P, les sujets du roi D'Assyrie: la voix de lopposition en Mesopotamie, Bruexlles, 1973, p190.

(4) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الرافدين، ص٤٠٦.

كذلك برزت شخصية نرجال إيريش التي لعبت دوراً مهماً في عهد الملك أدد نيراري الثالث، حيث امتلك هذا القائد من القوة ما جعله يخلد اسمه على نصب خاص به يعرف بنصب تل الرماح حيث يُظهر دور هذا الحاكم وقوته، والمناطق المذكورة تحت سيطرته في النص الآتي:

"**في زمن ما عينت أنا(أدد نيراري الثالث) نيرجال- إريش حاكماً على الرصافة، وعهدت إليه بلاقي وسيرقو وعانة وسوخو... دور إنانا مع اثنتي عشرة قرية، وكار سين مع قراها العشر، ودور- إن مع قراها الثلاث والثلاثين، ودور-أشور مع قراها العشرين، ودور-نيرجال أريش مع قراها الثلاث والثلاثين، ودور مردوك مع قراها الأربعين في منطقة أسالي، ودور أدد-نراري مع قراها الخمس عشرة، وتل أدد-نراري مع قراه المئة وست وعشرين، ودور أن-كور-سانغاري مع قراها الثماني والعشرين في منطقة لاقي، ومدينة أدد مع قراها الأربع عشرة في منطقة قطني: المجموع ثلاثمئة وإحدى وثلاثون مدينة مع رعاياها، التي أسسها نيرجال إريش وبناها باسم سيده. من يتجرأ على شطب أحد الأسماء المذكورة أعلاه، فلتحطمه الآلهة**"[1].

يتضح لدينا من دراسة نصوص هذا النصب القوة التي كان يمتلكها هذا الحاكم، والنفوذ الذي وصل إليه من خلال بسط سيطرته على العديد من المدن، وقد نهج هذا القائد نهج الملوك عندما لعن كل من يحاول الاقتراب من هذا النصب الذي أقامه وخلد أعماله عليه. ويتضح أيضاً من نصب نينوى[2] الذي تركه لنا نيرجال إيريش اتساع صلاحياته، وازدياد مكانته الأمر الذي دفع الملك أدد نيراري الثالث إلى منحه مناطق جديدة، وإعفائه من دفع الضرائب عنها.

ولعل من أبرز الشخصيات التي ظهرت في العصر الآشوري الحديث على الإطلاق شخصية شمشي إلو Šamši-ilu الذي لعب دوراً مهماً في وصول الملك تيكلات بيليصر الثالث إلى الحكم، وقد وصفت النصوص الرافدية القديمة شمشي إلو بالملك

([1]) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص٢١٩.

([2]) المرجع نفسه، ص٢٢٠.

الآشوري غير المتوج، وغير الشرعي، الذي قاد الدولة الآشورية، وشغل منصب قائد الجيش (التورتان) في عهد ثلة من ملوك آشور الضعفاء الذين خلفوا الملك أدد نيراري الثالث، وقد افتخر هذا القائد بالانتصارات التي حققها على الأورارتيين، وذكر اسمه دون ذكر اسم الملك[1]، وهذا يدل على ضعف النظام الملكي من جهة، والقوة التي وصل إليها هذا القائد من جهة أخرى، وقد شغل شمشي إلو العديد من المناصب منها منصب حاكم مقاطعة حران، ووصل إلى درجة كبيرة من القوة والسلطة في وقت عانت فيه الدولة الآشورية من فوضى ضعف الحكام، وإليه يعود الفضل في عدم غرق بلاد آشور في فوضى داخلية، لكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم يستغل شمشي إلو الأوضاع لينقلب على الحكم ويستولي على السلطة علماً أنه كان الشخصية الأكثر قوة في الدولة الآشورية آنذاك، وقد فاقت سلطته سلطة الملوك لدرجة أنه ذكر اسمه والانتصارات التي حققها على النصب دون ذكر اسم الملك الذي عاصره كما أسلفنا سابقا؟ الحقيقة أننا لا نجد إجابة واضحة لهذا السؤال في المصادر القديمة سوى ما كتبه الباحث الإيطالي جيوفاني بيتيناتو من أن السبب الذي منعه من الانقلاب على الحكم هو ارتباطه بقسم الوفاء تجاه البيت الملكي الحاكم، وعدم رغبته في خيانة الثقة التي منحته إياها الملكة سميراميس[2]، يبدو أن شمشي إلو اكتفى بتخليد انتصاراته، وذكر اسمه على النُصب، وتمكن من صيانة الدولة الأشورية والمحافظة عليها لفترة من الزمن، وقضى على العديد من التمردات التي هددت كيانها ولاسيما الخطر الذي شكله الأورارتيون في تلك الفترة، وقد شجع ضعف الحكومة المركزية ومكانة الملك وسلطته حكام المقاطعات التابعة للدولة الآشورية على التفكير بالاستقلال، ومن عادة حكام المقاطعات أن يظهروا الولاء للملك مادام قوياً، فصحيح أن شمشي إلو لم يستقل عن الدولة الآشورية عندما كان حاكماً على العديد من المقاطعات التابعة لهذه الدولة، إلا أنه سيطر على الساحة السياسية لمدة ستين عاماً، واتخذ العديد من القرارات التي يعود إليها الفضل في عدم غرق بلاد آشور بالفوضى، ويبين النص الآتي أهم المناصب

---

(1) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الرافدين، ص٤١١.

(2) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص٢٢٩.

التي تسلمها، والمعارك التي خاضها، والانتصارات التي حققها شمشي إلو:

" **شمشي إلو، نائب القائد العام للجيش، المنادي الكبير، مدير المعابد، قائد جيوش كثيرة، ذلك الذي يحكم بلاد خاتي، وغوتي وكامل نمر، فاتح الجبال الغربية، مدمر مناطقها، ذلك الذي أخضع بلاد موشكي وأورارتو، الذي هجّر شعوبها، الذي هاجم بلاد إتؤ وروبو وخدالو ولبدودو، ودمرها**"[١].

لقد أدى ضعف الحكومة المركزية، والتراخي في مراقبة الموظفين، وحكام المقاطعات، وكبار القادة الذين أصبحوا يدونون أعمالهم وانتصاراتهم على نصب خاصة بهم دون ذكر أسماء الملوك إلى فوضى نتج عنها تمرد حاكم كلخو[٢]تيكلات بيليصر الثالث Tiglat pileser III ووصوله للحكم، وتمكن من تشكيل سلالة حاكمة حكمت آشور حقبة من الزمن.

من خلال ما سبق نستنتج أن شخصية الملوك الذين حكموا، بالإضافة إلى طول حكم هؤلاء الموظفين (حكام المقاطعات)، قد شجع الحكام الطامعين على الاستقلال بمناطقهم، واتخاذ القرارات دون الرجوع إلى الملك، والقيام بالعديد من الأعمال كإقامة النصب، وتدوين أسمائهم وانتصاراتهم دون ذكر الملك، وهذه سابقة جديدة لم نرها في عصر قوة الدولة الأشورية الحديثة.

ث- حكام المقاطعات تعيينهم وواجباتهم:

امتدت الإمبراطورية الآشورية في عصرها الحديث على مساحات واسعة، وقد قُسمت إلى مقاطعات تدين بالولاء للحكومة المركزية في العاصمة، في حين يحكم المقاطعة حاكم يحمل اسم شاكن ماتي [٣]Šakin mati الذي غالباً ما يكون من الطبقات الغنية، وذا خبرة عسكرية، فكثيراً ما كان يقود الحملات العسكرية باسم الملك، وتقع علي عاتقه العديد من المهام الدينية والمدنية والعسكرية والمالية، فحاكم المقاطعة مسؤول عن حفظ الأمن والنظام في المقاطعة، والطرق المؤدية منها وإليها، وإرسال تقارير دائمة عن الحالة الأمنية للمقاطعة، وهذا ما تؤكده إحدى الرسائل المرسلة من مقاطعة حماة إلى

---

(١) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص٢٣٠.

(٢) Frame.G, Op.Cit, p133.

(٣) CAD, Š, Part I, Vol 17, p 160.

الملك شاروكين الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) وتنص على الآتي:

" **إلى مولاي الملك، خادمك أدد خاتي، الصحة لمولاي الملك، حراستي بأفضل حال، كل مقاطعة حماة بخير، بمقدور مولاي أن يكون سعيداً، الجميع بأمان**"(١).

وكثيراً ما كان حاكم المقاطعة يُطلع الملك على التحصينات العسكرية داخل المقاطعة، وعلى تخومها، فهناك رسالة من حاكم سوخي وخندانو إلى الملك الآشوري تطلعه على أحوال المدينتين العسكرية كما يورد ذلك النص الآتي:

" **بمغادرة الملك، وفي الثالث من شهر أيار دخلت مدينة خندانو، خندانو وسوخي بخير، قلاع مولاي الملك وحصونه بخير، فليسعد مولاي الملك**"(٢).

والجدير بالذكر أن الملك الآشوري قد عيّن موظفاً كبيراً مسؤولاً عن مراقبة عمل حكام المقاطعات التابعة للإمبراطورية، وهذا الموظف يقيم في العاصمة، وهو بمنزلة وزير مسؤول عن شؤون المقاطعات، حيث يقوم بدراسة التقارير القادمة من المقاطعات، ليقدم صورة كاملة عن الوضع في البلاد إلى الملك(٣).

كذلك وقع على عاتق حاكم المقاطعة تقديم المؤن من غذاء وملابس للجيش الآشوري خلال مروره بالمناطق التابعة لمقاطعته، وتأمين الأعلاف للخيل، وحماية مخازن الغذاء من اعتداءات اللصوص، وهذا ما تشير إليه رسالة تعود إلى عصر الملك شاروكين الثاني، حيث يشتكي أحد الموظفين المسؤولين عن مخازن الحبوب من قيام أحد الأشخاص بأخذ كمية من المؤن أكبر ما هو مخصص له، وهذا ما يشير إليه النص الآتي:

" **أمرني الملك أن أعطي الخبز لجنود العربات الآن، عندما جاء أخبرته... لكنه قال أن الملك أعطاني أوامر، وسآخذ مستحقات شهرين من المؤن، لم أقبل إعطاءه إياها، لذلك ذهب وفتح مخازن الخيول في إحدى القرى وأحضر المكاييل، وأخذ يتحدث عن مستحقات الرجال من الذرة، احتججت قائلاً: لماذا فتحت مخازن الملك**

---

(١)Parpola.S, The Correspondence of Sargon II; Letter from Assyria and The West, Part1, SAA, vol: 1, Halsinki University, 1987, No: 174.

(٢) Ibid, No: 208.

(٣) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص١٤٦.

دون إذن نائب الحاكم، فلم ينظر في عيني، وقال زادي من الحشائش والأعشاب، مازالت العيون تأتيني، لا استطيع تدبير أمرها.... اقتطع نصف العلف من أجل الخيول"[١].

يتضح من هذ النص الرقابة الشديدة التي قام بها حاكم المقاطعة لحماية مخصصات الجنود من جهة، وإرسال أدق التفاصيل عن مقاطعته من جهة أخرى، وهذا يدل على قوة الحكومة المركزية واطلاعها على أدق التفاصيل داخل المقاطعات التابعة لها.

وكان حاكم المقاطعة مسؤولاً عن المدن والقرى الصغيرة التابعة للمقاطعة، ومسؤولاً عن إدارة شؤونها، وجمع ما يترتب عليها من ضرائب، وإرسالها إلى العاصمة[٢]، وكذلك قدم حاكم المقاطعة الخبراء والحرفيين والعمال للمشاركة في بناء المدن، وهذا ما ينطبق على بناء مدينة دور شاروكين، فقد أشارت إحدى الرسائل التي تعود إلى عهد الملك شاروكين الثاني إلى العمال والحرفيين الذين أوفدتهم المقاطعات من أجل بناء هذه المدينة:

" **إلى مولاي الملك-خادمك زر أبني، الصحة لمولاي الملك، بالنسبة لحفاري الأحجار الذين كتب عنهم الملك، لقد أرسلت للتو خمسة منهم**"[٣].

وقد عُين حاكم المقاطعة من قبل الملك مباشرةً، وكان الملك عندما يقوم بتعيين حاكم المقاطعة يأخذ بعين الاعتبار ولاء هذا الحاكم للدولة والملك، وقد اتخذ الملوك الآشوريون العديد من الخطوات في سبيل ضمان هذا الولاء، وعدم الخروج عن طاعة الملك، فكان على هذا الحاكم أن يؤدي قسم الولاء أمام الآلهة العظام، وقد عد الآشوريون الخروج عن طاعة الملك ومخالفة أوامره جريمة ليست تستهدف الملك الأشوري فحسب، وإنما تستهدف الآلهة التي يجري أمامها أداء هذا القسم، لذلك كانت عقوبة الحاكم المتمرد الموت، وكثيراً ما كانت تقوم الآلهة بإجراءات تأديبية ضد الحكام المتمردين، مثل جلب الكوارث الطبيعية كالأمراض والطاعون والمجاعة التي تظهر

---

(١) Parpola,S, The Correspondence of Sargon II, No, 181-182.

(٢) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص ٩٣-٩٤.

(٣) Parpola.S, Ibid, No, 206.

غضب الآلهة بحسب ادعاءات الملوك[١]، وكثيراً ما قام الملوك بتقليص صلاحيات الحكام، وتعيين مشرفين آشوريين يراقبون تصرفاتهم، ويرسلون تقارير إلى العاصمة عن أحوال المناطق وحكامها ونشاطها، ففي سورية حرص الملوك الآشوريون على تعيين حاكم موالي لهم، ولدينا مثال على ذلك مملكة بيت عديني الآرامية التي ألحقت في عهد الملك تيكلات بيليصر الثالث بالدولة الآشورية، وأصبحت مقاطعة تابعة لها، وتم تعيين شمشي إلو حاكماً عليها خلال النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد[٢]، وكان الملك عند تعيين حاكم المقاطعة يأخذ بعين الاعتبار موقع المقاطعة وأهميتها، وكثيراً ما كان الملك عند ضمه مقاطعات جديدة، يبقي الحكام المحليين على مقاطعاتهم مع اعترافهم بالتبعية للسيادة الآشورية، وقد سعى الملك من وراء هذه السياسة إلى المحافظة على النظام والأمن في تلك المقاطعات عن طريق ضمان تبعية سكان المقاطعة المخلصين لحاكمهم، الذي هو بدوره يكون مخلصاً للملك، بالمقابل كان على الملك الآشوري أن يقف في وجه أي تمرد ضد هذا الحاكم، أو أي خطر يهدد مقاطعته، ولدينا مثال على ذلك من مملكة شمأل التي كان حاكمها تابعاً مخلصاً للملك الآشوري تيكلات بيليصر الثالث، حيث ساعده الملك على استعادة حكمه، وذلك حين واجه تمرداً كاد يودي به لولا تدخل الملك الآشوري[٣]، كذلك لدينا نص من هذه المملكة يدل على ولاء حكام المقاطعات في زمن الملك تيكلات بيليصر الثالث، ويبين هذا النص العلاقة الوثيقة بين هذا الملك من جهة وبين حكام المقاطعات في سورية من جهة أخرى وقد جاء في النص ما يأتي:

" لقد أمسك أبي بحاشية سيده ملك آشور العظيم، وعندئذ عاش وعاشت مملكته، لقد سار أبي إلى جانب دواليب عربة سيده تيكلات ملك آشور ورافقه في حملات امتدت من الشرق إلى الغرب، لقد مات والدي تحت قدمي سيده تيكلات بيليصر ملك آشور، وقد بكت عليه جميع معسكرات سيده، وقد أقام له سيده تمثالاً على حافة

---

(١) ساكز، هاري، عظمة بابل، ص٢٣٠-٢٣١.

(٢) حمود، محمود، الممالك الآرامية السورية، ص ٥٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٤.

الطريق، وحُمل أبي قادماً من دمشق، ونظراً لولائي وولاء والدي فقد عينني سيدي تيكلات بيليصر ملكاً"[1].

وقد كافأ الملوك الآشوريون حكام المقاطعات بإبقائهم في مناصبهم تقديراً لولائهم للملك، كان الملك حين يشعر بوجود نوايا استقلالية لدى الحاكم، يقوم بعزله أو قتله خصوصاً في المقاطعات التي يكون فيها لحاكم المقاطعة شعبية كبيرة، وكثيراً ما كانت ولاية الحاكم تنتهي بكبر سنه أو موته، وبذلك ترجع السلطة إلى الملك الذي من حقه تعيين حاكم جديد على المقاطعة[2]، والجدير بالذكر أن الإمبراطورية الآشورية كانت مقسمة في عهد الملك شلمنصر الثالث إلى ست وعشرين[3] مقاطعة موزعة على أرجاء الإمبراطورية.

وكان نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث يقوم على الملكية الاستبدادية التي مثلها الملك والطبقة الحاكمة التي ساعدته في حكم شؤون الإمبراطورية وإدارتها، ولم تطلعنا المصادر الآشورية على أي دور لعبته مجالس الشيوخ والمدن في حكم البلاد، ويبدو أن النظام المركزي، واستبدادية القرار، لم يسمحا لها بلعب أي دور، باستثناء حل بعض القضايا المحلية والخدمية، دون تدخلها في الميدان السياسي.

إذن تميز نظام الحكم باعتماده على المركزية الشديدة التي اتخذت من العاصمة مقراً لها، تصدر عنها الأوامر والتوجيهات لحكام المقاطعات الذين دانوا بالولاء للملك، ونفذوا قراراته وأوامره، فكان الملك يتخذ القرارات المهمة، ويطلع على القضايا كافة، وخصوصاً أنه كان يمثل الإله آشور على الأرض، ويحكم باسمه، وأهم ما يميز نظام الحكم في هذه الفترة ظهور قضية ولاية العهد التي فرضت نفسها على الواقع السياسي الآشوري، فإذا ما توفي الملك فإن مرحلة من القلاقل والصدمات تسود بين أمراء الأسرة الحاكمة، وكثيراً ما تطورت إلى حروب بين الأخوة، كما حصل بين أسر حدون وأخوته، وآشور باني أبلي وأخيه شماش شوم أوكين، فبالرغم من العهود والمواثيق التي أخذت على

([1]) هاري، ساغز، عظمة أشور، ص١١٨.

(2)Sasson.J.M, Civilization of The ancient Near East, NewYork, 2003, p419.

([3]) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص ١٤٥.

الأخوة لضمان انتقال إلى الحكم، فإنها لم تفلح في حل هذه القضية، بل أدت إلى حروب بين أفراد الأسرة الحاكمة نفسها، وكان ذلك سبباً من أسباب سقوط الإمبراطورية الآشورية فيما بعد.

٢- المعارضة وأشكالها في العصر الآشوري الحديث:

تمثلت المعارضة في العصر الآشوري الحديث بالصراع حول العرش بين أفراد الأسرة الحاكمة من جهة، وبين كبار القادة والموظفين الذين سعوا للاستقلال بمناطق حكمهم، ورفض التبعية للملك الآشوري من جهة أخرى، وقد سعى الملوك في هذا العصر إلى قمع أية حركة تستهدف نظام حكمهم، ومارسوا سياسة استبدادية تمثلت بالقتل والتهجير لكل من يعارض حكمهم أو يتمرد عليه، وقد خلقت مشكلة ولاية العهد، واختيار الملوك لأحد الأبناء عداءً بين الأخوة تطور في كثير من الأحيان إلى حرب أهلية، الأمر الذي أدى إلى إضعاف الدولة الأشورية في تلك الفترة، ولعل من أهم التمردات التي شهدتها الدولة الآشورية في عصرها الحديث:

أ- تمرد آشور دان أبلي Aššur-dan-apli:

شهدت السنوات الأخيرة من حكم الملك شلمنصر الثالث قيام تمرد ضده، حيث أعلن ابنه آشور دان أبلي الثورة ضده، وقد أيدته في ذلك سبع وعشرين مدينة منها آشور ونينوى عاصمتا الإمبراطورية، ويبدو أن من أهم الأسباب التي دفعت آشور دان أبلي للثورة على أبيه تنحيته عن ولاية العهد، وتعيين شمشي أدد الخامس ولياً للعهد[١]، بالإضافة إلى عدم الاعتماد عليه، وتقليد القائد آشور ديان العديد من المناصب كمنصب التورتان كما يبين النص الآتي:

" **في العام السابع والعشرين من حكمي استعرضت أنا عرباتي الحربية وقواتي، ووضعت ديان آشور، التورتانو، قائد قواتي الكثيرة، على رأس قواتي ضد بلاد أورارتو**"[٢].

وهناك نص أخر يدل على المكانة الكبيرة التي تمتع بها القائد ديان آشور، والثقة

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص٤٠٥.

(٢) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص ١٠٧.

الكبيرة التي منحها إياها الملك شلمنصر الثالث، والتي تمثلت بالمهام التي أوكلت إليه كما يبين النص الآتي:

" **في العام الثامن والعشرين من حكمي، عندما أقمت في كلخو، وصلني النبأ أن سكان بلاد باتينا قتلوا لوبارنا سيدهم، ونصبوا صوري المدير غير الشرعي ملكاً، عهدت إلى ديان آشور، التورتانو، قائد قواتي الكثيرة، بقيادة قواتي وأرسلته إلى هناك. وفي السنة الحادية والثلاثين من حكمي وجهت للمرة الثانية إلى آشور وأدد، في ذلك الوقت كنت أقيم في كلخو، عهدت إلى ديان آشور، التورتانو، قائد قواتي الكثيرة، بقيادة قواتي، ووضعته على رأسها**"[١]

يبدو أن استمرار الملك شلمنصر الثالث في الاعتماد على هذا القائد في قيادة الحملات العسكرية ولا سيما الحملات التي وجهت ضد الأورارتيين من جهة وتكليفه بالقضاء على التمردات التي شهدتها بعض المناطق التابعة للآشوريين من جهة أخرى جعله يرى نفسه غير موثوقاً به من قبل أبيه ومستبعداً من خلافته على العرش الآشوري، ولاسيما بعد تنحيته عن ولاية العهد لصالح أخيه الأصغر شمشي أدد الخامس، فعز عليه ذلك وأعلن الثورة، وقد انضمت إليه العديد من المدن الآشورية، وما يثير النقاش هو انضمام مدينتي آشور ونينوى إلى التمرد، وهناك عدة أسباب ساهمت في ذلك، منها غضب سكان آشور من سوء المعاملة التي عوملت بها مدينتهم بالمقارنة مع مدينة كلخو التي اتخذها الملك شلمنصر الثالث مقراً وعاصمة له، حيث أعفيت مدينة آشور في عهد من سبقه من الضرائب، والأعمال الإجبارية، وهذا ما لم يفعله الملك شلمنصر الثالث مع سكان مدينة آشور، بل عامل مدينة آشور معاملة المدن الأخرى الأمر الذي أثار سكانها، فوقفوا إلى جانب ابن الملك المتمرد، خاصة بعد أن ظهر بوضوح اهتمام الملك بمدينة كلخو على حساب مدينتهم آشور[٢]، كذلك الأمر بالنسبة لمدينة نينوى التي احتلت المركز الثاني بعد آشور من حيث الأهمية، وقد تكون السياسة التي اتبعها الملك شلمنصر الثالث اتجاه مدينة بابل والتي بلغت أوجها بعد زواج الأميرة

---

(١) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق، ص١٧٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٢٦.

سميراميس من ابنه وولي العهد الآشوري شمشي أدد الخامس، فزواجه من أميرة أجنبية قوبل باستياء سكان الإمبراطورية، وما زاد الأمر سوءاً تحالف شمشي أدد الخامس مع بابل في القضاء على هذا التمرد[1].

لقد كلف الملك شلمنصر الثالث ابنه وولي عهده شمشي أدد الخامس بمهمة القضاء على هذا التمرد، وحارب الملك إلى جانب ابنه ثلاث سنوات، لكن ما لبث أن توفي في العام ٨٢٤ ق.م، ووقعت المسؤولية كاملة على الملك شمشي أدد الخامس الذي تحالف مع مردوك زاكير شومي الذي يدين بالولاء للملك شلمنصر الثالث بعد أن أرسل الأخير حملة للقضاء على التمرد الذي قام في بابل، وتزعمه أخ الملك المدعو مردوك بيل أوشاتي، وتمكن من ضم نصف المملكة إلا أن تدخل الملك شلمنصر الثالث في تلك الفترة حيث قاد حملة وتمكن من القضاء على التمرد، وإعادة بابل إلى عهدة الملك مردوك زاكير شومي، وهذا ما تشير إليه حوليات الملك شلمنصر الثالث كما يشير النص الآتي:

"**في العام التاسع من حكمي، وبمناسبة حملتي الثانية، فتحت مدينة جنناتي Gananate وذبحت بأسلحتي مردوك بيل أوشاتي مع كل المتمردين، وتوجهت نحو بابل، وقدمت هدايا لبابل وبورسيبا وكوتا، دخلت إلى بلاد الكلدانيين، وفتحت مدنهم، ووصلت إلى البحر الذي يحمل اسم البحر المر**"[2]

يتضح من هذا النص أن للملك شلمنصر الثالث الفضل في عودة الاستقرار إلى بابل، وتثبيت حكم مردوك زاكير شومي فيها، الأمر الذي دفع الأخير إلى تقديم المساعدة لولي العهد الآشوري شمشي أدد الخامس الذي تمكن من محاصرة آشور مركز التمرد وبقية المقاطعات الأخرى المتمردة، وتمكن من القضاء على المتمردين كما يبين النص الآتي:

---

(١) جيوفاني، بيتيناتو، المرجع السابق ١٧٢-١٧٣.

(٢) Grayson.A.K, Assyrian Rulers of the Early Frist Millennium BC II, (858-745 BC), Vol:3, p37.

(1) *e-nu-ma aš-šur-KAL-in-A ina tar-si šùl-ma-nu-MAŠ*
AD-šu e – pu- ša lim ni- e- tisi- hu bar- tu- amat Hul –ti
Ú-šab-ši-ma kur uš-bal-kit-ma ik-su-ra
Ta-ha-zu. un.MEŠ kur aš-Šur eliš ú šap liš- it-ti-šu
Ú-šes-hir-maú- dan-ni nata-me –tu URU. Ú-šam-kir-ma
a-na e-pes **MURUB4** *ù ta-ha-zi iš-ku-na pa-ni-su*
URU *ni-na-a* **URU** *a-di-a* **URU** *ši-ba-ni-ba*
URU *im-gur-d* BAD **URU** *is-šab-ri*
URU *lu-ub-du* **URU** *arrap-ha* **URU4–dinger**
a-di **URU** *a-me-di* **URU**.**DLJ6–NA4**.**MEŠ**
URU *hi-in-da-nu* **PAP 27** *ma-ha-zi a-di hal- sa ni-šu- nu- ša-TA*
*šùl-rna-nu-S***AG LUGAL** *kib-rat 4-ti* AD *-ia Ik -ki-ru-ú-ni*
TA *aš-sur-KAL-A iš-šak-nu-ni ina qí-bit*
DINGIR.**MEŠ GAL**.**MEŠ EN**.**MEŠ/u**
a-na **GĪR**.**II**.**MEŠ–ÍA** *ú-šak-nis ina ger-ri-ia*
mah-re-e šá ana **KUR** *na- H-ri*

عندما آشور- دان- أبلي Aššur- da'in- apla في زمن شولمانو- أشاريد (شلمنصر الثالث) أبيه، عمل الخيانة (الغدر) بتحريضه على العصيان المسلح (الثورة) والأعمال الإجرامية، وبسبب تمرد البلاد والاستعداد للمعركة، في ذلك الوقت، كسب الشعب الآشوري في الأعلى والأسفل إلى جانبه، واستمعوا له، مسبباً ثورة في المدن لتشن المعارك والحروب، المدن نينوى، أديا، شيبانيبا، أمكور-إنليل، إشابر، بيت- شاشيريا، شيمو، شيبخنيش، تامنونا، كشبونا، كربائيل، تيدو، نابولو، كاخات- أشور،، اوراكو، سالات، خوزيرينا، دور أنبي، داريكا، زابان، لوبدو، رابخا ، أربيل، مع المدن أميدي، تل –أبني، خينداتو، جميعهم سبعٌ وعشرون مدينة مع حصونهم والتي ثارت ضد أبي شلمنصر الثالث، ملك العالم (الجهات الأربع) وانحازت إفى جانب أشور-دان- أبلي، بأمر أسيادي الآلهة العظيمة، أخضعتهم.

(1) Grayson. A.K., Assyrian rulers of the early first Millennium B.C, II, (858-745 B.C), vol 3, P183.

وقد نتج عن تمرد آشور دان أبلي إعلان بعض المقاطعات التابعة للإمبراطورية استقلالها، وتمردها على نظام الحكم، الأمر الذي دفع الملك شمشي أدد الخامس إلى قيادة حملات عسكرية تمكن من خلالها من إعادة هذه المقاطعات إلى حضن الإمبراطورية الآشورية، وهذا ما أشار إليه الملك شمشي أدد الخامس في حولياته، فقد ذكر أن بلاد نائيري (تقع بين المجري العلوي للفرات ودجلة) قد رفضت دفع ما يترتب عليها من الأتاوات للدولة الآشورية، فكان لابد من قيادة حملة لإعادة بسط السيادة الآشورية عليها كما يبين النص الآتي:

" **في حملتي الأولى حيث خرجت ضد نائيري، استلمت من جميع ملوك نائيري خيول جر كجزية، في ذلك الوقت استوليت على نائيري في أوسع حدودها، من ياديرا إلى بلاد نائيري، إلى كار شلمنصر المواجه لكركميش، ومن زادي على حدود أكاد إلى إنزي، ومن إريدو إلى بلاد سوخو، خضعت لقدمي، بأمر من آشور وشماش وأدد وعشتار، الآلهة المتحالفة معي**"[1].

هكذا تمكن الملك شمشي أدد الخامس من إعادة الاستقرار إلى ربوع الدولة الآشورية بعد أن قضى على التمرد الداخلي الذي تزعمه أخيه آشور دان أبلي، والتمردات الخارجية التي قامت في بلاد نائيري وعيلام، ويعد هذا التمرد الذي قاده آشور دان أبلي ضد حكم أبيه الملك شلمنصر الثالث نقطة تحول مهمة في تاريخ الدولة الآشورية في عصرها الحديث، إذ سوف يفتح الباب أمام المزيد من التمردات التي سوف يقودها أبناء أو أخوة الملوك والتي سعوا من خلالها للوصول للحكم ولاسيما بعد اقصائهم وحرمانهم من حقوقهم في الوصول للعرش، الأمر الذي سيؤدي إلى انشغال الملوك بالقضاء على هذه التمردات التي أضعفت الدولة الآشورية الحديثة، وكانت سبباً من أسباب سقوطها وتداعيها فيما بعد.

ب- الثورات والتمردات في عهد خلفاء الملك أدد نيراري الثالث:

بعد وفاة الملك أدد نيراري الثالث شهدت بلاد آشور فترة من الضعف، مما شجع العديد

---

(1) Grayson. A.K., Assyrian rulers of the early first Millennium B.C, II, (858-745 B.C), vol 3, p164-183.

من المقاطعات على اعلان استقلالها، والتوقف عن دفع الأتاوات للدولة الآشورية، والاعتراف بسيادتها، ويبدو أن وصول ملوك ضعفاء إلى السلطة قد أدى إلى قيام هذه الثورات التي عمت مدن آشور وأرابخا وجوزانا، وقد أجبرت هذه الثورات الملك آشور نيراري الخامس على مغادرة القصر الملكي بعد حدوث ثورة ضده في القصر الملكي بمدينة كلخو[١]، وقد أسفرت هذه الثورة عن مقتله، وتسلم الحكم حاكم المدينة تيكلات بيليصر الثالث. ولا نستبعد أن يكون تيكلات بيليصر الثالث[٢] مغتصباً للعرش، لأنه لا يمت بصلة إلى السلالة التي حكمت في أعقاب حكم الملك آشور نيراري الخامس، حيث استولى على العرش في أعقاب الثورة التي قامت في كلخو، ومن الممكن أن يكون هو من أشعل هذه الثورة ضد سلفه، وما يؤيد نظريتنا هذه السياسة الإصلاحية التي اتبعها الملك الجديد، وقيامه بإجراء تغييرات كبيرة في أجهزة الدولة، واستبدال كبار القادة والموظفين بأشخاص أيدوا وصوله إلى العرش، وقد حدت هذه الإصلاحات[٣] من سلطة حكام المقاطعات عن طريق تقليص صلاحياتهم، وزيادة عدد المقاطعات، وتعيين حكام لها من الخصيان الذين لا يخلفون خلفهم سلالات حاكمة قد تفكر بالانفصال عن الدولة، وهذه سياسة ناجحة ضمنت ولاء الموظفين وحكام المقاطعات للعرش الآشوري لفترة من الزمن.

كذلك تشير بعض المصادر إلى أن الملك شاروكين الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) الذي خلف الملك شلمنصر الخامس على العرش، لم يكن سليل أسرة مالكة، بدليل أنه ذم في أحد كتاباته سلفه الملك شلمنصر الخامس، وادعى أن الإله آشور هو من منحه صولجان الحكم كما يبين النص الآتي:

" **بينما لم يعرف سكان آشور سابقاً لا السخرة ولا الضرائب، فرض "شلمنصر" عليهم، حيث رفع يده بنية سيئة ضد المدينة، ضرائب ثقيلة وسخرة، وعاملهم كمن يتوجب عليهم دفع فوائد. لذلك وضع الإله آشور، نتيجة لضعف قلبه، نهاية قاسية لحكمه،**

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم، بلاد الرافدين، ص ٤١٣.

(2)Tadmor.H, The Inscription of Tiglath Pileser III King of Assyria, Gritical Edition, Second printing, 2007, p: 137-138.

(٣) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، المرجع نفسه ص ٤١٧.

وسماني أنا شاروكين، ملكاً على بلاد آشور، ووهبني الصولجان والعرش والتاج"[1].
من خلال هذا النص نلحظ أن الملك شاروكين الثاني أراد تسويغ وصوله للسلطة بدعم من الإله آشور، لذلك لا نستبعد أن يكون الملك الجديد قد وصل للحكم عن طريق تمرد أو ثورة ضد سلفه الملك شلمنصر الخامس وخاصة أنه لم يذكر في كتاباته أنه سليل أسرة ملكية على غرار الملوك الآشوريين السابقين.

ت- تمرد مردوك أبال إدينا وأولاده في بابل:

استغل زعيم قبيلة بيت ياكين الكلدي مردوك أبال إدينا انشغال الملك شاروكين الثاني بالقضاء على الاضطرابات التي قامت في الإمبراطورية الآشورية ومقاطعاتها، فدخل بابل وتوج نفسه ملكاً عام ٧٢١ق.م وقد شجعه على ذلك الملك العيلامي العدو التقليدي للآشوريين، الأمر الذي دفع الملك شاروكين الثاني إلى قيادة حملة بهدف القضاء على التمرد، أجبرت مردوك أبال إدينا على الهرب نحو الجنوب بعد أن أدرك عدم جدوى المقاومة، وقد دخل الملك الآشوري قصر مردوك أبال إدينا في بابل، واستولى على محتوياته النفيسة، وعين أحد أتباعه حاكماً على بابل[2].

بعد وفاة الملك شاروكين الثاني استغل مردوك أبال إدينا الوضع، وتمكن من توحيد القبائل الكلدية ومدن الجنوب الرافدي كما يوضح النص الآتي:

" **ضم مردوك أبال إدينا مدن أور... إريدو...بيت أموكاني، بيت شعالي، بيت سيلاني، بيت داكوري، وجميع الكلديين وبكامل عددهم الذين يسكنون عند شاطئ (البحر المالح) والآراميين ومدن نيبور... بورسيبا، بلاد بابل برمتها، ضم كل هؤلاء ثم جهز الكل للقتال**"[3].

ويشير الملك سنحريب في حولياته إلى استعانة مردوك أبال إدينا من جديد بالملك العيلامي كما يوضح النص الآتي:

"**في بداية حكمي عندما اعتليت العرش بإجلال، وحكمت سكان بلاد آشور برحمة وعفو، استمال مردوك أبال إدينا ملك بابل المحرض على الثورة، .... والتمرد، منفذ**

---

(1) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم، بلاد الرافدين، ص٤٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٢٥.

(٣) Lukenbill.D.D, The Annals of Sannacherib, Chicago, 1924, p: 49.

الاعمال الشريرة ذا المعصية الكبيرة استمال شوتروك ناخونتي العيلامي إلى جانبه ومنحه ذهباً وفضة واحجاراً كريمة و(هكذا) ضمه حليفاً...."[١].

يبدو أن الملك العيلامي استجاب لطلب مردوك أبال إدينا وأرسل له دعماً عسكرياً قوامه عشرة قادة فرق وثمانون ألف رامي سهم وخيالة تحت إمرة نيرجال ناصير الذي قاد القوات، ووصل على رأسها إلى بابل[٢].

جرد الملك سنحريب حملة للقضاء على الملك المتمرد، وتحرك الجيش الآشوري لضرب المتحالفين، وتمكن من السيطرة على بابل، أما مردوك أبال إدينا فقد هرب مرة ثانية إلى الجنوب (بلاد كوزومانو*)، واختفى في المستنقعات، فلاحقه الملك سنحريب، كما يوضح النص الآتي:

" **أنا تعقبته إلى بلاد كوزومانو، حيث اتخذ من المستنقعات مأوى له، وبحثت عنه خمسة أيام متتالية، ولكن لم يتم العثور عليه**"[٣]

ويفتخر الملك سنحريب باستيلائه على خزائن قصر مردوك أبال إدينا في بابل كما يوضح النص الآتي:

" **دخلت إلى قصر مردوك أبال إدينا، وأخذت كل ثرواته وممتلكاته، أنا فتحت خزينته، وأخذت محتوياتها من الذهب والفضة وأوان ذهبية وفضية، وأحجار كريمة من كل الأنواع، وبضائع وممتلكات لا حصر لها، وحريمه ورجال حاشيته ومنشدون ذكوراً وإناثاً، وجميع حرفيه ورجال قصره أخذتهم كأتاوات**"[٤].

وقبل مغادرته بابل قام الملك الآشوري سنحريب بتعيين بيل إبني Bel ibni على عرش

---

(1)Grayson.A.K, Novotny.J, The royal inscription of Sennacherib King of Assyria (704-681B.C), p:32.

(2) Ibid, p32.

كوزومانو: موقع غير معروف من المحتمل أن يكون في جنوب بابل حيث الأنهار والمستنقعات.

(٣) Ibid, p34.

(٤) Ibid, p34.

بابل[1]، وقد أدى انشغال الملك الآشوري سنحريب بالقضاء على التمردات التي نشبت في سورية إلى ظهور مردوك أبال إدينا من جديد في الجنوب البابلي والذي ما لبث أن تحالف مع حاكم مملكة يهودا الذي حرضه للانقلاب من جديد على الملك الآشوري وإعلان الثورة على الملك سنحريب مستغلاً قيام الأخير بمحاصرة أوروشليم* (القدس) في محاولة منه لتخفيف الضغط الآشوري عن المملكة المحاصرة بفتح جبهة ثانية ضدهم في بابل مستغلاً انشغال الجيش الآشوري في الغرب، ليعلن انفصاله، الأمر الذي دفع الملك الآشوري إلى قيادة حملة ضده عام ٧٠٠ق.م وأجبره مرة أخرى على الاختفاء في مستنقعات الجنوب البابلي، ووقع في الأسر الآشوري أخوته وأمراء من بيت ياكين بعد أن اتجهت هذه الحملة نحو هذه المملكة كما يورد النص الآتي:

"**في حملتي العسكرية الرابعة، منحني آشور سيدي الشجاعة ثم حشدت جيوشي واعطيت الأمر بالتقدم نحو بيت ياكين في اثناء حملتي اتممت الاطاحة بـ شوزوب الكلدي الذي سكن وسط المستنقعات في مدينة بيتوتو خاف من رعب معركتي وفر لينجو بحياته ولم يعد يرى بعد ذلك ثم اتخذت طريقي الى بيت-ياكين**"[2]

وبعد أن وصلت القوات الآشورية إلى بيت ياكين أخر معاقل زعيم الكلدبين، هرب مردوك أبلي إدينا إلى ناكيتي-راكّي** Nagite-raqqi ، حيث استولى الملك سنحريب على العديد من الغنائم ودمر العديد من المدن التابعة له[3].

بعد ذلك قام الملك سنحريب بتنصيب ابنه الأكبر وولي عهده آشور نادين شومي[4] ملكاً على بابل، قاصداً من ذلك ضمان الاستقرار فيها، وتدريب خليفته على ممارسة السلطة.

---

(1) Grayson.A.K, Novotny.J, The royal inscription of Sennacherib King of Assyria (704-681B.C): p36.

*أوروشليم Urushalem : تسمية كنعانية قديمة لمدينة القدس، وتعني مدينة السلام.

(2) Ibid, p: 177.

**مدينة غير معروفة أشارت إليها حوليات الملك سنحريب على أنها تقع وسط البحر.

(٣) Ibid, p:177.

(٤) Lukenbill.D.D, The Annals of Sannacherib. p: 35.

إلا أن هذه الإجراءات لم تؤدِ إلى استقرار الوضع في بابل، فقد ثارت بابل من جديد بزعامة زعيم كلدي آخر، وتم قتل حاكمها الآشوري آشور نادين شومي بن الملك سنحريب الذي حكمها لمدة ست سنوات، وقد تلقى الثائر الكلدي دعماً من عيلام، وقام الملك العيلامي بتعيين نركال اوشيزب [1] Nergal-ushezib ملكاً على بابل. وهذا يدل على محاولة عيلام تقويض الاستقرار في آشور عند طريق دعم التمردات في بابل ضد السيادة الآشورية فيها، وهذا يعكس الصراع القائم بين الآشوريين والعيلامين في تلك الفترة، واعتماد ملوك عيلام على البابليين في محاولة اضعاف الدولة الآشورية.

وقد دفعت الأحداث التي حصلت في بابل الملك الآشوري سنحريب إلى إرسال حملة اصطدمت مع البابليين والعيلاميين في منطقة بالقرب من نهر ديالى، حيث تمكنت القوات الآشورية من أسر مئة وخمسين ألفاً من العيلاميين والبابليين، ومن بينهم نابو شوم إشكون بن مردوك أبال إدينا كما يشير النص الآتي:

" **اصطدم سيدي مع الأعداء في سهل خالو، قاتلناهم، أسرنا منهم مئة وخمسين ألفاً، أخذنا منهم مركباتهم وأسلحتهم وخيولهم الملكية، نبلاءهم كـ نابو شوم إشكون الذي جلس في العربة الفضية المزخرفة بالذهب التي أسرناها**"[2].

يبدو أن الملك سنحريب لم يغفر للبابليين قتل ابنه وولي عهده من جهة والمتاعب التي سببها له الجنوب من جهة أخرى، فدخلت قواته بابل ودمر المدينة، وأسر تماثيل الآلهة ونقلها إلى آشور، وأحرق ما يمكن حرقه، ثم أغرقها ورمى أنقاضها في قناة راختو[3].

بعد ذلك غادر الملك سنحريب بلاد بابل بعد أن لقب نفسه بملك سومر وأكاد، وتوقفت الاضطرابات فيها لمدة ثماني سنوات[4]، لكنها ما لبثت أن ثارت من جديد بعد مقتل الملك سنحريب، الذي من الممكن أن يكون مقتله قد جاء انتقاماً من سياسته الوحشية التي اتبعها في بابل، وخصوصاً أن لهذه المدينة أهمية دينية في نظر سكان بلاد الرافدين القدماء، ففيها معبد الإله مردوك أهم الآلهة المشهورة في بلاد الرافدين، فقد

---

(1) Lukenbill.D.D, The Annals of Sannacherib, p: 159.

(2) Ibid, p: 88-89.

(3) Ibid, p84.

(4) هاري، ساكز، عظمة بابل، ص١٢٣.

استغل أحد أبناء مردوك أبال إدينا انتشار الفوضى بعد مقتل الملك سنحريب، ونصب نفسه ملكاً على بابل، في هذه الفترة تولى أسر حدون عرش آشور، وبعد أن تمكن من القضاء على الاضطرابات التي نشأت في آشور، قاد حملة إلى بابل، واستولى عليها، وأصلح ما خربه والده سنحريب، هادفاً من وراء ذلك كسب تأييد سكانها الناقمين على أعمال أبيه بحق المدينة[1]، ويبدو أن أسر حدون أدرك عدم جدوى الحرب مع بابل في كسب ولائها، وأهمية اللغة الدبلوماسية والسياسة في إخضاع سكان هذه المدينة المقدسة للسياسة الآشورية، بعد ذلك قام الملك أسر حدون بتعيين ابنه شماش شوم أوكين ملكاً على بابل، وأطلق سراح البابليين وجندوهم في الجيش الآشوري، وتشجيعهم على ترميم مساكنهم، وممارسة الأعمال الزراعية[2].

هكذا تم القضاء على التمردات التي تزعمها مردوك أبال إدينا وابناؤه، وشغلت الدولة الأشورية بها، وأرسلت العديد من الحملات من أجل القضاء عليها، خاصة بعد أن تمكن البابليون من زعزعة استقرار آشور، وأودوا بحياة أحد أبناء الملك سنحريب، وقد أدركت الدولة الآشورية خطر المتمردين بعد أن قدم العيلاميون الأعداء التقليديون للآشوريين الدعم لهم. فكان لابد من إخضاع المدينة المقدسة، والمحافظة على ولائها، حيث شكلت السيطرة عليها سبيلاً إلى المحافظة على وحدة الإمبراطورية وقوتها.

ث- تمرد شماش شوم أوكين:

يعد تمرد شماش شوم أوكين من أخطر التمردات التي تعرض لها نظام الحكم الآشوري في العصر الآشوري الحديث، فبالرغم من أن الملك آشور باني بال تمكن من سحق هذه التمرد، إلا أنها كانت مؤشراً لبداية انهيار الدولة الآشورية الحديثة، ودورها في الشرق القديم.

وكان هناك العديد من الأسباب التي شجعت شماش شوم أوكين على القيام بتمرده، والخروج على حكم أخيه، وعدم الاعتراف بسيادته، ولم تنفع الإجراءات التي اتخذها الملك أسر حدون لتنظيم ولاية العهد خوفاً من قيام حرب أهلية بين الأخوة على غرار

---

(1) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص٤٣٧.

(2)Grayson.A.K, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704-681BC), The Cambridge History, vol:III, Cambridge, p135.

ما حصل بينه وبين أخوته، فبالرغم من العهود والمواثيق التي قطعها على كبار رجالات الدولة والموظفين وقادة الجيش لضمان انتقال العرش إلى ابنه آشور باني أبلي، وعرش بابل إلى ابنه شماش شوم اوكين إلا أن هناك جملة من الأسباب دفعت الأخير إلى التمرد على اخيه أهمها:

١- شعور شماش شوم أوكين بعدم عدالة توزيع المناصب بينه وبين أخيه الأصغر آشور باني بال، وهذا ما نصت عليه وثيقة ولاية العهد التي تحدثنا عنها سابقاً. فمن الممكن أن يكون ملك بابل المتمرد قد رأى نفسه الأحق بالعرش الآشوري، خاصة أنه الأكبر سناً، وأن أباه قد ظلمه وصادر حقه.

٢- تحريض بعض الممالك والقبائل المجاورة لبابل شماش شوم اوكين على التمرد على أخيه، ولا سيما الملك العيلامي الذي وجد الفرصة سانحة لأضعاف الحكم الآشوري عن طريق إشعال نار الفتنة بين الأخوة، والوقوف إلى جانب ملك بابل، وقد تجلى ذلك من خلال إرسال عيلام قوة عسكرية إلى بابل لمساندة ملكها، لكن الآشوريين تمكنوا من التعرض لهذه القوة، التغلب عليها[١].

٣- تدخل آشور باني أبلي في شؤون بابل عن طريق بعض الموظفين الذين عينهم فيها، وتشير المراسلات إلى أن الموظفين الآشوريين والموظفين الأخرين في المدينة، قد رفضوا التقيد بكل أمر من الأوامر لا يصدر عن العاصمة الآشورية مقر الملك آشور باني أبلي، وتبين رسالة مرسلة من شماش شوم أوكين إلى أخيه أشور باني أبلي بأنه مُجبراً على تنفيذ أوامر أخيه، والتقيد بالتعليمات والأوامر الصادرة عن آشور[٢].

٤-تحريض سكان بابل وكهنتها الملك شماش شوم أوكين على الاستقلال عن التاج الآشوري، مستندين في ذلك إلى أن بابل تستحق المكانة نفسها التي تمتعت بها العاصمة الآشورية نينوى.

كل هذه الأسباب دفعت الملك البابلي شماش شوم أوكين إلى الاستقلال عن التاج

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص ٤٤٧.

(٢) هاري، ساكز، عظمة بابل، ص ١٣١.

الآشوري، ورفض الولاء للدولة الآشورية، وقد حاول الملك الأشوري آشور باني أبلي حل الخلاف مع أخيه بالطرق السلمية حرصاً منه على وحدة الإمبراطورية، ولكن فشل المساعي الدبلوماسية دفعت الملك الآشوري إلى استخدام الخيار العسكري، فقاد حملة إلى بابل، وتعرضت المدينة لحصار قاسٍ، وحوصر الملك شماش شوم أوكين في قصره، واضطر في النهاية إلى الاستسلام، ومات منتحراً بعد أن ألقى نفسه في النار التي أشعلها آخر المدافعين عن بابل(١)، وتم سحق هذه التمرد، والقضاء عليها.

٣- نظام الحكم في العصر البابلي الحديث (الكلدي):

لقد أدى ضعف الدولة الآشورية في عصرها الحديث إلى استقلال الحكام بمقاطعاتهم، وقد استغلت مملكة بابل الفرصة لإعلان الثورة ضد نظام الحكم الآشوري، وحقق حاكمها نابو- بولاصر الاستقلال عن التبعية للدولة الآشورية، وأعلن عن تأسيس الدولة الكلدية بعد القضاء على الحامية الآشورية الموجودة في المدينة، وبسط سيطرته الكاملة عليها كما يوضح النص الآتي:

" **في شهر أيار، نزل جيش آشور إلى أكاد، في اليوم الثاني عشر من شهر تشرين، عندما زحف جيش آشور ضد بابل، خرج البابليون خارج بابل واشتبكوا مع الآشوريين، وألحق نابو-بولاصر هزيمة كبيرة بجيش الدولة الآشورية نهبهم، لسنة واحدة لم يكن هناك ملك لبلاد بابل، في اليوم السادس والعشرين من شهر تشرين، اعتلى نابو-بولاصر عرش بابل**".(٢)

وقد تمكن نابو-بولاصر من تأسيس سلالة حاكمة في هذه المملكة، والتي سرعان ما بدأت تبسط سيطرتها على المناطق المجاورة ولاسيما سورية، لتمتد على مساحة واسعة شأنها شأن الممالك الأخرى التي سبقتها، ويتضح ذلك من الألقاب التي حملها الملك

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، المرجع نفسه، ص٤٤٧.

(2)Grayson. A.K. Assyrian and Babylonian chronicles, New York, 1975, p:88.

نابو–بولاصر، حيث لقب نفسه بملك بلاد البحر وملك بلاد سومر وأكاد[١].

قام نظام الحكم في العصر البابلي الحديث على أساس ملكي وراثي، فالملك يمثل السلطة العليا في المملكة، وبيده السلطات جميعها، وينوب عنه ولي العهد الذي وقع على عاتقه قيادة الحملات العسكرية، ووراثة السلطة في حال وفاة الملك، فالملك نابو–بولاصر عين ابنه نبوخذ نصر الثاني Nabukadnezar II ولياً للعهد، وأوكل إليه منصب قائد الجيش، فأظهر حنكة ومقدرة في قيادة المعارك التي خاضها، وتمكن من تحقيق العديد من الانتصارات[٢]، ويساعد الملك عدد من الموظفين الذين يقوم بتعيينهم بنفسه، وقد جاء في إحدى الوثائق الصادرة في عهد الملك نبوخذ نصر الثاني ما يأتي: " **أمرت بتعيين موظفي البلاط التالية أسماؤهم حسب واجباتهم، وليأخذوا مكاناً في حاشيتي الرسمية**".[٣]

لقد أطلق على كبار الموظفين في البلاط البابلي اسم الماشينوم Mašenum[٤]، وقد سعى الملوك من وراء هذا الجهاز الإداري الذي تزعمه كبار رجال الدولة من الأغنياء والطبقات العليا في المجتمع إلى المحافظة على الأمن والاستقرار في البلاد، وجعلوا هؤلاء الموظفين على علاقة مباشرة معهم، فساروا على نهج الملوك الآشوريين في إدارة المقاطعات والمدن البابلية، وقد كانت بابل مقسمة إلى ثلاث وعشرين مقاطعة يدير شؤونها حكام يعينون من قبل الملك، ويكونون على اتصال مباشر معه، وهم في غالبيتهم من كبار القادة الذين شغلوا مناصب مهمة في البلاط البابلي، ولدينا مثال على ذلك في عهد الملك نبوخذ نصر الثاني، فالقائد نيرجال شار اوصر كان مسؤولاً وحاكماً على منطقة سين ماكر*Sin–Magir وقد شغل هذا القائد العديد من المناصب،

---

(١) عثمان، غانم محمد، الكتابات المسمارية على الأجر من الألف الأول قبل الميلاد (٩١١–٥٣٩ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، اشراف خالد إسماعيل، جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص١٣٣.

(٢) محمد، حياة إبراهيم، المرجع السابق، ص ٥١–٥٩.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٥.

(4) CAD, M, Part: 1, vol: 10. P:363–364.

*مقاطعة تسكنها أحد القبائل في الشمال من مدينة بابل.

فقاد الجيش أثناء محاصرة أوروشليم في عام ٥٨٦ق.م، وقد وصلت مكانته إلى درجة عالية في البلاط، حيث تزوج إحدى بنات الملك[١]. ومن أجل ضمان ولاء حكام المقاطعات وكبار الموظفين أخذت العهود عليهم وأقسموا يمين الولاء أمام الملك، وتعهدوا بالتبعية له والانصياع لقراراته وأوامره[٢]. وكان أخذ يمين الولاء على حكام المقاطعات سياسة اتبعها الملوك الآشوريين، وسار على النهج نفسه الملوك في العصر البابلي الحديث، وكان الهدف منها إبراز مكانة الملك ودوره في تمثيل الإله على الأرض من جهة، وضمان الأمن والاستقرار في تلك المقاطعات، ومن ثم الحيلولة دون قيام أية حركة تمردية ضده من جهة أخرى.

٤- الآلهة والصراع بين الكهنة والملوك:

لم يختلف الملوك في العصر البابلي الحديث عن غيرهم من الملوك في قضية الادعاء بأن الآلهة هي التي منحتهم السلطة، وتقلدوا مقاليد الحكم بمشيئتها، ويتضح ذلك من أسماء الملوك حيث حملت أسماء الآلهة التي عبدت في العصر البابلي الحديث، فاسم الملك نبوخذ نصر الثاني مؤلف من ثلاثة مقاطع نابو-كودورو-أوصر Nabu-Kudurri-Usur، نابو هو إله الكتابة عند البابليين، وكودورو لها معنيان الأول حجر الحدود والثاني الابن، بينما تعني أوصر الحماية، وهي مأخوذة من جذر الفعل nasaru بمعنى يحمي، وبذلك يكون مدلول الاسم الإله نابو يحمي الابن البكر أو (الوريث الشرعي)[٣]، ويبدو أن الملك نبوخذ نصر الثاني أراد من وراء ذلك تسويغ وصوله إلى السلطة برغبة الإله نابو بذلك، وحماية حدود الدولة، وتأمين الأمن والاستقرار فيها، وبعد أن توفي الملك نبوخذ نصر خلفه ابنه على العرش، وأطلق على نفسه أويل مردوك Awil-Marduk (رجل مردوك)[٤]، ونستدل من اسمه أيضاً على ارتباطه بالإله مردوك، وإذا انتقلنا إلى عهد الملك نابونيد Nabunid نجد أن المصادر

---

(١) محمد، حياة إبراهيم، المرجع السابق، ص٨٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٦٩.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٤.

(٤) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم، بلاد الرافدين، ص٤٦٦.

تشير إلى أنه لم يكن سليل أسرة ملكية[١]، وإنما وصل إلى الحكم بمساعدة الكهنة، فقد حمل هذا الملك اسم نابو–نائيد أي المبجل من قبل الإله نابو، وهذا يدل على الدور الذي أُعطي الآلهة في هذا العصر، حيث عزز من مكانة المعبد مركز عبادة الإله، و لعب الكهنة الذين يشرفون على رعاية مصالح المعبد دوراً مهماً في إيصال الملوك إلى سدة الحكم، فبعد وفاة الملك نابو–بولاصر استغل الكهنة انشغال ولي العهد نبوخذ نصر الثاني بالقتال في سورية ضد الوجود المصري فيها، حيث تمكن من الانتصار على المصريين في معركة بالقرب من مدينة كركميش (جرابلس اليوم)، وأحكم سيطرته على كامل سورية، ولاحق فلول المصريين إلى حدود بلادهم[٢]، فاستغل الكهنة غيابه وعملوا على ترشيح أمير كلدي لخلافة الملك المتوفى (نابو–بولاصر) وهذا مـا نلحظه في الوصف الذي تركه لنا المؤرخ بيروسس* حيث جاء فيه:

" **حدث الآن أن نابو–بولاصر، عانى من مرض في هذا الوقت، ومات في بابل بعد أن حكم ٢١ عاماً، لكن حين عرف نبوخذ نصر الثاني بعد زمن قصير أن والده نابو–بولاصر قد مات، أقر الأمور المتعلقة بمصر والبلاد الأخرى، وعهد بالأسرى الذين أخذهم من الفينيقيين واليهود والسوريين ومن سكان مصر إلى بعض أتباعه على أن يقوموا بتولي شؤون الأجزاء التي كانت جيوشه فيها تحمل الأسلحة الثقيلة مع ما بقي من أمتعة ويأتوا بها إلى بابل، ذهب نبوخذ نصر على عجل ولم يصطحب معه إلا عدداً قليلاً من جنده سالكاً طريق الصحراء إلى بابل، حين وصل إليها وجد شؤونها تدار من قبل أحد كبار الكلديين، واستلم زمام البلاد الخاضعة لوالده كلها**"[٣].

---

(١) Roux,G., Ancient Iraq, Third Edition, Penguin Books, England, 1992, p382.

(٢) محمد، حياة إبراهيم، المرجع السابق، ص٥٩.

* راهب فكري ومؤرخ كلدي من بابل ومن عبدة الإله مردوك، عاش في القرن الثالث بين عامي ٣٣٠–٢٥٠ق.م، ورد اسمه بالمصادر اللاتينية بلفظ Berosses، كتب التاريخ البابلي، انظر: Josephus.F, The life, against Apion, Harvard University press, 1926, Book1, p215.

(٣) Ibid, p217–219.

ولكن لا نعرف إن كان هذا الأمير الجديد يتولى مهمة إدارة البلاد ريثما يعود ولي العهد من القتال، أو أنه أراد استغلال فراغ العرش البابلي مدعوماً من الكهنة وتنصيب نفسه على العرش البابلي، ويبدو أن الملك نبوخذ نصر تمكن بعد عودته من كسب الكهنة إلى جانبه ولاسيما أنه تمتع بسمعة حسنة وتسلم العرش بعد عودته دون أي صراع معهم.

كذلك حاول خليفته الملك أويل مردوك الحد من سلطة الكهنة الذين تدخلوا في شؤون الحكم، ونصبوا مكانه صهره وزوج ابنته نيرجال–شار–أوصر، فقد بقيت هذه السلطة على مستوى الحكم غير ثابتة، ففي أوقات الأزمات كانت هذه الفئة تستفيد من ضعف السلطة السياسية لتجعل الملك خاضعاً لسيطرتها أو لتبعده عن الحكم، فغالباً ما كانت هذه الفئة تتهم الملك الضعيف بارتكاب الخطيئة كي تمارس عليه الحق الإلهي في الانتقام، فالملك نابونيد تمكن من الوصول إلى السلطة بدعم من كهنة معبد سين ولاسيما أن السياسة التي اتبعها سلفه الملك نيرجال–شار–أوصر وقد قامت على إغداق الامتيازات على كهنة معبد الإله مردوك، وهذا ما أثار حفيظة كهنة معبد الإله شماش وسين الذين قاموا بعد وفاة هذا الملك باغتيال ابنه وتنصيب نابونيد[1] الذي ادعى في كتاباته أنه وصل إلى السلطة بناءً على رغبة الآلهة كما يوضح النص الآتي:

"**أنا نابونيد ابن وحيد ليس له أحد، لم يكن في ذهنه تسلم العرش الملكي، الآلهة والإلهات صلوا من أجلي، وسين دعاني لتسلم الحكم، في الليل جعلني أرى حلماً، قال لي مايلي (أخول–أخول)، معبد سين في حران شيده بسرعة أريد أن أجعل ككل البلاد في يدك، الناس، سكان بابل وبورسيبا ونيبور وأوروك ولارسا، الكهنة، أناس من مناطق سكن في أكاد أخطؤوا بحق ألوهيته الكبرى، وارتكبوا إثماً في عدم معرفة الغضب المخيف لملك الآلهة ننار Nannar**"**(سين)**[2].

وقد اتبع الملك نابونيد سياسة تقوم على تعيين موظفين ينوبون عنه في المعبد[3]، لضمان مصالحه، والحد من سلطة الكهنة، وتشكيل قوة موازية تعادل نفوذهم فيما بعد.

---

(1) مرعي، عيد، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، ص ٢٩.

(2) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم–بلاد الرافدين، ص٤٦٧.

(3) محمد، حياة إبراهيم، المرجع السابق، ص٩٢.

فيما بعد قام الملك نابونيد بالانتقال من بابل (المقر الرئيس لعبادة الإله مردوك) إلى واحة تيماء في شمالي غربي شبه الجزيرة العربية (مركز عبادة إله القمر)، ويبرر الملك نابونيد الانتقال إلى واحة تيماء بأنه جاء بناءً على رغبة الإله سين الذي عاقب سكان بابل، وتمثل العقاب بنشر الجوع والمرض بين الناس كما يشير النص الآتي:

"**الناس نسوا طقوسهم وتكلموا كذباً وزوراً، ككلاب افترسوا بعضهم بعضاً، جعلت (الآلهة) مرضاً وجوعاً ينتشر بينهم. (هو) سين أنقص سكان البلاد. أما أنا فقد حعلني أهرب من مدينتي بابل، (وسلكت) الطريق إلى تيماء، دادانو Dadanu (العلا حالياً)، باداكو padku (فدك حالياً)، خيبرا Chibra (خبير حالياً)، ياديخو yadichu (الحويط حالياً)، حتى إلى يتريبو yatribu (يثرب/ أو المدينة المنورة حالياً)، عشر سنوات تجولت بينهم ولم أدخل مدينتي بابل**"[1].

يبدو أنه ترتب على ذلك انتقال كبار الموظفين والتجار والأغنياء وكافة النشاطات الاقتصادية والطقوس الدينية إلى المدينة الجديدة، الأمر الذي أدى إلى توقف الاحتفالات الدينية في مدينة بابل، وهي احتفالات رأس السنة(أكيتو) المكرسة للإله مردوك- فأثار ذلك حفيظة كهنة معبد مردوك الذين نقموا على الملك وعبروا عن نقمتهم بالاتصال بالملك الفارسي قورش الثاني ودعوته للسيطرة على مدينتهم، ووعده بتقديم المساعدة، وتصويره على أنه محرر قادم ليعيد عبادة مردوك كما كانت عليه من قبل، وهذا ما عبر عنه الملك الفارسي في كتاباته بعد سيطرته على مدينة بابل، وإسقاط الحكم الكلدي فيها كما يوضح النص الآتي:

"**عبادة مردوك ملك الآلهة، مُحيت من وجدانه (المقصود نابونيد)، فقد كان يفعل دائماً ما هو سيئ لمدينته.... أهلك رعاياها جميعهم دون رحمة، فغضب لشكواهم غضب مردوك غضباً شديداً..... وغادرت الآلهة التي سكنت فيها أماكن سكناهم، وجلبهم على الرغم من غضبهم إلى بابل، مردوك السيد الكبير الذي يعتني برعاياه نظر فرحاً إلى أعماله الطيبة وإلى قلبه العادل، أمره أن يذهب إلى مدينة بابل وجعل الطريق إلى بابل يشق أمامه، وذهب معه كصديق، بدون قتال وبدون معركة جعله**

---

(١) عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم-بلاد الرافدين، ص٤٦٧-٤٦٨.

مردوك يدخل مدينته (بابل)، أنقذ بابل من الضيق، وسلمه نابونيد الملك الذي لم يعبده، سكان بابل جميعاً، وكل سكان بابل وأكاد، أمراء وولاة ركعوا امامه (أي أمام قورش) وقبلوا قدميه، وفرحوا بتسلمه الملكية"[1].

نلحظ مما سبق أن كهنة معبد مردوك لعبوا دوراً مهماً في تأليب سكان بابل على الملك نابونيد، وساهموا في إسقاط نظام الحكم البابلي، وتسهيل وصول الفرس إلى الحكم. وقد شكلت سلطة المعبد جزءاً مهماً من السلطة الملكية التي حكمت بابل، وما محاولات الملوك البابليين لتقليص سلطة الكهنة إلا محاولة منهم لإبعادهم عن السلطة، لكنهم فشلوا في ذلك، وتمكن المعبد من الاحتفاظ بزمام السلطة، ولعب دوراً مهماً في نقلها من ملك إلى آخر، وخير دليل على ذلك مساعدة الملك الفارسي في احتلال بابل والسيطرة عليها، فانتصر المعبد على سلطة الملوك، وعاد إلى الدور نفسه الذي لعبه في العصور السابقة ولاسيما العصر السومري، وهذا يذكرنا بما قام به كهنة معبد آمون في مصر بعد قيام الملك المصري أمنحوتب الرابع (أخناتون) بنقل العاصمة من مدينة طيبة إلى مدينته الجديدة التي بناها، وأطلق عليها اسم اخت أتن، حيث انتقل معه كبار رجال قصره وعلية القوم، وقد هدف من وراء ذلك الحد من نفوذ الكهنة وحرمانهم مما كانوا يجنوه من فوائد اقتصادية، وخاصة إن انتقال الملك إلى عاصمته الجديدة سوف يؤدي إلى انتقال حصة المعبد من غنائم الحرب، وعطايا الملك للمعبد الجديد وكهنته، بالإضافة إلى انتقال جزي الشعوب التابعة، والغنائم الحربية إلى العاصمة الجديدة. ومن الجدير بالذكر إن كهنة معبد آمون في مصر اتبعوا النهج نفسه الذي اتبعه كهنة معبد مردوك في بابل واتخذوا موقفاً عدائياً من ملكهم وشجعوا أعدائهم على العمل لإسقاط حكمه كما فعل الفرس في بابل، أو التوسع على حساب إمبراطوريته ومحاولة القضاء عليها كما فعل الحثين في مصر.

٥- **المعارضة في العصر البابلي الحديث:**

تجلت المعارضة في العصر البابلي الحديث بالحركات التي قادها المعبد للإطاحة بالملوك الذين لم يؤمنوا مصالحه، وينصاعوا لرغباته، فمدينة بابل التي قادت العديد

([1]) مرعي، عيد، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، ص ٤١.

من حركات التمرد والعصيان ضد الحكم الآشوري فيها إبان العصر الآشوري الحديث، أصبح المعبد يلعب دوراً مهماً في تسيير شؤون السلطة والحكم فيها. يبدو أن المكانة الدينية لهذه المدينة التي تضم معبد الإله مردوك قد أعطت الكهنة دوراً لاتخاذ العديد من القرارات التي كانت من صلاحيات السلطة السياسية، ويتضح ذلك من خلال تدخل الكهنة في ترشيح حاكم لخلافة الملك نابو-بولاصر بالرغم من قيام الأخير بتعيين ولي عهد لوراثته في الحكم، ولدينا مثال آخر من عهد الملك أويل مردوك الذي حرضت الكهنة زوج أخته القائد العسكري نيرجال شار أوصر الطامع بالسلطة على قتل الملك، وتمكن من ذلك وتسلم العرش(١).

كذلك دفعت السياسة التي اتبعها الملك نيرجال شار أوصر والتي قامت على إغداق الامتيازات على كهنة معبد الإله مردوك إلى إثارة حفيظة كهنة معبد سين وشماش الذين قاموا بعد وفاة هذا الملك باغتيال ابنه لاباشي مردوك(٢) Labashi marduk الذي خلفه على العرش ونصبوا مكانه نابونيد الذي لم يكن سليل أسرة ملكية.

وكذلك رأينا أيضاً كيف أسهم كهنة معبد مردوك في إسقاط حكم الملك نابونيد بشكل خاص، والحكم الكلدي لبابل بشكل عام نتيجة السياسة التي اتبعها الملك نابونيد والتي قللت من مكانة المعبد والكهنة بعد انتقاله للإقامة في واحة تيماء.

بالإضافة إلى الدور الذي لعبه الكهنة، قد برزت بعض الشخصيات الطامعة بالسلطة وحاولت الوصول إلى العرش مستغلة نفوذها وقوتها، فأحداث السنة العاشرة من حكم الملك نبوخذ نصر الثاني تشير إلى قضائه على مؤامرة(٣) حدثت في صفوف جيشه، حيث قبض على مدبر المؤامرة بابا-أخو-ايدينا Baba-ahu-idina بن نابو-أخي-بوليط Nabu-ahi-bullit الذي كسب مكانة مهمة في عهد الملك نابو-بولاصر، وامتلك ثروة كبيرة، وصار يطمع بالسلطة مستغلاً غياب الملك المستمر، وكثرة حملاته العسكرية، إلا إن الملك نبوخذ نصر الثاني تمكن من إلقاء القبض عليه، ومحاكمته

---

(١) مرعي، عيد، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، ص٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٩.

(٣) Wiseman.D, Chronicles of Chaldean Kings (626-556.C) London, British museum, 1956, p73.

بتهمة العصيان، والحنث بالقسم الملكي، وتم إعدامه[١].

وهنا لابد من طرح قضية مهمة ومناقشتها وهي استعانة معارضي الملك من كهنة وغيرهم بقوى ودول خارجية لتحقيق مكاسب سواءً للوصول للحكم كما فعل مردوك أبال إدينا في بابل، حيث استعان بالملك العيلامي في الوصول للحكم في بابل كما مر معنا سابقاً إبانَّ حكم الملوك شاروكين الثاني و ابنه سنحريب في عصر الدولة الآشورية الحديثة، أو الاستعانة بدولة خارجية لتتدخل بشكل مباشر وتقوم بالإطاحة بملك كما فعل كهنة معبد مردوك في بابل عندما قاموا بالاستعانة بقورش الفارسي لإسقاط حكم الملك نابونيد، وتصف لنا أحد حوليات الملك نابونيد مساندة بعض سكان بابل للملك الفارسي وتسليمهم المدينة دون مقاومة تذكر كما يبين النص الآتي:

" **في شهر تشريتو (أيلول- تشرين الأول) عندما هاجم قورش جيش أكاد في أوبيس Opis على دجلة ثار سكان أكاد، لكنه (أي نابونيد) ذبح المشتبه بهم من السكان، في اليوم الرابع سقطت سيبار دون قتال، نابونيد هرب في اليوم السادس عشر دخل جوبارو حاكم غوتيوم وجيش قورش بابل دون قتال. بعد ذلك ألقي القبض على نابونيد في بابل عندما عاد إلى (هناك). حتى نهاية الشهر أحاطت دروع غوتيوم ببوابات ازاغيلا Esagila (معبد مردوك) ولم تنقطع الطقوس الدينية في معبد ازاغيلا ولا في المعابد الأخرى، ولم تهمل أي مواعيد (أعياد واحتفالات دينية). في الثالث من أراخمسنو Arachsamnu (تشرين الأول-تشرين الثاني) دخل قورش بابل. عسلوج ضخم (نوع من النبات) نشر أمامه. أعلن سلام لكل بابل، قورش أرسل تحيات إلى بابل كلها، جوبارو وأليه عينه ولياً على بابل، من شهر كيسليمو (تشرين الأول- كانون الأول) حتى شهر آذار (آذار- نيسان) عادت آلهة آكاد، التي جلبها نابونيد إلى بابل، إلى معابدها**"[٢].

نلحظ من خلال هذا النص إن قورش الثاني عندما دخل إلى بابل وقف إلى جانبه غالبية سكانها، ولم تلحظ قيام أي مقاومة شعبية ضده، باستثناء المقاومة التي أبداها الملك نابونيد، وهذا دليل على المعارضة الشديدة لحكم نابونيد التي تزعمها كهنة مردوك

---

(١) محمد، حياة إبراهيم، المرجع السابق، ص٧٠.

(٢) مرعي عيد، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، ص٤٠.

قد سهلت سيطرة الملك الفارسي على بابل.

وقد حرص الملك قورش الثاني على التقرب من سكان بابل عن طريق احترام ألهتهم وتقديسها، فنظر إليه كهنة معبد مردوك كمحرر ومنقذ أرسله الإله مردوك للتخلص من حكم الملك نابونيد الذي عامل رعاياه دون رحمة، ولم يحكم بالعدل ، ولم يحترم الآلهة البابلية، وتشير أحد الكتابات إلى أن قورش الثاني قضى على حكم نابونيد بدعوة من مردوك إله بابل الرئيس بعد استياء سكان بابل من ملكهم كما يبين النص الآتي:

"**عبادة مردوك ملك الآلهة محا من وجدانه (المقصود نابونيد) هو كان يفعل ما هو سيء لمدينته..... رعاياها أهلكهم جميعاً دون رحمة، لشكواهم غضب مردوك غضباً شديداً .... الآلهة الذين سكنوا فيهم غادروا أماكن سكناهم، جلبهم على الرغم من غضبهم إلى بابل، مردوك... إلى كل الأماكن مساكنها متداعية، وإلى سكان سومر وأكاد الذين أصبحوا يشبهون الجثث عاد بوجدانه ووسع رحمة. فتش كل البلاد وفحص، وبحث عن حاكم عادل حسب ما يرغبه قلبه، أمسكه بيده: قورش ملك أنشان دعاه لحكم الكون ونطق باسمه. غوتيوم وكل الميديين أخضعهم تحت أقدامه. الناس من ذوي الرؤوس السوداء (المقصود سكان بابل) الذين قهرهم بيده حفظهم بحق وعدالة، مردوك السيد الكبير الذي يعتني برعاياه نظر فرحاً إلى أعماله الطيبة وإلى قلبه العادل، أمره أن يذهب إلى مدينته بابل، وجعل الطريق إلى بابل يشق أمامه. كصديق ذهب معه، قواته الكثيرة التي عدها مثل ماء النهر لا يقاس زحفت مدججة بالأسلحة برفقته. بدون قتال وبدون معركة جعله (مردوك) يدخل مدينته (مدينة مردوك) بابل. أنقذ بابل من الضيق، وسلمه نابونيد الملك الذي لم يعبده. سكان بابل جميعاً وكل بلاد سومر وأكاد، أمراء وولاة ركعوا أمامه (أي أمام قورش) وقبلوا قدميه، وفرحوا بتسلمه الملكية، وأضاءت وجهوهم، السيد الذي عن طرق مساعدته جعل الأموات أحياء وأبهج الجميع عوضاً عن الضيق والشر، بايعوه بسرور وعبدوا اسمه**"[1].

نلحظ مما سبق أن حركة المعارضة التي قادها كهنة المعبد تمكنت من تحقيق أهدافها،

---

(١) مرعي، عيد، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، ص ٤٠-٤١.

وعزلت العديد من الملوك الذين هددوا مصالحها، فبالرغم من الإجراءات التي اتخذها الملوك للحفاظ على سلطتهم، إلا أن ارتكبوا العديد من الأخطاء التي أسهمت في اسقاط حكمهم، ولعل أهمها محاولتهم الحد من سلطة الكهنة، وحرمانها من مكاسبها، فعلى سبيل المثال استخدم كهنة معبد مردوك شتى الوسائل في سبيل الحفاظ على نفوذهم، وقد وصل بهم الأمر إلى درجة طلب المساعدة من قوة خارجية (الملك الفارسي قورش الثاني)، والسماح لها بالتدخل والإطاحة بحكم الملك المهدد لمصالحها (الملك نابونيد)، وتمكن الكهنة من تحقيق هدفهم، يبدو أن السبب يعود إلى مكانة الإله مردوك، والشعور الديني الذي اتصف به سكان مدينة بابل والذي جعلهم يلتفون حول الكهنة ويناصرونهم في صراعهم مع الملوك.

ثانياً: السلطة والمعارضة في سورية:

سادت سورية في الألف الأول قبل الميلاد مجموعتين كبيرتين هما الآراميون (Arameans) والفينيقيون(Phoenicians)، استقرت الأولى في المناطق الداخلية، وأقامت ممالك مدن متعددة، بينما استقرت الثانية في المناطق الساحلية، وقد لعبت دوراً مهماً في التجارة والملاحة البحريتين، وسوف نقوم بدراسة نظام الحكم والمعارضة لكل منهما على حدة:

١- نظام الحكم عند الآراميين:

لقد شكل الملوك الآراميون العديد من ممالك المدن التي حُكمت من قبل شخص أطلق عليه لقب شيخ، وقد حملت بعضها أسماء شيوخها ووصفوا حكامهم بابن كذا، وعرفت ممالكهم ببيت كذا، وتفسير ذلك أن المملكة الآرامية قامت في منطقة غير معروفة سابقاً، وبالتالي سميت باسم مؤسسها، بينما حمل البعض الآخر اسم المدينة التي نشأت فيها، وبالتالي نشأت الطبقة الحاكمة في هذه الممالك من خلفية بدوية، فمملكة بيت زماني على سبيل المثال سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها زماني وهو الشخص الذي كان زعيم القبيلة الآرامية حينما وصلت المنطقة، بينما حملت مملكة حماة الآرامية اسم المدينة التي قامت فيها، ولم تتمكن الممالك الآرامية نتيجة التنافس فيما بينها من تشكيل نظام حكم مركزي موحد، الأمر الذي أدى إلى ضعفها وعجزها عن مقاومة القوى الخارجية ولا سيما الإمبراطورية الآشورية التي كانت تستغل ذلك الوضع وتتوسع

في أراضيها وتلزمها بدفع أتاوات فرضتها عليها حتى تمكنت مع مرور الزمن من القضاء عليها الواحدة تلو الأخرى، وقد تمثل نظام الحكم عند الآراميين بـ:

أ- **الملك:** هو ممثل رأس السلطة، ويعاونه أفراد الأسرة الحاكمة الذين يتصرفون بموارد المملكة المتنوعة، وقد تركزت السلطات كلها في يد الملك، وأوكل بعض المهام إلى أفراد الأسرة الحاكمة من شيوخ ومتنفذين[١]. وقد قام نظام الحكم في العصر الآرامي على انتقال الحكم بالوراثة شأنه شأن أنظمة الحكم التي سبقته، ونستدل من تسلسل الملوك في الممالك الآرامية على أن السلطة بقيت ضمن العائلة الحاكمة، فإذا ما توفي الملك ورثه ابنه أو أحد أخوته، ولدينا مثال على ذلك في مملكة شمأل من النقش الذي تركه الملك كيلامووا، ونلحظ فيه أن الحكم انتقل من الأب إلى الابن، ومن الأب إلى الأخ كما يوضح النص الآتي:

" **أنا كيلامووا بن حيا، كان جبار ملكاً على يأدي، ولم يفعل شيئاً، وكان بمه ولم يفعل شيئاً، وكان أبي حيا ولم يفعل شيئاً، وكان أخي شئيل ولم يفعل شيئاً، أنا كيلامووا.... قد فعلت ما لم يفعله السابقون**"[٢]

نلحظ من خلال هذا النص أن الملوك الأوائل لشمأل لم يخلفهم أبناؤهم على العرش، وربما يعود ذلك إلى أن نظام الحكم الوراثي لم يكن قد نضج بعد عند الأسرة الحاكمة، فكان الأخ يخلف أخاه وهذا يقودنا إلى نتيجة مفادها أن الملكية الوراثية لم تفرض ذاتها في الممالك الآرامية إلا في سياق تعتريه بعض الصعوبة. وقد ادعى الملوك الآراميون أن الآلهة هي التي منحتهم الحكم وتوجتهم على عروشهم آخذين هذا التقليد ممن سبقهم من ملوك ولا سيما الملوك الآشوريين، فالآلهة هي التي أوصلتهم إلى السلطة ووضعت صولجان الحكم بيدهم، ففي مملكة شمأل على سبيل المثال تظهر النقوش الإله هدد وهو يعطي الملك باناموا الأول صولجان الحكم[٣]، لذا نلحظ أن الملوك في العصر الآرامي تظاهروا بأنهم يتقربون من الآلهة، فقدموا لها الأضاحي، وتوج العديد منهم

---

(١) حمود، محمود، الممالك الآرامية السورية، ص٨٤.

(٢) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، ص ٢٢.

(3)Lipinski,E, The Aramaeans: Their Ancient History, Culture, Religion, p:631.

نفسه في المعبد، وانشدوا أناشيد الدعاء والابتهال للآلهة[1] ولا سيما الإله هدد*، فالملك برراكب ملك مملكة شمأل ادعى في نقوشه أنه استلم الحكم بدعم من الإله ركب إيل ومن الملك الآشوري تيكلات بيليصر الثالث كما يوضح النص الآتي:

"**أنا برراكب بن باناموا ملك شمأل، عبد تيكلات بيليصر سيد أرباع الأرض، بناءً على صدق أبي وصدقي، نصبني سيدي ركب إيل(إله) وسيدي تيكلات بيليصر على عرش أبي. وكان بيت أبي أنشط من الجميع.**"[2]

كذلك يفتخر الملك باناموا الأول Panamuuwa I ابن قرل أن الآلهة هي التي أوكلت إليه الحكم في مملكة شمأل كما يبين النص الآتي:

" **أنا باناموا بن قرل ملك يأدي. (أنا) الذي أقمت هذا النصب للإله هدد في (مكاني) الأبدي، لقد قامت معي الآلهة هدد وإيل**ورشف*****وراكب إيل وشمش. وأعطت بيدي**

([1]) أبو عساف، علي، مملكة بيت بخياني، مجلة دراسات تاريخية، العدد السادس، ١٩٨١، ص: ١٥٥.

* هدد إله العاصفة والطقس، يماثل الإله بعل، هو نفسه أدد أو أدو في بلاد الرافدين، يعد من الآلهة السورية القديمة الرئيسية، كانت عبادته منتشرة في معظم الممالك الآرامية القديمة، وكانت له معابد في دمشق وحلب، للمزيد انظر:

إسماعيل، فاروق، المرجع نفسه، ص ١٥٩.

([2]) فرزات، محمد حرب، الأدب الآرامي، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٢١-٢٢، جامعة دمشق، ١٩٨٦، ص١٤٦.

** من أهم الآلهة عند الآراميين، عرف بإله السلالة الحاكمة أو البلاط، وهو نفسه الإله الرافدي إيل مير الذي عرف بإله العاصفة، للمزيد أنظر:

حمود، محمود، الديانة السورية القديمة، ص ١٤٣ومابعد.

*** من الآلهة التي عبدت في شمال سورية منذ الألف الثالث قبل الميلاد، كان واحداً من أهم أعضاء المجمع الإلهي، وهو إلهاً كنعانياً، يعرف عند المصريين بإله الرعد والبرق، وهو نفسه الإله أبولون عند اليونان، للمزيد أنظر:

Lipinski.E, Op.Cit, p:617-618.

الآلهة هدد وإيل

وراكب إيل وشمش ورشف عصا الحكم. وقام معي (بشكل خاص) الإله رشف.

فـ(ـصار) الذي آخذُ

أنا باناموا جلست أيضاً على عرش أبي، وأعطا الإله هدد بيدي عصا الحكم"[١].

ونستدل على أهمية الأسماء التي حملها بعض الملوك والتي تقترن بأسماء الآلهة كملك مملكة دمشق الملك برهدد (أي ابن الإله هدد)[٢] والتي تدل على تبركهم بالإله وإظهار ولائهم وتمثيلهم له على الأرض.

وقد لعبت الآلهة دوراً مهماً في الإشراف على توقيع المعاهدات بين الملوك الآراميين وغيرهم من الحكام، حيث إن الآلهة مدعوون دائماً حسب زعمهم إلى أن يشهدوا على توقيع المعاهدات وكي تحل لعناتهم على أي انتهاك لمضمونها، ولدينا على سبيل المثال المعاهدة التي عقدها الملك متع إيل ملك مملكة بيت أجوشي والملك الآشوري آشور نيراري الخامس، حيث تضمن أحد بنود المعاهدة حلول اللعنة على الملك متع إيل إذا ما أخل بأحد شروط المعاهدة[٣]، والجدير بالذكر أن الملوك الآراميين قدموا الطاعة والولاء للملوك الآشوريين هادفين من وراء ذلك إلى الحصول على مساعدة هؤلاء الملوك عند حصول أي تمرد أو عصيان داخل ممالكهم من جهة، ولضمان عدم قيام الملوك الآشوريين بغزو ممالكهم وتغيير نظام الحكم فيها، وتعيين حكام يدينون بالولاء للحكم الآشوري من جهة أخرى، فالملك باناموا الأول استعاد عرش أبيه بمساعدة الآشوريين، ودلت العديد من النصوص التي وردت في نقوشه على ولائه وإخلاصه المطلق لملك آشور كما يتضح ذلك من النص الآتي:

"**بفضل حكمته وإخلاصه، فقد أخذ بحافة سيده ملك آشور**"[٤].

وقد دلتنا النقوش التي خلدها الملوك الآراميون على مآثر الملوك وأعمالهم، فبالإضافة إلى اهتمام الملوك بالمظاهر الملكية الفخمة، ومنها ما يذكره نصب الملك باناموا

---

(١) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، ص٢٩٩.

(٢) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ص ٢٤٢.

(٣) حمود، محمود، الديانة السورية القديمة، ص ١٣٥.

(٤) إسماعيل، فاروق، المرجع نفسه، ص٢٤.

الأول من أن الملك أخذ على عاتقه تحقيق السعادة لشعبه، بالمقابل عاش هذا الملك حياة تسودها السعادة والرفاهية[١].

كذلك افتخر الملوك الآراميون بتحقيق الازدهار الاقتصادي، ونشر العدالة بين الناس، كما ادعى الملك كيلامووا بأنه نشر العدالة بين طبقات المجتمع التي وجدت في مملكة شمأل آنذاك[٢]. ولا بد من الإشارة إلى أن الملوك الآراميين لم يحملوا الألقاب التي حملها ملوك الممالك المجاورة، يبدو أن الطبيعة القبلية لهذه الممالك من جهة، وتبعية أغلب ممالكهم إلى السيادة الآشورية من جهة أخرى جعلهم يحُرمون من حمل الألقاب التي حملها الملوك الآشوريين الذين عاصروهم باستثناء بعض الألقاب مثل سيد البلاط[٣] وهذا اللقب يدل على مكانة الملك داخل المملكة.

ب-الطبقة المقربة من الملك:

أحاط الملك الآرامي نفسه بطبقة من أصحاب النفوذ الذين كان يأخذ رأيهم في العديد من القضايا التي تتعلق بشؤون المملكة، وهذا ما أشار إليه نقش السفيرة* الذي جاء فيه:

" **عهود سادة كتك، مع عهود سادة أرفاد، وعهود اتحاد....**

مع آرام كلها ومع مصر، مع أبنائه الذين يعتلون العرش من بعده ومع ملوك كل آرام العليا والسفلى، مع كل دخل بيت الملك"[٤]

اعتمد الملك إلى جانب هذه الطبقة على أخوته الذين شكلوا حلقة حوله، وساعدوه في إدارة شؤون المملكة، إلا أن الملوك خشيو في كثير من الأحيان من طمع هؤلاء الأخوة

---

(١) المخلافي، عارف أحمد إسماعيل، دراسة لأسباب اختلاف العقوبات الآشورية ضد زعماء الشعوب الأخرى وأعونهم، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٩٩-١٠٠، ٢٠٠٧، ص:٩٧.

(٢) حمود، محمود، الممالك الآرامية السورية، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٣) أبونا، ألبير، الآراميون في التاريخ، دار المشرق الثقافية، داهوك، ٢٠١٠، ص ١٦٧.

*من أهم النقوش الآرامية، اكتشفت في بلدة السفيرة الواقعة جنوب شرق حلب بنحو ٢٦كم، تتضمن ثلاث نقوش، وتحتوي في مضمونها على المعاهدة الدولية بين مملكتي أرفاد وكتك، وتأتي أهمية هذه النقوش من أنها تلقي الضوء على تاريخ سورية السياسي في أواسط القرن الثامن قبل الميلاد. للمزيد أنظر: إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، ص ٢١٨وما بعد.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٢٥.

في الاستيلاء على السلطة وهذا ما جعل الملك باناموا الأول يشجب كل من يحاول الاستيلاء على السلطة بطريقة غير شرعية، حيث هدد الملك كل من حاول تهديد حكمه أو سلطته مهما كان قريباً من الملك، وهدَّد من ارتكب الجرائم بحق الرعية والدولة على حد سواء كما جاء في النص الآتي:

" **ليمنع النوم عنه في الليل ويصيبه بالقلق ولا.... الأخوة والأصدقاء**
أي من ابنائي يأخذ الوصايا في يأدي، يجلس على العرش، ويصبح ملكاً بدلاً مني، فعليه ألا يمد يده بالسيف ضد.....
أو بأمره، فإن أخاً له يبيح الدمار تبعاً لطلب أحد أخوته أو تبعاً لطلب أحد أصدقائه أو تبعاً لطلب إحدى أخواته–أو أي من أفراد العائلة ببيته يبيح الدمار، فليجمع الملك الوريث أخوته الذكور، وليدعه (أي المتهم) يقف في الوسط تماماً
يؤكد (يعترف) حقاً: "أخوكم سبب الدمار" وإن.... ويرفع يده إلى آلهة أبيه، (فعليه أن) يؤكد مقسماً: تباً لي إن وضعت (نقلت)الكلمات هذه في فم غريب! "قائلاً" لتكن عيناي جاحظتين أو مغشيتين!" أو "تباً لي أن وضعت (نقلت) كلماتي في فم أناس أعداء!" فإن كان المحرض ذكراً فليجمع أخوته الذكور، وليرموه بالحجارة. وإن كان (المحرض) أنثى فلتجمع أخوتها وليرمينها بالحجارة. وإن كان الدمار (قد حل)
برغبته هو حقاً فلتنظر عيناك إليه بشفقة..... أو بواسطة قوسه أو بقوته أو بكلمته
أو بتحريض منه. (أما) أنت فبعد ذلك حقاً
أو..... أو تقتله بحماسة أو بحمية أو
تحدد (عقوبة) عليه، أو تؤلب رجلاً غريباً لقتله..... "[1]

وقد يؤدي ضعف الملك وانتشار الفوضى إلى قيام أحد الأشخاص باستغلال ذلك والسيطرة على الحكم كما فعل الملك باناموا الأول الذي ذكر في أحد نقوشه أنه وضع حداً للفوضى التي كانت تعيشها مملكة شمأل، وأن الآلهة هي التي أوكلت إليه الحكم

([1]) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، ص ٣٠٠.

في شمأل، فهو لم يكن سليل أسرة ملكية، لذلك لابد له من الحصول على دعم وتأييد الآلهة[١] كي يسبغ الشرعية على حكمه، وهذا تقليد سار عليه الملوك في غالبية ممالك الشرق القديم المختلفة.

وهكذا نلحظ مما سبق أن الملك اعتمد على هذه الفئة في تسيير العديد من القضايا المتعلقة بشؤون المملكة، إلا أنه بقي حذراً في التعامل معها خشية من أن يقوم أحد أفراد هذه الفئة بالانقلاب على حكمه، وبالتالي خضعوا لرقابة صارمة من قبله.

٢-المعارضة عند الآراميين:

شهد العديد من الممالك الآرامية قيام تمردات هدفت إلى تغيير نظام الحكم فيها، ولا سيما الممالك التي حُكمت من قبل حكام عينهم الآشوريون، فالملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني يذكر في حولياته أن مدينة سورو التي كانت تتبع مملكة بيت خالوبي الآرامية bit-halupi شرقي الخابور ثارت ضد حاكمها الموالي للآشوريين، ولكن الملك الآشوري تمكن بعد قيادته حملة إلى هذه المملكة من إلقاء القبض على مغتصب العرش أخي أيابا Ahiababa ومعاونيه، وعاقب المذنبين، وتم تعيين حاكم جديد موالٍ للآشوريين[٢]. كذلك تعرضت مملكة شمأل في عهد الملك باناموا الأول لثورة قتل على إثرها الملك باناموا الأول وابنه برصور وسبعون شخصاً من أبناء السلالة الحاكمة[٣] لكن حفيده باناموا الثاني طلب المساعدة من الملك الآشوري تيكلات بيليصر الثالث الذي أرسل جيشه لمساعدته، وثبت باناموا الثاني على العرش[٤].

كذلك شهدت مملكة بيت زماني Beit Zamani قيام تمرد ضد حاكمها الآرامي الأصل عمي بعلي Ammibaali الموالي للآشوريين، وقاموا بخلعه وتعيين بورامانو Buramanu الأمر الذي دفع الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني لقيادة حملة والسير بجيشه إلى المنطقة، حيث أعادها من جديد للسيادة الآشورية، وقد عوقب

---

(١) أبو عساف، علي، الآراميون تاريخاً-لغة-فناً، ص١١٧.

(٢) المخلافي، عارف أحمد إسماعيل، المرجع السابق، ص٨٨.

(٣) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، ص٢٤.

(٤) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ص٢٢٨.

حاكمها بورامانو بالصلب، وتم تعيين حاكم جديد لبيت زماني يدعى إيلانو Ilanu، وتم تهجير حوالي ألف وخمسمئة رجل من سكانها وضمان تبعيتها للتاج الآشوري[١].

وبذلك نلحظ أن الملوك الآراميين استعانوا بالآشوريين لتثبيت حكمهم ومساعدتهم في القضاء على العصيانات والتمردات التي استهدفت نظام حكمهم، ولضمان عدم قيام الملوك الآشوريين بغزو ممالكهم وتغيير الحكم فيها، مقابل تعهد الملوك الآراميين بالولاء والخضوع للآشوريين، وتقديم التسهيلات لجيوشهم أثناء مرورها بممالكهم، والمشاركة في حملاتهم.

وقد استغل بعض الأشخاص المتنفذين انتشار الفوضى وضعف الحكم، وقاموا باغتصاب العرش، ولتسويغ وصولهم إلى العرش حاكوا القصص، وادعوا أن الآلهة هي التي أوصلتهم إلى الحكم، فالملك زكور ملك حماة قام باغتصاب العرش، وادعى أن الإله بعل شامين* عينه ملكاً على حماة، وحاك القصة نفسها التي حاكها الملك شاروكين الأكادي سابقاً، حيث ذكر الملك زكور في نقوشه أن الآلهة أنقذته وأوصلته إلى الحكم كما جاء في النص الآتي:

" **أنا زكور ملك حماة ولعش، رضيع أنا (كنت) فأنقذني**

بعل شامين، ساعدني، وجعلني بعل شامين ملكاً على حزرك"[٢]

ويفتخر أيضاً الملك زكور أن الإله بعل شامين قدم له المساعدة في التصدي لتحالف الممالك الآرامية بزعامة برهدد بن حزائيل الذين حاصروا حزرك وحاولوا القضاء على حكمه كما يبين النص الآتي:

" **فوحد ضدي برهدد بن حزائيل ملك آرام**

ستة عشر ملكاً (هم) برهدد وجيشه وبرجش وجيشه و

ملك قوه وجيشه وملك عمق وجيشه وملك جرجم

---

(١) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، ص١٤.

* هو إله العواصف والسحب والأمطار (الطقس) مثل هدد، كانت عبادته منتشرة في جميع مناطق سورية، يذكر في النقوش الكنعانية والنبطية، وكان لع معبد في تدمر، أنظر:
إسماعيل، فاروق، المرجع نفسه، ص٢١٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٢١١.

وجيشه وملك شمأل وجيشه وملك ملز وجيشه وملك
..... وجيشه ،ملك ..... وجيشه وسبعين آخرين،
هم وجيوشهم. وأقام كل هؤلاء حصاراً على حزرك.
ورفعوا سوراً (أعلى) من سور حزرك، وحفروا خندقاً (أعمق) من خندقها.
فـ(ـرحت) أرفع يدي إلى بعل شامين، وبدأ يجيبني بعل شامين ويتحدث
بعل شامين إلي بواسطة العرافين وبواسطة الرسل ويقول
لي بعل شامين: لا تخف! لأنني جعلتك ملكاً، وأنا
سأقوم معك وأنا سأنقذك من كل هؤلاء الملوك الذين
فرضوا عليك حصاراً....."[1]

ولتثبيت حكمهم عقد الملوك الآراميون المعاهدات فيما بينهم ومع الممالك والدول المجاورة، حيث ضمنت عدم إيواء المتمردين، ومعاقبة كل شخص يحاول اغتصاب العرش أو الإساءة للحاكم وتسليم المتآمرين، وقد دلت المعاهدة التي عقدت بين برجاية ملك كتك ومتع إيل ملك أرفاد على تعهد ملك أرفاد بعدم تحريض أي من أبناء ملك كتك ضده، والتعهد بتقديم المساعدة للملك متع إيل ضد المتآمرين على حكمه، كما ورد في نصوص المعاهدة التي جاء فيها:

" **العهود والخير الذي فعل الآلهة بأرفاد وبشعبها، ولا يسمح متع إيل، ولا يسمح أبناؤه،**
ولا يسمح عظماؤه، ولا يسمح شعبه، ولا يسمح كل ملوك أرفاد.....
الذين يعورون. فإن تسمع (أن) السلام.....
وإن تقل لنفسك وتفكر بعقلك: رجل عهود أنا. وسأسمع برجاية
وأبناءه ونسله، فلا استطيع (آنئذ) أن أرسل قوة ضدك ولا ابني ضد ابنك و(لا) نسلي ضد نسلك
ولا ضربهم ولا إبادة اسمهم، وأن يقل واحد من أبنائي، سأثب على عرش أبي، ويثرثر ويتشيخ ويبغي ابني رأسي لقتلي، وتقل لنفسك، ليقتل من يقتل، (وتكونوا قد) غدرتم

---

(١) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، ص٢١١-٢١٢.

بكل آلهة العهود التي في هذا النقش"[1]

كما تضمنت المعاهدة تعهد ملك أرفاد بعدم إيواء خصوم ملك كتك الفارين، وتعهد بإعادتهم وتسليمهم إلى ملك كتك كما تضمن النص الآتي:

" أو إلى ابنك أو إلى نسلك أو إلى أحد ملوك أرفاد، ويتكلم علي، أو على ابني أو على ابن ابني أو على نسلي، كما أي رجل

يبغي نفس منخريه ويتكلم علي بكلمات شريرة.... تأخذ الكلمات من يده، تسليماً تسلمهم بيدي، وابنك

يسلم لابني، ونسلك يسلم لنسلي، ونسل أي من ملوك أرفاد يسلمون لي ما هو حسن بعيني سأفعل بهم

ألا تكونوا قد غدرتم بكل آلهة العهود التي في هذا النقش. وأن يفر مني فار (سواء أكان) أحد وكلائي أم أحد أخوتي

أم واحداً من عامة الشعب الذي تحت يدي ثم يذهب إلى حلب، لا تسكب لهم طعاماً ولا تقل لهم اطمئنوا في مكانكم"[2].

كذلك تضمنت المعاهدة تعهد ملك أرفاد بعدم التآمر على ملك كتك، وعدم التدخل في نزاعات قد تحصل بين أبنائه، بل يجب مصالحتهم كما أشار النص الآتي:

"آلهة العهود التي في هذا النقش، وأن ينازع ابني الذي سيجلس على عرشي أحد أخوته أو يبعدوه عن العرش فلا ترسل لسانك

بينهم وتقل له "اقتل أخاك أو آسره ولا تطلق سراحه" وإن ترض بينهم رضى فهو لن يقتل ولن يأسر

فإلا ترض بينهم (تكون قد) غدرت بهذه العهود، والملوك الذين هم اتباعي وإن يفر فار مني إلى أحدهم

منهم ويأت إلي، فأن أعاد الذي لي أعد الذي له، أما أنت فلا تخطئ في حقي، وألا (تكن قد) غدرت بهذه العهود

ولا ترسل لسانٍ في (أمور بيتي) وبين أبنائي وبين أخوتي وبين نسلي وبين شعبي

([1]) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، ص: ٢٥٨.

([2]) المرجع نفسه، ص٢٦٨.

و(لا) تقل لهم: " اقلوا سيدكم"
ولأحدهم صر خليفة لأنه ليس أحسن منك"، فينتقم أحدهم لدمي. وإن ترتكب خدعة ضدي أو ضد أبنائي أو ضد نسلي
(تكونوا قد) غدرتم بكل آلهة العهود التي في هذا النقش"[1].

وتتضمن المعاهدة الاتفاق مع ملك أرفاد على التدخل ومحاربة الطامعين والقصاص له في حال تعرضه لعملية اغتيال كما يشير النص الآتي:

" **إن أحد أبنائي أو أحد قوادي أو أحد وكلائي أو أحد الشعوب (أو القبائل) التي تحت يدي أو أحد الباغضين لي، ويبغي رأسي لقتلي، ولقتل ابني ونسلي، فعليك أن تأتي أنت وتنتقم لدمي من يد عدوي"**[2].

وهكذا نلحظ من هذه المعاهدة التي عُقِدت بين ملوك مملكتي أرفاد وكتك خشية هذين الملكين من قيام عمليات تآمرية ضد حكمهم، وسعيهم من وراء هذه المعاهدة إلى تشكيل حلف هدفه المحافظة على نظام حكم كل منها من الطامعين به.

لقد كانت معظم الثورات التي قامت تهدف إلى إسقاط تبعية الممالك الآرامية عن السيادة الآشورية، إلا أن الملوك الآشوريين قادوا الحملات وتمكنوا من القضاء عليها، وتمكن الملوك الآراميون من التنسيق فيما بينهم، وحماية حكمهم من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي عقدوها مع الآشوريين أو فيما بينهم، لتظهر مرحلة جديدة من مراحل التعاون والتنسيق بين الملوك من أجل حماية أنظمة حكمهم، وقد كان هذا على حساب أنجاز الوحدة بين الممالك الآرامية، فلم تنصاع هذه الممالك لقيادة موحدة، يبدو أن هناك عدة أسباب أخرى حالت دون قيام الوحدة فيما بين هذه الممالك منها عدم تنازل الوجاهة السياسية التي حكمت في كل مملكة وشكلت كيان موحد، وبالتالي حكم كل مملكة نظام مستقل عن الآخر، ارتبطوا فيما بينهم بمعاهدات وعلاقات تفتضيها مصلحة كل مملكة على حدة.

([1]) إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، ص٢٦٩.

([2]) المرجع نفسه، ص٢٦٨.

٣- نظام الحكم عند الفينيقيين:

لم يتمكن الفينيقيون من تكوين دولة موحدة، إنما كانت كل مدينة هي مملكة بحد ذاتها مستقلة عن الأخرى، ويبدو أن هذه المدن سعت إلى حماية مصالحها التجارية ومواصلاتها البحرية، ومستوطناتها التي اغدقت عليها الكثير من الأموال من جهة، وطبيعة تضاريسها الجغرافية حالت دون قيام دولة مركزية فيها من جهة أخرى، وقد تبعت معظم الممالك الفينيقية للإمبراطورية المصرية، بينما تبع بعضها للسيادة الآشورية وحافظ البعض الآخر على استقلالها في الألف الأول قبل الميلاد، وقد تمثل نظام الحكم عند الفينيقيين:

أ-**الملك:** تدل رسائل العمارنة[١] المرسلة من الممالك الفينيقية إلى ملوك مصر على أن العلاقة التي جمعت بينهم هي علاقة التابع للسيد، وقد حُكمت هذه الممالك في تلك الفترة من قبل حكام محليين يتم اختيارهم من بعض الأسر التي تتمتع بنوع من القداسة[٢]، وقد تطور نظام الحكم في بدايات الألف الأول قبل الميلاد، حيث أصبح الملوك مستقلين في ممالكهم، ومارسوا سلطة مطلقة، ووصلوا إلى الحكم عن طريق الوراثة، فغالباً ما يرث الابن أباه كما يشير إلى ذلك نقش الملك شفط بعل الأول ملك مملكة جبيل، حيث يدلنا النص المدون على النقش على أن ثلاثة ملوك توارثوا حكم مملكة جبيل وهم: شفط بعل وإيلي بعل ويحيملك حسب ما ورد في النص الآتي:

" **هذا السور (الجدار) بناء شفط بعل ملك جبيل، ابن إيلي بعل ملك جبيل ابن يحيملك ملك جبيل، لآلته بعلة جبيل، لتطيل بعلة جبيل أيام شفط بعل وسنيه على جبيل**"[٣].

وقد تمتع الملك بالعديد من الصلاحيات، فهو القائد الأعلى للجيش، والقاضي الأول

---

(١) إسماعيل، فاروق، مراسلات العمارنة الدولية، وثائق مسمارية من القرن ١٤ق.م، إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠، ص٤٠٤ وما بعد.

(٢) ج. كونتو، الحضارة الفينيقية، تر: عبد الهادي شعيرة، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٠٠.

(٣) حامدة، أحمد، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٩-٢٠١٠، ص ٦٨.

في المملكة، إضافة إلى أنه عد نفسه ممثل الآلهة على الأرض[١]، وقد حمل الملوك الفينيقيون ألقاباً واتخذوا أسماء تدل على تقربهم من الآلهة، فاسم الملك إيلي بعل ملك مملكة جبيل يعني أن الإله بعل هو إلهه[٢]، وقد ساد الاعتقاد عند الفينيقيين أن الآلهة هي التي تحمي المدينة والسلالة الملكية الحاكمة فيها[٣]، والجدير بالذكر أن زوجة الملك حملت لقب ملكة، وقد دل على ذلك نقش يعود للملك أشمن عزر كما يوضح النص الآتي:

"**أنا أشمن عزر ملك الصيدونيين، ابن الملك تبنيت ملك الصيدونيين، حفيد الملك أشمن عزر ملك الصيدونيين، وأمي أم عشترت كاهنة، كاهنة عشترت*، ربتنا الملكة بنت الملك أشمن عزر الصيدونيين**"[٤]

نستدل من هذا النقش على أن الملك أشمن عزر أطلق على نفسه لقب ملك الصيدونيين، وهو لقب يقصد به أنه ملك الفينيقيين جميعاً وليس ملك صيدا فقط، ويبدو أن هذا الملك وصل إلى درجة كبيرة من القوة والنفوذ الأمر الذي جعله يحمل هذا اللقب، كذلك يوضح لنا هذا النقش أن الملوك الفينيقيين افتخروا بنسبهم الملكي، وخدمتهم للآلهة، ومكانتهم الرفيعة.

ب-مجلس الشيوخ:

تشكل مجلس الشيوخ من الطبقات الغنية في المدينة التي تعمل بالتجارة، فكانت هذه الطبقات تقوم بحماية مصالحها من خلال عضويتها في هذا المجلس، وقد لعب هذا المجلس دوراً مهماً إلى جانب الملك في اتخاذ العديد من القرارات التي تقرر سياسة

---

(١) حامدة، أحمد، الملك والأسرة المالكة في فينيقية، ص١٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٧.

(٣) حمود، محمود، الديانة السورية القديمة، ص ١٢٨.

*إلهة الخصوبة والتكاثر، وقد لعبت دور إلهة صيدا، كما عبدت في سورية، ثم انتقلت عبادتها إلى مصر، وعن طريق الفينيقيين انتقلت عبادتها إلى قبرص، وكريت، ومالطة، وسردينية، وقرطاجة، وقد عرفت في الغرب القرطاجي باسم تانيت، وكان الحيوان المقدس لعشترت هو الحمامة. للمزيد انظر: حمود، محمود، الديانة السورية القديمة، ص١٢٤.

(٤) حامدة، أحمد، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، ص ٨٦.

المملكة[١]. فقد أشارت المصادر الآشورية إلى مجلس الشيوخ في مدينة صور من خلال المعاهدة التي فرضها الملك الآشوري أسر حدون على ملكها بعل بالقول: "شيوخ بلادك مع المجلس"[٢] نستطيع تحليل هذا النص من الاشارة فيه إلى مجلس الشيوخ، فمن الممكن أن يكون مجلس الشيوخ قد لعب دوراً مهماً في توقيع هذه المعاهدة، وخاصة أن الملوك في العصور القديمة قاموا بعرض هذه الاتفاقيات والمعاهدات في العصور القديمة على المجالس بهدف الحصول على تأييدهم ودعم قرار الملك في الموافقة عليها، ومن ثم الحصول على التأييد الكامل لسياستهم ولا سيما الخارجية منها، مع العلم أنه بلغ عدد أعضاء مجلس الشيوخ قرابة مئة عضو[٣]، كما هو الحال عليه في مملكة صيدا.

وسوف يتطور نظام الحكم فيما بعد، وذلك عند تأسيس مدينة قرطاجة الفينيقية[٤]، حيث تسلم الحكم اثنان من القضاة[٥] وحلا مكان الملك، وتوسعت صلاحيات مجلس الشيوخ ليلعب دوراً أكثر أهمية في الحياة السياسية والاقتصادية، وليحد من سلطة الملك، ووقع على عاتق اعضائه فيما بعد اختيار قادة الجيش والقضاة وكبار القادة والمسؤولين، واتخاذ قرارات السلم والحرب، واتخاذ الإجراءات لحماية الدولة، ورسم سياستها الخارجية والعسكرية ، وزاد عدد أعضائه ليبلغ حوالي ثلاثمائة عضو، ويتخذ هذا المجلس قراراته عن طريق التصويت، حيث يحق لكل عضو طرح رأيه ومقترحاته، ثم تتم دراستها والتصويت عليها[٦]، وهذا يشابه إلى حد كبير نظام الحكم عند الرومان الذين عاصروا الفينيقيين في تلك الفترة.

---

(١) عصفور، أبو المحاسن محمد، المرجع السابق، ص:١١١.

(٢) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ص ١٩٣.

(٣) مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ، ص ١٩٣.

(٤) فينغريد، إللغير، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسيحيين، ترجمة: عيد مرعي، روافد للثقافة والفنون، دمشق، ٢٠٠٨، ص١٠٧،١٠٩.

(5)Rawlinson.G, Story of Phoenicia, University of Cornell, press of G.P. Putnam's Son, New York, p: 181.

(٦) فينغريد، إللغير، المرجع نفسه، ص ١١٠.

٤-الآلهة مصدر شرعية الملوك:

إن الملوك الفينيقيين كغيرهم من ملوك سورية القديمة، ادعوا أنهم جاؤوا إلى الحكم بناءً على رغبة الآلهة، وقد احتفظ الملوك لأنفسهم بمنصب الكاهن الأعلى، وسعوا للتقرب من الآلهة عن طريق تشيد المعابد وتقديم العطايا والهبات لها، بهدف الحصول على رضاها وكسب مباركتها كما يشير النص الآتي الذي يعود للملك يحاوملك ملك جبيل:

"**أنا يحاو ملك ملك جبيل، ابن يحار بعل حفيد أورو ملك ملك جبيل، الذي نصبتني الربة بعلة جبيل ملكاً على جبيل .وناديت أنا ربتي بعلة جبيل وسمعت ندائي، فصنعت أنا لربتي بعلة جبيل هذا المذبح النحاسي (البرونزي) الذي في هذا .... وهذا الباب الذهبي الذي أمام بابي هذا، وهذه الأروقة وأعمدتها والتيجان التي فوقها، وسقفها، صنعتها أنا يحاو ملك جبيل لربتي بعلة جبيل، كما دعوت ربتي بعلة جبيل، وسمعت دعائي، وجعلت لي النعم (الخيرات) لتبارك بعلة جبيل يحاو ملك جبيل، وتحييه وتطيل أيامه وسنواته على جبيل، لأنه ملك صادق هو، وتعطيه الربة بعلة جبيل الرحمة(الحنان)أمام الآلهة وأمام شعب الأرض هذا وحنان شعب الأرض هذا، والحنان أمام كل الملوك وكل إنسان(الذي) يجمع لينجز العمل لهذا المذبح والباب الذهبي هذا وهذه الأروقة .اسمي أنا يحاو ملك ملك جبيل .هل ستضع نفسك لهذا العمل؟ لكن إذا لم تضع لنفسك اسماً، أو تبعد هذا العمل أو تنقل هذا .... مع أساسه من هذا المكان وتزيل مخبأه فعندئذ ستهلك الربة بعلة جبيل الإنسان هذا وكل نسله أمام كل آلهة جبيل**[١]"

من خلال هذا النقش نلحظ أن تنصيب الملوك يتم عن طريق الآلهة، التي تساعدهم على فعل الخير، وتمدهم بالرحمة والحنان، مقابل ذلك كان على الملوك إرضاء هذه الآلهة، والتقرب منها، خوفاً من أن تحل عقوبتها عليهم، والتي قد تصل إلى هلاك الملك وذريته.

لذا سعى الفينيقيون إلى كسب رضا الآلهة والحصول على دعمهم ومباركتهم وتأييدهم بشتى الوسائل والطرق ولاسيما تقديم الهدايا وبناء المعابد، وخاصة أن ذلك يؤدي في

---

(١) حامدة، أحمد، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، ص٧٣.

نظرهم إلى إطالة عمر الملك وفترة حكمه، وقد أشارت النقوش التي خلدها الملوك ولاسيما نقوش ملوك مملكة جبيل إلى ذلك كما يبين نقش الملك إيلي بعل حيث ورد فيه الآتي:

"**هذه الصورة (اللوحة النذرية) صنعها إيلي بعل ملك جبيل، ابن يحيملك ملك جبيل للإلهة بعلة جبيل، لتطيل بعلة جبيل أيام إيلى بعل وسنيه على جبيل**"[١]

كذلك نلحظ أن الملك إيلي بعل سعى إلى التقرب من الآلهة، والحصول على رضاها من خلال الاسم الذي حمله، والذي يعني أن الإله بعل هو إلهه. ولا بد من الإشارة إلى أن الأدب الفينيقي ذكر أنه كان للآلهة جمعية عمومية خاصة بها، حيث تجتمع الآلهة دورياً لبحث القضايا المتعلقة بالإنسان، وكان يترأس الاجتماع الإله الأعلى مرتبة فيما بينهم، وهذه الجمعية مخولة باتخاذ القرارات المهمة التي تبحثها وتناقشها[٢]، وهذا يدل على أن الآلهة لعبت دوراً مهماً في الحياة السياسية والدينية عند الفينيقيين.

لقد جعل الملوك الفينيقيون من آلهتهم مرجعاً لتسويغ أعمالهم وسياستهم بدعوى أن الآلهة هي التي حثتهم على ذلك، فلا بد من القيام بذلك باعتبار أن الإله سيد المدينة، وله السلطة القوية المؤثرة على المجتمع، ومن ثم لا بد من تنفيذ أوامره، والأخذ بها، حتى لا يكون الملك عاصياً لها.

٥- المعارضة عند الفينيقيين:

حرص الملوك الفينيقيون في سبيل المحافظة على نظام حكمهم على اتخاذ العديد من الإجراءات التي هدفت إلى الحد من قيام تمردات أو ثورات تهدد كيانها، وتشير النقوش التي خلدت تاريخ هؤلاء الملوك إلى خشيتهم من الطامعين الذين يخططون للقضاء على السلطة الحاكمة أو إضعافها، فقد أشار نقش الملك أحيرام ملك مدينة جبيل إلى أن الاعتداء على الملك هو اعتداء على مملكة جبيل بكاملها، وأن مصير كل من يعتدي على الملك الهزيمة والخذلان كما يشير النص الآتي:

---

(١) حامدة، أحمد، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية ص٦٧.

(٢) فرزات، محمد حرب، الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا في حضارة سورية القديمة: مراجعة لمصادر دراستها وأهم ملامحها، مجلة دراسات تاريخية، العدادان: ٤١-٤٢، جامعة دمشق، ١٩٩٢، ص ٤٧.

" **هذا التابوت صنعه إيتو بعل بن أحيرام ملك جبيل، لأبيه أحيرام لما سجاه على الأبد، لكن إذا ملك من الملوك، أو حاكم(وال) من الحكام(الولاة)، أو قائد جيش، زحف إلى جبيل، وأزاح (فتح) هذا التابوت، فسوف تكسر عصا سلطته، ويقلب كرسي عرشه، ويزول السلام عن جبيل، وسوف يمحى نقشه بحد السيف**"[١]

نستنتج من هذا النقش أن الملك إيتوبعل حذر الطامعين من محاولة الزحف أو التمرد على مدينة جبيل، وأن كل من يفعل ذلك سيلقى العقاب المناسب، وخاصةً حكام المقاطعات وقادة الجيش الذين كثيراً ما كانوا يستغلون قوتهم ومركزهم لينقلبوا على الحكم ويسيطروا عليه، إضافة إلى ذلك استغلال العديد من الشخصيات لمركزها ونفوذها داخل البلاط الملكي للاستيلاء على الحكم، حيث يدلنا نقش بَت نعم أم الملك عزي بعل ملك جبيل على أن هذا الملك هو ابن فلط بعل كاهن معبد بعلة جبيل كما يبين النص الآتي:

" **في هذا التابوت (أرقد) أنا بت نعم، أم الملك عزي بعل ملك جبيل، ابن فلط بعل كاهن بعلة (جبيل)**[٢]،

وهذا يدل على أن هذا الملك لم يكن سليل أسرة ملكية حاكمة إنما كان أبوه كاهناً لمعبد بعلة جبيل.

والجدير بالذكر أن العديد من المناطق التابعة لسيادة الفينيقيين شهدت قيام تمردات هدفت إلى تغيير الحاكم كما حصل في مستوطنة كيتيون* Kition التابعة لمملكة صور، حيث قاد الملك حيرام الأول ٩٦٩-٩٣٩ق.م حملة تمكن خلالها من إخماد التمرد[٣] وإعادة هذه المدينة إلى السيادة الفينيقية.

وقد تعرضت مملكة صور فيما بعد إلى عمليات من القتل طالت ملوكها، فالملك

---

(١) حامدة، أحمد، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، ص٥٨.

(٢) حامدة، أحمد، الملك والأسرة المالكة في فينيقية، ص:١٣٨.

* هي مدينة لارنكا اليوم، أهم مدينة في الجزء الشرقي من قبرص، وقد أطلق اسم الكيتيين كاسم عام وشامل على سكان هذه المدينة من القبرصيين، للمزيد انظر:
حامدة، أحمد، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، ص١١٤-١١٥.

(٣) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص٢٢٧.

عشتاريموس Astharymus قُتل على يد أخيه فيليس Phelles، وحكم قرابة ٨٨ شهراً لكنه لاقى المصير نفسه الذي حاكهُ لأخيه وقتل على يد إتبعل كاهن عشتارت[١]. كذلك دفعت الخلافات داخل الأسرة المالكة في هذه المدينة، بعد قيام موتو ملك صور Mutto بتعيين ابنه بغماليون Pygamalion وابنته إليسا Elissa وريثين له، إلى قيام الملك الجديد بغماليون بقتل زوج أخته أكيرباس Acerbas والذي تمتع بمركز مهم في هذه المدينة، واحتل المرتبة الثانية بعد الملك بغماليون ولاسيما بعد تبوؤه منصب كاهن الإله ملقارت إله صور الرئيس من جهة، والغنى الكبير الذي تمتع به من جهة أخرى، يبدو أن الملك بغماليون شعر بزيادة نفوذه، وخشي من استفحال خطره، وتشكيله خطر على حكمه، فقام بقتله، فخشيت إليسا على نفسها من أخيها، وهربت برفقة عدد من الرجال إلى شمال أفريقيا، وتمكنت فيما بعد من تأسيس مدينة قرطاجة على ساحل البخر المتوسط، وتشير المصادر أن الملكة إليسا عُبدت فيما بعد كإلهة في قرطاجة[٢]. من كل هذا نستنتج أن الممالك الفينيقية لم تكن بمنأى عن عمليات التمرد وتصفية الملوك بهدف الوصول إلى السلطة، لكن هذه العمليات ظلت قليلة بالمقارنة مع التمردات والثورات التي شهدتها الممالك الآرامية التي عاصرتها، وربما يعود السبب في ذلك إلى انشغال ملوك هذه الممالك بالنشاط التجاري وجمع الأموال ولا سيما أن غالبية الملوك الفينيقيين كانوا تجاراً، ولديهم نشاط تجاري خاص بهم، ولدينا مثال على ذلك الملك حيرام الأول ملك مملكة صور[٣] الذي جمع الكثير من الأموال والثروات من ممارسة التجارة في البحرين الأحمر والمتوسط، واستثمار هذه الثروات في تشييد الأبنية والصروح.

---

(١) كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي، ص٢٢٩.

(٢) إلليغر، فينفريد، المرجع السابق، ص ٤٢-٤٣.

(٣) حامدة، أحمد، الملك والأسرة المالكة في فينيقية، ص١٤٤.

الخاتمــة:

حاول البحث تقديم صورة واضحة عن السلطة والمعارضة في بلاد الرافدين وسورية في العصور القديمة مع التركيز على الألف الأول قبل الميلاد، واستطعنا من خلال البحث التوصل إلى النتائج الآتية:

١-نشأ نظام الحكم وترعرع في كنف رجال الدين الذين مثلتهم الكهنة، لكن ما لبث أن انتقل الحكم من أيديهم إلى أيدي قادة عسكريين نتيجة الانتصارات التي حققوها، وتمكنوا من اكتساب زعامة المجتمع لما امتازوا به من حنكة وقوة، من ثم انتقلت الزعامة من المعبد إلى القصر، وتمكن القصر ممثلاً بالملك من قيادة البلاد، وتنظيم حياة الأفراد، تاركاً إدارة أمور المعبد إلى الكهنة.

٢-إن معظم الملوك ادعوا أنهم استمدوا شرعيتهم، وشرعية سلطتهم من الآلهة، فهي التي منحتهم السلطة، فحكموا باسمها، ومثلوها على الأرض، فكانت هذه الآلهة مصدر شرعيتهم، إذ لم يستمدوا شرعيتهم من الشعب.

٣-اتسم نظام الحكم في الممالك الكبرى كالأكادية والبابلية والآشورية بالمركزية الشديدة، حيث تم ربط أرجاء هذه الممالك بجهاز إداري مثل فيها حكام المقاطعات الملك في مقاطعاتهم، ومارسوا السلطة نيابة عنه وحكموا باسمه، ورفعوا إليه تقارير رسمية عن أوضاع مناطقهم وحاجاتها، وحافظوا على الأمن والنظام فيها، ففي عصر الدولة الآشورية الحديث، امتلك نظام الحكم جهازاً إدارياً متكاملاً تناسب مع احتياجات الدولة واتساع مساحتها، فتألف من حكام مقاطعات ومستشارين ومساعدين وموظفين إداريين مع مراعاة خصوصية كل منطقة.

٤-قام نظام الحكم على الملكية الوراثية، فالابن يخلف أباه، وقد تطور نظام ولاية العهد في العصر الآشوري الحديث، وتم اتباع طرق ووسائل جديدة عند قيام الملك بتعيين ولي عهده، ومن هذه الطرق تأدية قسم الولاء من العائلة المالكة، والوجهاء، وكبار رجالات الدولة والجيش، لولي العهد الجديد، وحفظ الوثائق المتعلقة بهذه العهود في المعابد، بهدف ضمان الولاء لولي العهد الجديد.

٥-دلت الألقاب الملكية التي حملها الملوك على اتساع نفوذهم، ورمزت إلى سيطرتهم الملكية، وسلطتهم السياسية الواسعة هادفين من وراء ذلك إلى إضفاء نوع من الهيبة على حكمهم،

وتثبيت مركزهم أمام الرعية، وبيان قوتهم وحسن إدارتهم للبلاد.

٦-حرص الملوك على ترسيخ أسس جديدة للحكم تتناسب مع اتساع سلطتهم والنجاحات التي حققوها، وذلك من خلال تأليه أنفسهم بعد أن وصلوا إلى درجة كبيرة من القوة والسطوة هادفين من وراء ذلك إلى الظهور بمظهر القدسية أمام رعاياهم.

٧-قاد الملك الأنشطة السياسية والاقتصادية كافة في البلاد، ومثل رأس السلطة، وامتلك جميع الصلاحيات، فالقرارات صدرت باسمه، وكان الآمر والناهي في البلاد، بينما اقتصر دور المجالس على تقديم المشورة للملك، وممارسة بعض المهام المتعلقة بالأمور الخدمية، والقضايا التي يرفعها إليها الملك للبت فيها، فلم تكن مهام هذه المجالس أكثر من مهام استشارية من جهة، وتقديم الدعم للقرارات التي يطلب الملك منها مناقشتها من جهة أخرى.

٨-اكتسب مجلس الشيوخ الذي ظهر في ممالك سورية لا سيما مملكتي ماري وإبلا أهمية كبيرة من خلال الدور الذي أنيط بأعضائه، حيث شاركوا إلى جانب الملك في رسم سياسة المملكة وصياغتها، وحل المشكلات بالطرق السلمية بين المقاطعات، وتعيين الملك لبعض أعضائه كمستشارين له، وتمثيله في الطقوس الدينية، كذلك تقديم المشورة والنصح للملك، لذا فإن صلاحيات أعضاء مجلس الشيوخ في سورية قد فاقت صلاحيات أعضاء مجلس الشيوخ في بلاد الرافدين.

٩-لعبت المرأة دوراً مهماً إلى جانب الرجل في ممارسة السلطة، وتسيير شؤون الحكم، وخاصة في العصر الآشوري الحديث.

١٠- إن وصول قادة مصلحين للحكم، ممن دعموا الطبقات الفقيرة، وقدموا المساعدة للمحتاجين، وحاربوا نفوذ الكهنة والمستبدين من الأغنياء، لم يمنع من قيام معارضة تزعمها المتضررون من هذه الإصلاحات، فتمكنوا فيما بعد من تقويض حركة الإصلاح والعودة بالحكم إلى ما كان عليه كان عليه سابقاً.

١١-عدَ الملوك المغتصبون للسلطة وصولهم للحكم تنفيذاً لإرادة الآلهة ومشيئتها، مسوغين ذلك بعدم رضا الآلهة عمّنْ سبقهم من ملوك، والذين انُتزعت السلطة منهم وتمت الإطاحة بحكمهم، وخاصة أن السلطة نُظرَ إليها على أنها تفويض إلهي تمنحه الآلهة لمن تشاء وتنزعه ممنْ تشاء.

١٢- اتبع الملوك العديد من الوسائل والطرق في سبيل تثبيت حكمهم، فبالإضافة إلى الاعتماد على جيش قوي، عقدوا العديد من المعاهدات والاتفاقيات مع الممالك المجاورة والتي تهدف إلى عدم إيواء المعارضين والمتآمرين على السلطة، والحد من نشاطهم وملاحقتهم، ووضع قوانين وتشريعات تحد من تحركاتهم.

١٣-تمثلت المعارضة في العصور القديمة بالعديد من الثورات والتمردات الي قادتها شخصيات ذات نفوذ مقربة من الأسرة الحاكمة، كأبناء الملوك مدفوعين بدوافع داخلية منها الرغبة في الوصول إلى الحكم، وخارجية منها تلقيها دعماً خارجياً من قوى معارضة لنظام الحكم فيها، هادفة من وراء ذلك إلى إيصال حاكم ينفذ لها سياستها، ويحقق لها مصالحها، بينما لم نلحظ قيام أية ثورة شعبية تهدف إلى الإطاحة بحاكم مستبد واستبداله بحاكم أكثر عدالة، ومن هنا انبثقت المعارضة من شخصيات طامعة هدفها الوصول إلى السلطة، وتحقيق مكاسب شخصية، وليس التخلص من حاكم ظالم أو مستبد.

١٤- اتبع بعض الملوك في سبيل حماية حكمهم سياسة الاستعانة بقوى خارجية، فتم إرسال قوات عسكرية للقضاء على المؤامرات التي تعرضت لها ممالكهم، وتمكنت من إعادة الملوك إلى عروشهم، كما حصل في مملكة شمأل الآرامية التي تدخل فيها الملك الآشوري تيكلات بيليصر الثالث إلى جانب ابن الملك باناموا الأول الذي قُتلَ على يد عدد من المتمردين، فتم القضاء على هؤلاء المتمردين، وعُين ابنه باناموا الثاني على عرش أبيه.

١٥-لم تتمكن الحركات التمردية التي قادها بعض القادة العسكريين أو شخصيات من طبقة النبلاء والأغنياء -والتي كانت تهدف إلى تحقيق مصالحها الخاصة-من تحقيق أهدافها، ولم تصل إلى النتيجة التي وضعتها نصب عينيها، وباءت غالبيتها بالفشل.

خريطة الشرق القديم



الشكل (١)

مصادر البحث ومراجعه:

١- الأجنبية:

1- Bertman.S., Handbook of life in ancient Mesopotamia, University of Windsor, USA, 2003.

2-Cassin. E., La voix de L'oppostion en Mesopotamie: Note sure le "puhrum" des dieux ,Bruxelles,1973,(111-118).

3- Charpin, D., Mari et le Proche-Orient A' L' Epoque Amorrite Essai d' histoire Politique, Antony (France), 2003.

4- Charpin.D et Durand J.M, La prise du pouvoir par Zimri-Lime M.A.R.I4, Paris, 1985.

5- Charpin.D, Ziegler.N, L' epoque de ŠamŠi-Addu (1792-1775) FM v, Paris, 2003.

6- Crawford, Harriet. E.W, Sumer and the Sumerians, Cambridge University Press, 2004.

7- Demieroop.M.V., Cuneiform Text and The Writing of history, first Published, USA, 1999.

8- Dossin.G., Archives de Sumu-Iammam roi: in RA64 (Revue d' assyriologie et d' archeologic orietale), 1970.

9- Durand,J.M., "Les Bedouins" LAPO17, Tome II, Paris, 1998.

10-Durand.J.M, "Peuplememnt et Societes a l'epou que amorrite, les Clans bensim'alite, Amurru 3, Paris, 2004.

11- Edwards I.E.S & Others, the Cambridge Ancient History, Vol I, Part I, Third Edition, Cambridge University Press, 1970.

12- Espak.P., Masters' Thesis ancient near eastern gods Enki and Ea, Tartu University.

13- Espak.,p. The god Enki in Sumerian Royal Ideology and Mythology, Tartu University, 2010.

14- Faisal El Waily, Political History of the Kassite Dynasty, University of Chicago, 1953.

15- Finet. A, Le trone et la Rue en Mesopotamie: in. La voix de lopposition en Mesopotamie, l' Institut des Hautes Etudes de Belgique, 1973, (1-27).

16- Fleming. E. D, Democracy s' Ancient Ancestor: Mari and Early collective Governance, Cambridge University, Frist published in print format, 2004.

17-Frankfort .H & Others, Before Philosophy: The adventure of Ancient Man, Baltimore: Penguin, 1949.

18- Frame.G, The Rulers of Babylonia, from second Dynasty of Isin To Assyrian Domination (1157-612 B.C), University of Toronto press, 1995.

19- Frankfort. H, Kingship and the God, University of Chicago, 1978.

20- Garelli,P, les sujets du roi D'Assyrie: la voix de lopposition en Mesopotamie, Bruexlles, 1973.

21- Garelli.p, Durand.J.M, Le Proche- Orient Asiatioque, Tome I, presses Universitaires de France.

22- Gioanni.P, The Royal Archives of Tell Mardikh-Ebla, Biblical Archaeologicalist, vol39, 1976.

23- G. Leick, Historical Dictionary of Mesopotamia, Second

Edition, The Screcrow press, Plymouth, U.K, 2010.

24- G.Leick, The Babylonian, Routledg Published, New York, 2007.

25- Grayson.A.K, Assyrian Rulers of the Third and Second Millennia BC to 1115 BC, Vol I, University of Toronto, 1987.

26- Grayson, K. A., The Royal Inscription of Mesopotamia (Assyrian period): Assyrian Rulers of the early first Millennium BC (858-745 BC), University of Toronto press, 1996.

27- Grayson.A.K., Assyrian royal inscription, vol:I, 1972.

28- Grayson.A.K, Novotny.J, The royal inscription of Sennacherib King of Assyria (704-681B.C), Part 1, New York, 2012.

29- Grayson.A.K, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704-681 BC), The Cambridge History, vol:III, Cambridge.

30- Grayson. A.K. Assyrian and Babylonian chronicles, New York, 1975.

31- Hallo. W.W., The Coronation of Ur-nammu, vol: 20, No3\4, JCS, 1966.

32- J.A. Brinkman, Materials and Studies for Kassite History, vol:I, Chicago: Orientale Institute, 1976.

33- Jacobsen. T, The primitive Democracy in Ancient Mesopotamia, The university of Chicago press, JNES, VOL II, No3, 1943, pp: 159-172.

34- Jacobsen. F., The Sumerian King list, Assyriological studies, No 11, 1939.

35- Josephus.F, The life, against Apion, Harvard University

press, 1926, Book1.

36- Kramer.S.N., Sumerian Mythology, Philadelphia University of Pennsy, Vania press, 1972.

37- Kupper.J.R, les nomads en Mesopotamie au temps des rioes des Mari, Paris, 1957.

38-Kupper.J.R, Northern Mesopotamia and Syria, Vol II, Part I, In CAH.

39- Kupper.J.R, ŠamŠi-Aada et I' Assyrie, Miscellanea Babylonica, Paris, 1985.

40- Labat. R., Manuel D' epigraphie Akkadiennm, LOPG, Paris, 1976.

41- Lambert, W.G.,Tukulti- Ninurta I and Assyrian king list, vol38, No2, BISI, Autumn, 1976.

42- Limit.H., La voix de lopposition en Mesopotamie: Reflexions sur la nature et I' efficacite d ' une opposition, Bruxelles, 1973.

43- Lipinski. E, The Aramaeans (Their Ancient history, Culture, Religion,), Peeter Publishers, Belgium, 2000.

44- Luckenbill. D.D, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol I, Chicago 1926.

45- Lukenbill.D.D, The Annals of Sannacherib, Chicago, 1924.

46- L.W.King, Enüma Elish: The seven tablet of Creation, vol:12, AMS press, New york, 1976.

47- L.W.King, Records of the reign of Tukulti ninib I, King of Assyria about 1415 B.C, London, 1904.

48- Matthews.D.The early Dyanstic-Akkadian Transition part I: when did the Akkadian period Begin, Iraq, Vol 59, 1997, BISI, pp: 1-7.

49- Mcintosh.R.J., Ancient Mesopotamia new perspective, Library of Congress, USA, 2005.

50- M.Civil, Šū-Sîn's Historical Inscriptions: Collection B, Vol:21, JCS, 1967.

51- Mendelsohn. I., The Family in the Ancient Near East, Vol: 11, No 2, The Biblical Archaeologist, Columbia University, 1948, PP: 24-40.

52- Mieroop.M.C.D, A history of the ancient near East 3000-323 B.C, Oxford, 2004.

53- Mieroop. M. V, The ancient Mesopotamia City, Clarendon press, Oxford, 1997.

54- Nigro.L., The two Steles of Sargon: Iconology and Visual Propaganda at the Beginning of Royal Akkadian Relief, Vol 60, Iraq, 1998, pp: 85-102.

55- Nejat,K.R.N., Daily life in Ancient Mesopotamia, Hendrickson, 1998.

56- Odorico.M.D, Composition and editorial processes of annalistic and summary text of Tigalth- pileser I, Napoli, 1994.

57- Parpola.S, New-Assyrian Treaties from the royal archives of Nineveh, vol:139, No2, JCS, Autumn, 1987, pp:161-181.

58- Parpola.S, The Correspondence of Sargon II; Letter from Assyria and The West, Part1, SAA, vol: 1, Halsinki University,

1987.

59- Pope.M., El in the Ugaritic Texts, Leiden: Brill, 1995.

60- Pritchard. J.B., Ancient near Eastern Text, Princeton University press, 1955.

61- Rawlinson.G, Story of Phoenicia, University of Cornell, press of G.P. Putnam's Son, New York.

62- Rev.A.H. Sayce, Babylonians and Assyrians, Life and Customs, London, 2008.

63- Rogers, R.W, A history of Babylonia and Assyria, vol:I, New jersey, 1900.

64- Roux,G., Ancient Iraq, Third Edition, Penguin Books, England, 1992.

65- Sasson.J.M, Civilization of The ancient Near East, New York, 2003.

66- Smith. G.V., The concept of God: The Gods as king in the ancient nearest and the Bible, Trinity Journal, 1982.

67- Sollberger.E, La Voix de l'oppostion en Mesopotamie: la opposition au pauys de Sumer et Akkad, Bruxelles, 1973, (28-36).

68- Tadmor.H, The Inscription of Tiglath Pileser III King of Assyria, Gritical Edition, Second printing, 2007.

69- T. Clayden, Kish in The Kassite Period (1650-1150 B.C) Vol: 54, BISI, 1992.

70- Urban. G .T, Religion and Power divine kingship in the Ancient World and Beyond, The Oriental institute of university of Chicago, Printed by Edwards Brothers, Michigan, 2007.

71- Villard P., Les administrateure de l' epoque de yasmah-addu, Amurru 2, Paris, 1993.

72- Westbrook, R., Personal Exile in the ancient near east, published American oriental Society, JAOS, vol 128, No 2, 2008, PP: 317-323.

73- Wilfred,H., Soldt,H., The City-Administration of Ugarit, Leiden University, 2010.

74- Wiseman.D, Chronicles of Chaldean Kings (556-626B.C) London, British museum, 1956.

75- Woolly.S.L, Ur Excavation the Kassite period and the period of the Assyrian king, London, The trust of the two museum, 1965.

٢- العربية والمعربة:

١- أبو عساف، علي، آثار الممالك القديمة الجزيرة وطور عابدين، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١١.

٢- أبو عساف، علي، الآراميون تاريخاً ولغةً وفناً، ط١، دار أماني للطباعة والنشر، طرطوس، ١٩٨٨.

٣- أبو عساف، علي، مملكة بيت بخياني، مجلة دراسات تاريخية، العدد السادس، جامعة دمشق، ١٩٨١، ص:١٤٧-١٥٩.

٤- أبونا ألبير، الآراميون في التاريخ، دار المشرق الثقافية، داهوك، ٢٠١٠.

٥- أحمد، أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٠.

٦- الأحمد، سامي سعيد، سميراميس، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٩.

٧- الأحمد سامي سعيد، الإدارة ونظام الحكم، حضارة العراق، ج٢، بغداد، ١٩٨٥.

٨- الأحمد، سامي سعيد، فترة العصر الكاشي، مجلة سومر، مجلد ٣٩، ١٩٨٣.

٩- إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية، منشورات جامعة حلب، ١٩٩٧.

١٠-إسماعيل، فاروق، مرسلات العمارنة الدولية، وثائق مسمارية من القرن ١٤ق.م، إنانا للطباعة والنشر، دمشق،٢٠١٠.

١١-الأعظمي، محمد، حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م)، بغداد، ١٩٩٠.

١٢-الأعرجي، حسين سيد نور، مفهوم العدالة في الخطاب السياسي في العراق القديم ٣٠٠٠-٥٣٩ق.م، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدادان ٣-٤، المجلد السابع، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٨، ص:١٩٧-٢١٢.

١٣-باقر، طه، ملحمة جلجامش: أوديسة العراق الخالدة، د.ت، د.ط.

١٤-باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٥٥.

١٥-بشور، أمل ميخائيل، تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وأشور، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ٢٠٠٨.

١٦-بيتينانو، جيوفاني، سميراميس ملكة أشور وبابل، ترجمة عيد مرعي، روافد

للثقافة والفنون، دمشق، ٢٠٠٨.

١٧–تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

١٨–تلماستيان، عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، بغداد،١٩٨٧.

١٩–الجبوري، علي ياسين، نظام الحكم، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الأول، الموصل، ١٩٩١.

٢٠–ج. كونتو، الحضارة الفينيقية، تر: عبد الهادي شعيرة، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٤٨.

٢١–جين، بوترو، الإمبراطورية السامية الأولى في الشرق الأدنى (الحضارات الباكرة)، ترجمة: عامر سليمان، لندن، ١٩٦٧.

٢٢–حامدة، أحمد، المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٩–٢٠١٠.

٢٣–حامدة، أحمد، الملك والأسرة المالكة في فينيقية، مجلة دراسات تاريخية العددان ٤٩–٥٠، ١٩٩٤، ص: ١٢٩–١٦٠.

٢٤–حسن، محمد خليفة، الأسطورة والتراث في الشرق القديم، دون دار نشر، بغداد، ١٩٨٨.

٢٥–حلمي، إسماعيل محروس، الشرق القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٧.

٢٦–حمود، محمود، الممالك الآرامية السورية، الطبعة الأولى، روافد للثقافة والفنون، دمشق،٢٠٠٨.

٢٧–حمود، محمود، الديانة السورية القديمة خلال عصر البرونز الحديث والحديد ١٦٠٠–٣٣٣ ق.م، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ٢٠١٤.

٢٨–حنون، نائل، شريعة حمورابي، الجزء الأول، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣.

٢٩–حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين، بغداد،

.١٩٧٨

٣٠-حنون، نائل، ملحمة جلجامش (ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكادي)، دارا الخريف، دمشق، ٢٠٠٦.

٣١-ديورانت، ول، بلاد ما بين النهرين-الحضارتان البابلية والأشورية، ترجمة محرم كامل، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٧.

٣٢-فوزي، رشيد، الشرائع العراقية القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، .١٩٨٧

٣٣-رشيد، فوزي، السياسة والدين في العراق القديم، بغداد، ١٩٨٣.

٣٤-رشيد، فوزي، المعتقدات الدينية في حضارة العراق القديم، الجزء الأول، بغداد، .١٩٨٥

٣٥-رينيهلابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة ألبير أبونا ووليد الجادر، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨.

٣٦-ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، الدار السورية للطباعة، مؤسسة علاء الدين، دمشق.

٣٧-ساكز، هاري، عظمة أشور، ترجمة خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، الدار السورية الجديدة، مؤسسة علاء الدين، دمشق.

٣٨-سليمان، توفيق، دراسات في حضارات غرب آسية القديمة من أقدم العصور إلى عام١١٩٠ق.م، الطبعة الأولى، دار دمشق للطباعة، دمشق، ١٩٨٥.

٣٩-سمير، عماد، نصوص المعاهدات والعلاقات الدولية في محفوظات إبلا، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ١٢٣-١٢٤، جامعة دمشق، ٢٠١٣، ص: ٦٧-١١٠.

٤٠-الشواف، قاسم، الحضارة والسلطة، الطبعة الأولى، دار الساقي، بيروت، .١٩٩٩

٤١-الشواف، قاسم، دايوان الأساطير (سومر -أكاد-أشور)، تحقيق وتقديم: أدونيس، دار الساقي، لندن، ١٩٩٦.

٤٢-الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار، الإدارة والسياسة: العراق في موكب

الحضارة، الجزء الأول بغداد، ١٩٨٨.

٤٣-الشيخلي، عبد القادر عبد الجبار، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، بغداد،١٩٩١.

٤٤-الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، الجزء الثاني، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١.

٤٥-عبد السلام، عادل، الأقاليم الجغرافية السورية، منشورات جامعة دمشق، ١٩٨٩-١٩٩٠.

٤٦-عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٣-٢٠١٤.

٤٧-عبدالله، فيصل، مرعي، عيد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨.

٤٨-عبدالله، فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم: بلاد الشام سورية ولبنان وفلسطين والأردن، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٣-٢٠٠٤.

٤٩-عبدالله، فيصل، حوار العبد ومولاه، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٤١-٤٢، ١٩٩٢، ص: ٨٠-٨٦.

٥٠-عبدالله، فيصل، خبرو (خابيرو= Hab\pi-ru) مشكلة حقيقية مفتعلة، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٣١-٣٢، ١٩٨٩، ص: ١٥٥-١٦٨.

٥١-عبد الرحمن، عمار، مملكة ألالاخ دراسة سياسية-اقتصادية-اجتماعية، دمشق، د.ن، ٢٠٠٧.

٥٢-عبد الواحد، علي فاضل، عشتار ومأساة تموز، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٩.

٥٣-عثمان، غانم محمد، الكتابات المسمارية على الأجر من الألف الأول قبل الميلاد (٩١١- ٥٣٩ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، أشراف خالد إسماعيل، جامعة الموصل، ٢٠٠٣.

٥٤-عصفور، أبو المحاسن محمد، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

٥٥-فاضل، عبد الواحد علي، طلائع الفكر السياسي في العراق القديم، مجلة آفاق عربية العددان ٣-٤، ٢٠٠٢، ص: ٣٨-٤٤.

٥٦-فاضل، نهير علي، العقاب والثواب عند الآلهة في العراق القديم من الألف الثالث حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية، ٢٠١٢.

٥٧-فرزات، محمد حرب، الأدب الآرامي، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٢١-٢٢، جامعة دمشق، ١٩٨٦، ص: ١٣٥-١٦١.

٥٨-فرزات، محمد حرب، الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجيا في حضارة سورية القديمة: مراجعة لمصادر دراستها وأهم ملامحها، مجلة دراسات تاريخية، العدادان: ٤١-٤٢، جامعة دمشق، ١٩٩٢، ص: ٤٣-٦٤.

٥٩-فينغريد، إللغير، قرطاجة مدينة البونيين والرومان والمسحيين، ترجمة: عيد مرعي، روافد للثقافة والفنون، دمشق، ٢٠٠٨.

٦٠-قابلو، جباغ، سمير عماد، تاريخ الوطن العربي (بلاد الرافدين-سورية مصر)، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨.

٦١-كريمر، صموئيل، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مكتبة المثنى بغداد، مؤسسة فرانكلين للطباعة، بغداد، ١٩٥٦.

٦٢-كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠-٣٣٣ق.م، ترجمة سيف الدين دياب، تدقيق عيد مرعي، الطبعة الأولى، دمشق، دار المثنى، ١٩٩٨.

٦٣-كلينغل، هورست، حمورابي البابلي وعصره، تعريب: محمد وحيد خياطة، الطبعة الأولى، دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، مطبعة العجلوني، دمشق، ١٩٩١.

٦٤-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٦٥-مارغرون، جان كلود، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، ترجمة سالم العيسى، الطبعة الأولى، منشورات دار علاء الدين، دمشق ١٩٩٩.

٦٦-محمد، حياة إبراهيم، نبوخذ نصر الثاني ٦٠٤-٥٦٢ ق.م، وزارة الثقافة العراقية، المؤسسة العامة للآثار والمتاحف، بغداد، ١٩٨٣.

٦٧-المخلافي، عارف أحمد إسماعيل، دراسة لأسباب اختلاف العقوبات الآشورية ضد زعماء الشعوب الأخرى وأعونهم، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٩٩-١٠٠، ٢٠٠٧، ص:٨١-١١٥.

٦٨-مرعي، عيد، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٦٣-٦٤، السنة التاسعة عشرة، دمشق، ١٩٩٨، ص:٢٧-٤٧.

٦٩-مرعي، عيد، تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى عام ٥٣٩ق.م، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩١.

٧٠-مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم، ٣٠٠٠-٣٣٣ق.م، مشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١.

٧١-مرعي، عيد، إبلا، تاريخ وحضارة أقدم مملكة في سورية، الأبجدية للنشر، دمشق، ١٩٩٦.

٧٢-مرعي، عيد، يخدون - ليم ملك ماري، وثيقة تأسيس معبد إله الشمس (شماس) في ماري، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٢٧-٢٨، ١٩٨٧، ص٩٩-١١٠.

٧٣-مرعي، عيد، قوانين بلاد ما بين النهريين، دمشق، ١٩٩٥.

٧٤ مرعي، عيد، تاريخ مملكة إبلا وآثارها، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٥.

٧٥-مرعي، عيد، مملكة ألالاخ، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٧١-٧٢، جامعة دمشق، ٢٠٠٠، ص:٣١-٥٢.

٧٦-مرعي، عيد، إدريمي ملك ألالاخ، مجلة دراسات تاريخية، العدادان ٢٩-٣٠، جامعة دمشق، ١٩٨٨، ص:١٠٣-١٢٦.

٧٧-مرعي عيد، اللسان الأكادي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١٢.

٧٨-مرعي عيد، الأسطورة في حياة ملوك الشرق القديم، مجلة مهد الحضارات، العدادان ١٩-٢٠، ٢٠١٤، ص:١١-١٧.

٧٩-معجم الكُلِّيَّات، أبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨.

٨٠-مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.

٨١-نيكولاس، بوسستغيت، حضارة العراق وآثاره، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون، بغداد، ١٩٩١.

٨٢-الهاشمي، رضا سعيد، القانون والأحوال الشخصية، حضارة العراق، ج ٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥.

٨٣-هيفاء، أحمد عبد الحاج أحمد، ألقاب حكام وملوك العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٧.